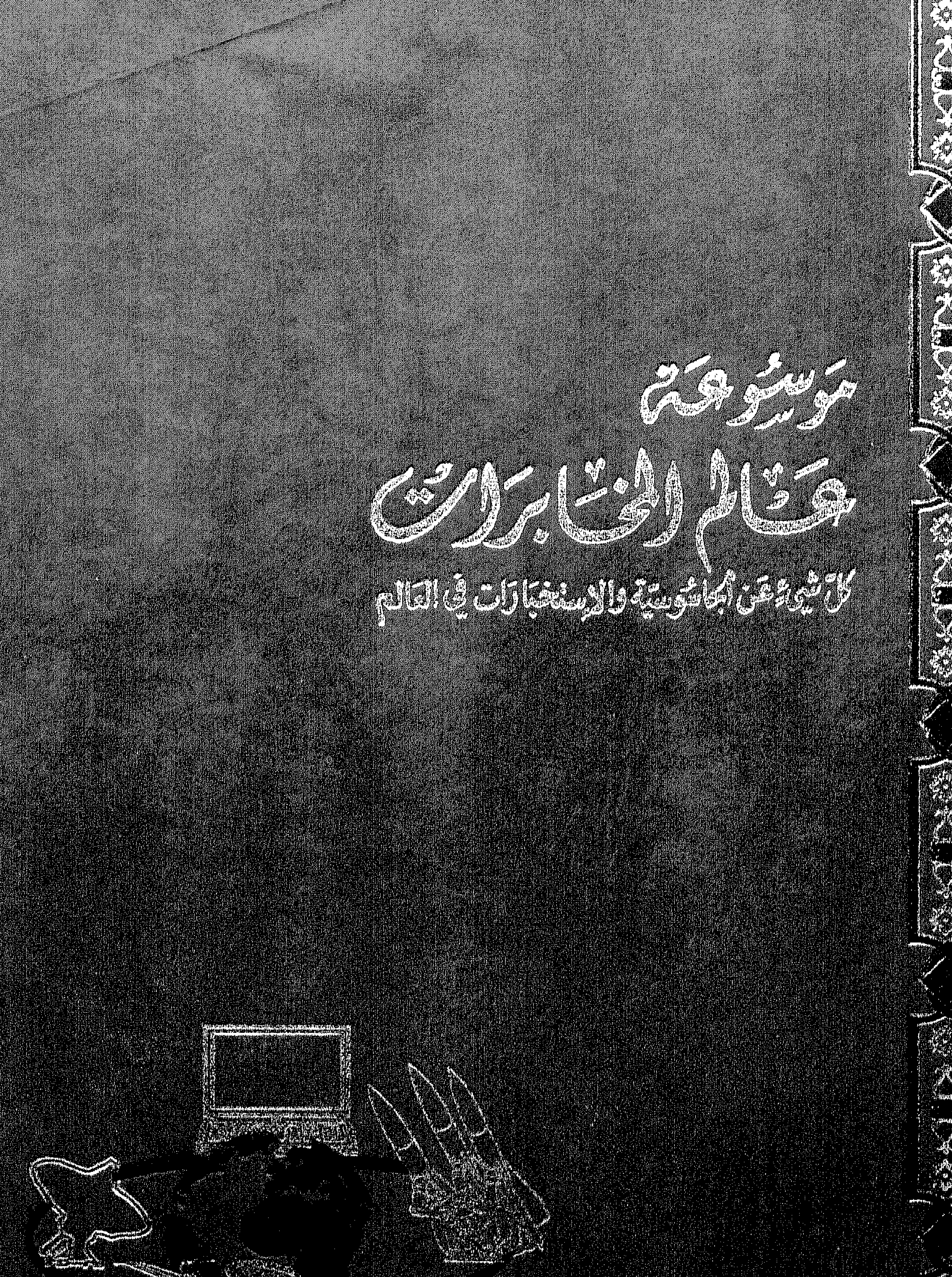


موسوعة عالم المخابرات

كل شيء عن الجاسوسية والاستخبارات في العالم

NOBILIS

موسوعة عالم المخابرات

كلُّ شيء عن الجاسوسيّة والاستخبارات في العالم

الإستخبارات الإسرائيليّة (١)

أسعَد مفرِّج

ولجَنة من البَاحثين

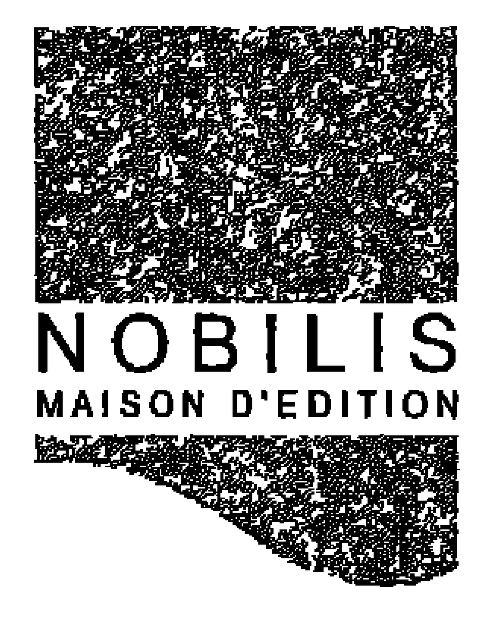
موسُوعَة

عَالَـــــم المُخابَرات

كُلُّ شيء عن الجاسوسيَّة والاستخبارات في العَالَم

الجزء الرَّابع عشر

الإستخبَارات الإسرَائيليَّة (١)



إسم المَجموعَة : عَالَـــــم المُخابَرات

كُلُّ شيء عن الجاسوسيَّة والاستخبَارَات في العَالَم

إسم الكِتَاب : الإستخبَارات الإسرَائيليَّة (١)

الجزِء : الرَّابع عشَر

المؤلّف : أسعَد مفرِّج ولجنَة من البَاحثين

قياس الكتَاب : ٢٠ × ٢٨

مَكَان النَّشر : بيروت

دَار النَّشر والتَّوزيع : NOBILIS

تلفاكس : ٩٦١ ـ ١ ـ ٥٨١١٢١

: ٩٦١ ـ ٣ ـ ٥٨١١٢١

مقدّمة

في مطلع القرن التاسع عشر، عظمت الحركة اليهودية الرامية إلى تحقيق التغيرات في أوضاع اليهود الحياتية، في هدف التحرر من قيود القرون الوسطى وتشريعاتها الظالمة، وبرزت "الحركة الإصلاحية" في سعيها الدائب لمسايرة ركب التطوّر والتحرّر. فاتجهت أنظار قادتها إلى مسألة باتت في حكم الضرورة: "كيفيّة التوفيق بين المعتقدات والممارسات الدينية من جهة، ومتطلّبات العصر الجديد الذي دخله اليهود من جهة ثانية[1]".

وهكذا تنادى الحاخامون إلى عقد المؤتمرات والاجتماعات بغية تحديد النهج العملي الواجب اتخاذه وتعيين مبادئ الإيمان وأركانه المشتركة إزاء تحديات الحضارة الحديثة والتطوّر التاريخي الذي تخطّى قيود القرون الوسطى وحدوده. "فكانت المؤتمرات الحاخامية في منتصف العقد الرابع من القرن الماضي بمثابة الردّ على التحدّيات. وجاءت لتجسّد استجابة اليهوديّة الإصلاحيّة لمتطلّبات الحياة العصرية[2]".

---

١ - راجع: The Jewish Encyclopedia, *Rabbinical* Conferences, p.211. ؛ وعنها: رزوق د. أسعد ، الدولة والدين في إسرائيل، سلسلة دراسات فلسطينية، ٣٧، نشر منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث (بيروت،١٩٦٨) ص٢٠.

٢ - رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، ص٢٠.

في المؤتمر الحاخامي الأول الذي عقد في حزيران ١٨٤٤ في برونسفيك، اتّخذ الإصلاحيّون قرارات عدة من جملتها:

اعتبار القسَم الذي يؤدّيه اليهودي ملزمًا، دون اللجوء إلى طقوس إضافيّة تتعدّى الابتهال والتضرّع لاسم الجلالة".

كما جرى تبنّي الردود التي أصدرها مجمع السنهدرين الفرنسي عام ١٨٠٧ مع تعديل الردّ الثالث منها بشكل "يسمح لليهوديّ بالزواج من المسيحيّة أو أيّ من معتنقات الديانات التوحيديّة، فيما لو أتاح القانون المدني أمام الأبوين فرصة تنشئة أولادهما على الدين اليهودي[١]".

وفي مؤتمر فرنكفورت الذي عقد في تموز ـ يوليو ١٨٤٥، تقرّر أن تزال صلوات "العودة إلى أرض الآباء والأجداد وإعادة تأسيس الدولة اليهوديّة" من الطقوس الدينيّة.

وقبل "الردّة اليهودية" بفعل الدعوة الصهيونية بحوالي عشر سنوات، عقد الإصلاحيّون المؤتمر الحاخامي الخامس في مدينة بتسبورغ، في تشرين الثاني ١٨٨٥، فأكّد ذلك المؤتمر على الطابع الروحانيّ والإلهيّ للديانة اليهوديّة، وأعرب عن اعترافه بأنّ "كلّ دين يمثّل محاولة لاكتناه اللامحدود، وأنّ المنابع والكتب المنزلة التي يقدّسها إن هي إلاّ دلالة على حلول اللّه في الإنسان. كما أعلن أنّ قوانين الشريعة الموسويّة التي تنظّم المأكل والملبس والطهارة الكهنوتيّة يرجع أصلها إلى عصور وأفكار غريبة كلّ الغرابة عن حالتنا الأخلاقيّة والروحيّة المعاصرة" وقد جاء في المبدأ الخامس من إعلان المؤتمر المذكور:

---

١ - *Rabbinical Conferences*, p.212.

نحن نرى في العصر الحديث، عصر حضارة العقل والقلب الجامعة، اقترابًا لتحقيق أمل إسرائيل المسيحيّ العظيم لأجل إقامة مملكة الحقيقة والعدالة والسلام بين جميع البشر. نحن لا نعتبر أنفسنا أمّة بعد اليوم، بل جماعة دينيّة، ولذا لا نتوقّع عودة إلى فلسطين، أو عبادة قربانيّة في ظلّ أبناء هارون، ولا استرجاعًا لأيّ من القوانين المتعلّقة بالدولة اليهودية[1].

ولم يفت المؤتمر نفسه إعلان اعتباره لليهودية "ديانة تقدميّة" تسعى بصورة مستمرّة في سبيل التلاؤم مع مبادئ العقل وأحكامه. كما اعترف بالمسيحيّة وبالإسلام "ديانتين شقيقتين"، وقدّر رسالتيهما الإلهيّتين حقّ قدرهما لجهة نشر الوحدانيّة والأخلاقية[2]".

ثمّ كانت الردّة الصهيونيّة كأبرز حركة عنصريّة في بداية القرن العشرين، وقد تركّز ظهور الحركة الصهيونيّة على فكرة رئيسيّة مؤدّاها أنّ مجموعة محدّدة من البشر يتّسمون بكونهم طبيعيًّا أسمى من غيرهم. وتدعو هذه الحركة إلى إقامة وطن قوميّ لليهود، وقد تبنّت الدعوة لتهجير يهود العالم إلى فلسطين وخاصّة بعد وعد بلفور في ٢٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٧، مستمدّين من التراث والتاريخ اليهوديّين ما يؤكد مسألة تفوّق اليهود العرقي على باقي شعوب العالم، ما يحتّم إقامة دولة صهيونيّة يعيش فيها اليهود فقط مستقلّين عن بقيّة شعوب العالم حيث أنّ "الدم اليهوديّ لم يدنّس بدماء أجناس أخرى". وبالرغم من أن الصهيونيّة قد تحوّلت إلى مدارس متباينة، إلاّ

---

١ - Op. Cit., p 215.

٢ - رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، ص٢٣.

أنّها تصبّ في "القوميّة اليهوديّة" و"التفوّق العرقيّ للشعب اليهوديّ"، وهذا ما يؤكد بأنّها حركة عنصريّة بامتياز.

وبموجب تلك الردّة الصهيونيّة، يعتبر يهود العالم أنفسهم بأنّهم شعب الله المختار. وقد تأسّست الحركة الصهيونيّة على أساس عنصريّ بمفهوم التفوّق العرقيّ لليهود على باقي شعوب العالم، وكذلك على فكرة تقديس اليهوديّ، باعتبار أنّ الفرق بين اليهعوديّ وغيره هو كالفرق بين الإنسان والحيوان، وتدفع بالصهاينة معتقداتهم التي صاغها حاخامات اليهود بإضافة تعليمات جديدة من خلال التلمود الذي اعتُبر استكمالاً لتعاليم موسى عليه السلام، حيث يعتقد يهود العالم بأنّ التلمود كتاب مقدّس لا يقلّ في قدسيّته عن التوراة، في اتّجاه تعنصر اليهود. وقد أكّدت "بروتوكولات حكماء صهيون" الموجودة في كافّة المعابد اليهوديّة في كلّ أنحاء العالم، والتي يحفظها حاخامات المعابد اليهوديّة ويشرحونها في دروسهم، نظرًا لاحتوائها على مفاهيم سياسيّة، دون أن يذكروا أنها البروتوكولات التي وضعت في عام ١٨٩٧ حيث ظهرت طبعة فرنسيّة في عام ١٩٠٥، ثمّ اختفت وظهرت عام ١٩١١ في روسيا القيصريّة، ثم صدرت بعدّة لغات، منها العربيّة، وتوقّفت طباعتها عام ١٩٢١. وهي تدعو لتدمير العالم وضرورة فرض السيطرة اليهوديّة عليه لأنّ اليهود هم الشعب الأقوى الذي اختاره الله. وأباحت بروتوكولات حكماء صهيون كلّ السبل والوسائل غير المشروعة لتحقيق السيطرة اليهوديّة على كافّة أنحاء العالم، وهي منسجمة تمامًا مع الفكر اليهوديّ الذي جاء في العصر القديم. ويدّعي التلمود بأنّ "اليهود جزء من الله والله يملك الأرض ومَن عليها، وبالتالي فإنّ هذه الملكيّة من حقّ اليهود وحدهم".

اعتُبرت اليهوديّة التي يدعو لها التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون بأنّها جنسيّة تبحث عن أرض، ليكون لها وطن، وهذه الأرض هي "أرض الميعاد". واعتُبرت

الصهيونيّة على أنّها ليست ديانة يمكنها التعايش مع باقي الديانـات السماويّة فـي وطـن واحد.

وكان اليهود يعيشون في أكثر دول العالم في مجتمعات وأحياء منعزلة "غيتو". وقد أدت عزلتهم في حالات كثيرة إلى اضطهادهم وتعرّضهم لمذابح جماعيّة كما حدث لهـم في إسبانيا وروسيا القيصريّة وألمانيا النازيّة[1]، ممّا زاد شعورهم بالاضطهاد، وولّد في نفوسهم روح التآمر ضدّ البشريّة كلّها بمختلف معتقداتها، ودعم لديهم روح العنف والإرهاب والحقد على الآخرين، والسعي المتواصل لإشاعة الهلع والتدمير، حيث أصبحت المركّبات الأساسيّة للشخصيّة اليهوديّة مبنيّة على روح العداء والكراهية والحقد والارتباط الوثيق بالعنف وممارسة الأساليب الإرهابيّة، وهذا ما عمّقته التعليمات التي ابتدعها عبر السنين حاخامات بني صهيون.

كان حلم اليهود أن يتجمّعوا من الشتات في رقعة أرض واحدة، وفكّروا في العديد من الأمكنة التي من الممكن أن تستوعبهم، مثل أوغندا والأرجنتين وسيناء، كوطن لهم، إلا أنّهم اتّفقوا في النهاية على الاستقرار في فلسطين من خلال مؤتمرهم الذي انعقد في عام ١٨٨٩ في "بازل" حيث قرّروا إقامة وطن قوميّ لليهود على الأرض العربيّة الفلسطينيّة، وطرد شعبها العربيّ المقيم منذ القديم على هذه الأرض، وحصلوا على

---

١ ـ في أواخر العام ٢٠٠٣، كان يتردّد في الأوساط الإعلاميّة الأوروبيّة معلومات عن قرب صدور كتاب للمؤرّخ اليهودي "تزم سينن" يعترف فيه أنّ يهودًا تصرّفوا قبل النازيّين وطالبوا بطرد اليهود من ألمانيا إلى فلسطين معتبرين أنّ يهود ألمانيا لا ينتمون إلى العرق الآري، وهو موقف يثير الكثير من النقاش في الدولة العبريّة حاليًّا. ويؤكّد المؤلّف تعاون بعض النافذين اليهود المنتمين إلى المنظّمات الصهيونيّة مع النازيّين على إبادة اليهود. وذكر أسماء بعضهم أمثال "كاستنز" الذي اغتاله الموساد قبيل محاكمته حتّى لا ينكشف تواطؤ اليهود مع النازيّين بقيادة هتلر.

وعد بلفور عام ١٩١٧ باعتبار فلسطين وطنا قوميًا لليهود، وفتحت بريطانيا، التي كانت تمثّل حكومة الانتداب على فلسطين، أبواب الهجرة ليهود العالم للاستقرار في فلسطين، ومكّن الاستعمار اليهود من الحلول مكان المواطنين العرب وهم السكّان الأصليُّون. وشهدت فلسطين العديد من الهجرات اليهوديّة إلى أرضها، وكان أكبرها تحت حماية الحكومة البريطانيّة في الحقبة ما بين ١٩٢٠ و١٩٢٥، وقد تواطأ البريطانيّون مع اليهود على أن تكون فلسطين وطنًا قوميًا لليهود، وعلى طرد السكان الأصليّين. وبدأ الصراع العربيّ الصهيونيّ، أو الصراع العربيّ الإسرائيليّ، باعتبار أنّ هذا الصراع هو "صراع وجود وليس صراع حدود".

وإن كانت منظّمة الأمم المتحدة تعترف بالدولة الإسرائيليّة، فهو اعتراف لا يتساوى مع الطبيعة التي كوّنت بها كافّة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، بحيث تتحتّم ضرورة توفّر أرض وشعب وسلطة، كمقوّمات أساسيّة للدولة، بالإضافة إلى الموروث التاريخيّ والحضاريّ واللغة والدين والقوميّة والتشريع واستقلاليّة الدولة وحدودها الجغرافيّة... وغيرها من المقوّمات المتعارف عليها دوليًّا. فهذه الدولة أنشئت بقرار اتّخذته مجموعة من يهود العالم التقوا خارجها وحدّدوا الأرض العربيّة الفلسطينيّة هدفًا لبناء دولتهم عليها وطرد السكّان الأصليّين منها. أمّا الإدّعاء بأنّ فلسطين "أرض الميعاد" فهو ادّعاء باطل وخرافة، مثله مثل الادّعاء بأنّ "فلسطين وطن بلا شعب، يجب أن يشغلها اليهود كشعب بلا وطن"... فهذا أيضًا إدعاء استعماريّ يهدف إلى إحلال شتات يهود العالم، بدلاً عن أهل البلاد الأصليين، في أرض فلسطين[1].

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، مكتبة مدبولي (القاهرة،٢٠٠٣) ص٢٥٥ ـ ٢٥٧.

من حقّ البشريّة أن تأسف "للردّة" اليهوديّة نحو الوراء، إثر دعوة تيودور هرتـزل الصهيونيّة[1]، وهي الدعوة التي قضت على الحركـة الإصلاحيّـة، وأعـادت اليهـود إلـى قوقعة التوراة، وأعادت دمج الدين والقومية في خليط غير قابل للانصهار بسـبب عـدم انسجام التقدميّة العصريّة التي يتمتّع بها الفكر اليهوديّ المعـاصـر، مـع رجعيّـة التـوراة والفكر اليهوديّ المتزمّت الذي لا يمكن أن يجد له مكانًا في العالم المتحضّر. وكان من الطبيعيّ أن تلاقي دعـوة هرتـزل رواجًـا فـي أوسـاط المتديّنيـن، واسـتياء وانتقـادًا فـي أوساط الإصلاحيّين. غير أنّ الداعية الصهيونيّ، الذي لم يكن يرى بدًّا من أجـل جعـل اليهود يلتقون حول مبدئه الجديـد سـوى اعتمـاد الرابـط الدينـيّ، ردّ علـى الإصلاحيّيـن بقوله:

> إنّ احتجاجات عدد مـن الحاخـامين كـانت مـن أكـثر... التظـاهرات مثـارًا للدهشة، وكون هؤلاء القوم يصلّون لأجـل صـهيـون ويقومـون بـالتحريض ضدّها في آن معًا، سوف يبقى إلى الأبد ظاهرة عجيبة[2].

ويجد الداعية الصهيوني نفسه في مأزق صعب إزاء إمكانيّة جعـل اليهـود يتقبّلـون دعوته. فبالإضافة إلى موقف الإصلاحيّين الرافـض، كـان هنـالك موقـف المغـالين فـي التديّن، أولئك الذين لا يقرّون تأسيس الدولة اليهوديّة على يد أناس زمنيّين عاديّين، بـل يؤمنون بأنّ إسرائيل ستعود بظهور مسيحهم المنتظر.

---

١ ـ تيودور هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) كاتب مجرى يهودي أسس الحركة الصهيونيّة.

٢ ـ راجع: Parzev Herbert. Herzel, *Speaks His Mind On Issues,* Events and Men (New York, 1960) P.27.

في الوقت ذاته، كان هرتزل نفسه ذا نزعة علمانيّة، فها هو يعبّر عن هذه النزعة في "الدولة اليهوديّة" إذ يقول:

> ... سوف لن نسمح... بظهور أيّ نزعات تيوقراطيّة لدى سلطتنا الروحيّة... وسوف نبقيهم داخل كنيسهم... بينما يكون تكريم الجيش والحاخاميّة على ذلك المستوى الرفيع الذي تتطلبه وظائفهم القيّمة وتستحقّه. لكنّهم يجب ألاّ يتدخّلوا في إدارة الدولة[1].

ويظهر التناقض جليًا عند هرتزل في المقابلة بين قوله السابق، وبين ما سبق وأعلنه في "الدولة اليهوديّة" حيث يقول:

> سوف يقوم حاخامونا، الذين نتوجّه إليهم بنداء خاصّ، بتكريس طاقاتهم لخدمة فكرتنا. وسوف يوحون بها إلى رعيّتهم عن طريق الوعظ من على منبر الصلاة[2]...

وهكذا، وبالرغم من أنّه ليس في نصوص الدين اليهوديّ ما يوجب عدم فصل الدين عن الدولة، فإنّ الدولة الإسرائيليّة قد قامت على المفهوم الدينيّ المحض، فاليهودية هي البداية والنهاية في جوهر الدولة الإسرائيليّة. ومهما تعدّدت النظريّات عند بعض الفئات اليهوديّة حول مدى ارتباط الدين بالدولة، ورغم ظهور بعض التيّارات العلمانيّة عند اليهود، قبل إنشاء الحركة الصهيونيّة وخلالها وبعدها، وقبل إنشاء الدولة الإسرائيليّة وبعدها، فإنّ الممارسة التي من خلالها قامت الدولة العبريّة، تبقى ممارسة، لا يمكن النظر إليها إلا من خلال المفهوم الدينيّ. وقد اعتبر هيرتزل،

---

١ - راجع: Herzel Théodor, *Jewish State, An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question,* Trans, By: Sylvie D'Avigdor, 4th ed. (London,1946) p.71.

٢ - Op. Cit, p. 54.

في الخطاب الإفتتاحي للمؤتمر الصهيوني الأوّل عام ١٨٩٧، أنّ "الصهيونيّة هي العودة إلى حظيرة اليهوديّة قبل أن تصبح الرجوع إلى أرض اليهود" ومن أقوال هرتزل أيضًا إنّ... "الإيمان يوحّد بيننا[١]".

لقد كان الحاخام ميمون، وهو أول وزير إسرائيلي للشؤون الدينيّة، أدقّ من أوضح عن العلاقة المتلازمة بين اليهوديّة كدين، وإسرائيل كدولة، وذلك في كتابه الصادر عام ١٩٣٧ في القدس، حيث قال:

> إنّ الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد سائر الأمم إلى بلادها، فهو لدى تلك الأمم، وفي أجلى مظاهره، رباط سياسيّ، علمانيّ، وخارجيّ، وعرضيّ، وموقّت. بينما الرباط القائم بين الشعب اليهوديّ وبلاده كناية عن "سرّ خفيّ من القداسة"، فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة، حتى في زمن خرابهما، والرباط الذي يشدّهما رباط ملازم سماويّ وأبديّ، إنّه رباط أزليّ[٢].

إلاّ أنّ اليهود المتطرّفين الشديدي الغلوّ، ما زالوا يرفضون الإعتراف بدولة إسرائيل الحاليّة. "فاليهود القاطنون في حي "ميا شعاريم" من القدس، ينتمون إلى الفئة المذكورة، ويطلقون على أنفسهم تسمية "نواطير المدينة". ويعتبر هؤلاء دولة إسرائيل:

> "ثمرة الغطرسة الآثمة"، لأنّها قامت على يد نفر من الكافرين الذين خرقوا مشيئة اللّه بعملهم وتطاولوا على وعد الربّ، بدلاً من انتظار المسيح الموعود وتدخّل الربّ بصورة عجائبيّة ... فالمسيح المنتظر هو وحده القادر على إقامة الدولة حيث تكون مملكة للكهنة والقدّيسين، بينما أقدم العلمانيّون على اغتصاب مهمّته...

---

١ - Op. Cit, p. 71.

٢ - Ben-Horin Maxrondeau Meir, *Philosopher of Human Solidarity*, (London,1956) p.19

9

ولا يقوم "نواطير المدينة" مثلاً بمراعاة عيد الإستقلال، بل يعتبرونه يوم صيامٍ. وهكذا يرفض هؤلاء الإعتراف بوجود دولة إسرائيل معتبرينها كفرًا وتجديفًا. ويرون في القوانين العلمانية التي تسنّها الدولة تقليلاً من شأن الكتاب المقدّس يؤدّي بدوره إلى الحدّ من سلطته[1]...

مهما يكن من أمر، فإن إسرائيل تعتبر نفسها دولة يهوديّة. "فهي لا تعرف الفصل بين الدين والدولة" رغم أن "التوراة لا يمكنها بحال من الأحوال أن تصبح دستور إسرائيل الحديثة، وفقًا لما تطالب به الأحزاب الدينيّة. ومن جهة ثانية، يستحيل على إسرائيل أن تتبنّى دستورًا ليبراليًّا يضمن حريّة الدين ضمانًا كاملاً في دولة علمانيّة القلب والقالب[2]".

وإذا شئنا أن نحدد المدى الذي أصبحت الدولة الصهيونيّة ترتبط معه بالدين اليهوديّ، فلا بدّ لنا من العودة إلى شرح بن غوريون في العام ١٩٥٧ إذ قال:

... أنا يهوديّ أولاً، وإسرائيليّ بعد ذلك فقط، لاعتقادي بأنّ دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهوديّ بأسره، ونيابة عنه. هذا مع العلم بأنّ مستقبل الشعب اليهوديّ منذ الآن فصاعدًا يعتمد على بقاء الدولة ونموّها وتدعيم مركزها وكيانها[3]...

هذا هو فكر بن غوريون الذي كان رائد تأسيس المخابرات الإسرائيليّة بصيغتها الحاليّة.

---

١ ـ رزوق، الدولة والدين في إسرائيل، ص٥٤ ـ ٥٥؛ عن مقالة منشورة في كتاب: Weiler Moses Cryrus, Kurt Sonteimer, Israel Politik, Gesellschaft, Wirschaft (Munichn,1968) p.132.

٢ ـ راجع: مفرّج طوني، حرب الردّة، دار الجريدة (بيروت،١٩٧٩) ص٢٣٧.

٣ ـ Ben Gurion, Credo of A Jew, Jerusalem Post, (July 19, 1957)

إلا أنّ كون إسرائيل دولة يهودية، لم ينفِ عنها تطبيقها للنظام الاشتراكيّ الذي اعتبرت موسكو يوم نشوء إسرائيل أنّ اليهود سيكونون رسله في الشرق الأوسط. ذلك أنّ الدين اليهوديّ لا يمنع تطبيق الأنظمة الإشتراكيّة الحديثة، كون كتابهم المقدّس لا يتدخّل في الشؤون الإقتصاديّة وفي التفاصيل الدنيويّة، رغم تفسيرات بعض "الأورثوذوكسيّين" اليهود الذين يشكّلون أقليّة في إسرائيل.

حائل واحد يجعل العلمنة الكاملة في إسرائيل أمرًا مستحيلاً، هو على انفراده، حائل مبدئي جوهريّ هام، ألا وهو أنّ إسرائيل قد أنشئت لتكون دولة لليهود، فإذا تمّت العلمنة الكاملة، وألغي ذكر المذهب من القيود الرسميّة، انهارت إسرائيل كدولة قوميّة يهوديّة، وغدت كواحدة من سائر الدول العلمانيّة في العالم. هذا التناقض، يجعل من إسرائيل دولة حائرة، ويؤدّي إلى عدم انسجام بين كافّة مواطنيها، بما في ذلك عناصر أجهزة الاستخبارات التي ستشهد منذ نشوئها صراعات مريرة سوف نحاول تبيانها.

فبين التيّار المتديّن المتمسّك بـ"أورثوذوكسيّة" الدين، والتيّار التقدميّ المنادي بالعلمنة، تمكّن بناة الدولة الإسرائيليّة من التوفيق الهش.

ففي مقالة بعنوان "الدين مصدر القوميّة اليهوديّة" تحدّث "ميخائيل بينس" أحد روّاد الصهيونيّة عام ١٨٩٥ عن انفتاحه على المعرفة العلميّة "لكنّه يسعى إلى تحقيق تزاوج بين العلم والإيمان. فالتنوير لا يعني فصل المعرفة العلميّة عن مبادئ الإيمان وعزل الواحد منهما عن الآخر... وماذا يتبقّى من القوميّة اليهوديّة فيما لو جرى طلاقها عن الدين اليهوديّ؟"

بعد هذا التساؤل، يجيب بينس: "لن يبقى سوى معادلات فارغة وعبارات جميلة ومنمّقة"...

ثم ينتهي إلى القول بأنّ القوميّة التي يمثّلها هي القوميّة التي روحها التوراة، وحياتها مستمدة من تعاليمها ووصاياها[١]".

وهكذا، أضحت الدولة العبريّة أسيرة المبادئ الصهيونيّة التي فرضتها دولة مرتبطة بدين. ولا مناص اليوم لإسرائيل من هذا الأسر.

إنّ المخابرات الإسرائيليّة نموذج غريب من نوعه في العالم أجمع، لا يماثله جهاز مخابرات آخر، شكلاً ومضموناً. فهي الوحيدة التي قامت قبل قيام الدولة بنصف قرن. والوحيدة التي بنت دولة من الشتات بالإرهاب والمجازر والأساطير... إذ ولدت من داخلها عصابة من السفّاحين والقتلة الذين أبادوا من الشعب الفلسطينيّ مئات ألوف الشهداء، وسفكوا دماء مئات ألوف الجرحى، وأعاقوا مئات الألوف من الشبّان والأطفال والمسنّين، وشرّدوا ملايين المواطنين عن ديارهم، واغتالوا مئات الأشخاص في كافّة أقطار العالم.

هكذا عملت المخابرات الإسرائيليّة على تحقيق الحلم المسعور، حلم إقامة الدولة على أرض عربيّة انتزعت انتزاعًا، بالتآمر والمال والخيانة، واحتلّت خريطة "من النيل إلى الفرات" مساحة كبيرة على أحد جدران الكنيست الإسرائيلي، تُذكّر عصابات اليهود بحلم إسرائيل الكبرى الذي ما يزال يراود آمالهم، فأرض فلسطين المغتصبة ليست بحجم خيالهم، بل هي نقطة بداية وارتكاز في أذهانهم، يعقبها انطلاق وزحف على غفلة من العرب إلى سائر أقطار خريطة أحلامهم[١]. ففي كتبهم المقدّسة زعموا أنّ نبيّهم إسرائيل (يعقوب) سأل إلهه قائلاً:

---

١ - راجع: Herzberg Arthur, *The Zionist Idea* (New York,1959) P.414.

٢ - الفالوجي فريد، جواسيس الموساد العرب، مكتبة مدبولي (القاهرة،٢٠٠٣) ص١٨ - ١٩.

ـ لماذا خلقت خلقًا سوى شعبك المختار؟ فقال له الربّ:

ـ لتركبوا ظهورهم وتمتصّوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوّثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم[1].

فأصبحت هذه الخرافة الأكذوبة على الله مبدأ ودينًا عند اليهود الذين يفاخرون بأنّهم جنس آخر يختلف عن سائر البشر.

لقد نشأت المخابرات الإسرائيليّة للعمل على تنفيذ توصيات المؤتمرات الصهيونيّة التي جاء في أحدها، وهو المؤتمر العاشر المنعقد في سويسرا عام ١٩١٢:

ـ تدعيم النظم اليهوديّة في كلّ بلدان العالم حتّى يسهل السيطرة عليها.

ـ السعي لإضعاف الدول بنقل أسرارها إلى أعدائها، وبذر بذور الشقاق بين حكّامها، ونقل أنظمتها إلى الإباحيّة والفوضى.

ـ اللجوء إلى التملّق والتهديد بالمال والنساء لإفساد الحكّام والسيطرة عليهم.

ـ إفساد الأخلاق والتهييج للرزيلة وتقوية عبادة المال والجنس.

ـ ليس من بأس أن نضحّي بشرف فتيّاتنا في سبيل الوطن، وأن نكون التضحية كفيلة بأن توصل لأحسن النتائج[2].

---

١ ـ سفر المكابيّين الثاني، ١٥ ـ ٢٤.

٢ ـ الفالوجي، جواسيس الموساد العرب، ص١٩ ـ ٢٠.

في البدايات

بعد التوجيهات التي صدرت عن مؤتمر يهود العالم في "بال" عام ١٨٩٧ بالموافقة على منهج "هرتزل" الذي يحتوي على:١) تبنّي فكرة استعمار يهوديّ منظّم بمقياس واسع لفلسطين؛ ٢) الحصول على حقّ قانونيّ معترف به دوليًّا بشرعيّة استعمار اليهود لفلسطين؛ ٣) تشكيل منظّمة دائمة تعمل على توحيد جميع اليهود للعمل في سبيل الصهيونيّة... تسلّلت الهجرات اليهوديّة إلى الأراضي الفلسطينيّة تحت الرعاية البريطانيّة والأميركيّة، وبشكل مباشر وبعداء واضح تجاه سكّان البلاد الأصليّين من العرب الفلسطينيّين.

ولمّا كان الوجود اليهوديّ عدوانيًّا يهدف لإعلان دولة، فقد تمّ تأسيس المليشيا العسكريّة السريّة لليهود لتنفيذ البرنامج المتعلّق بالاستعمار والتوسّع ومواجهة الخطر العربيّ والمقاومة المتزايدة الناتجة عن اعتراض العرب على الاستعمار الصهيونيّ لأراضيهم في فلسطين. وبدأ تأسيس المليشيا العسكرية اليهودية من العناصر العبريّة المتواجدة في الجيش البريطانيّ في تشكيلات تدريجيّة حيث تمّ تأسيس "الهاغاناه" وتعني "فرقة الدفاع"، في كانون الأوّل ـ ديسمبر عام ١٩٢٠ باعتبارها منظّمة عسكريّة سريّة تهدف إلى الحفاظ على المصالح اليهوديّة بالقوّة والعنف. وينصّ دستورها على أنّها مليشيا شعبيّة مفتوحة لكلّ عبريّ وعبريّة يبلغان من العمر ١٧ عامًا وما فوق. وقد قام الإستعمار البريطانيّ بدعمها. وبلغ عدد أفرادها عام ١٩٣٩ حوالي ١٠٠ ألف عضو

موزعين على عشر كتائب وتحت قيادة أعتى عناصر الإرهـاب الصهيونـيّ، وباشـرت عمليّاتها الإرهابيّة ضدّ العرب الفلسطينيّين وممتلكاتهم.

وقد حدثت صراعات داخل "الهاغاناه" بين اليهود المؤسّسين لها، أدّى لانشطار مجموعة منهم عـام ١٩٣٥ وأعلنـوا عـن قيـام منظمـة "أرغونـي زفـاي عيومـي" أي "المنظّمـة العسكريّة الوطنيّـة ــ الأرغـون"، وكـانت منظّمـة إرهابيّـة اسـتهدفت الفلسطينيّين وممتلكاتهم، وقامت بعمليّات إرهابيّة وبتطهير عرقـيّ، وكـانت تدعـو إلـى ضرورة ممارسة العنف والقتل والإرهـاب تجـاه الفلسطينيّين مـن أجـل إيجـاد الدولـة اليهودية.

كان مؤسّس الـ"أرغون" دايفيد رازيال، ضابطًـا رفيـع المسـتوى فـي الاسـتخبارات البريطانيّة، قُتل في مهمّة في العراق وهو بلباسه العسكريّ عام ١٩٤١[١].

إلا أنّ "الأرغـون" تعرضـت لانشـقاق نتـج عنـه ولادة منظمـة إرهابيـة جديـدة هـي "لوصامي حبروت إسرائيل" أي "المقاتلون من أجل حرية إسرائيل"، واتّخـذت لهـا اسـم "ليحي" اختصارًا، ومارست هذه المنظمة الإرهابيّة كافة عمليّات السطو والقتل والتنكيل بالعرب الفلسطينيّين من أجل تحقيق هدف تفريغ فلسطين من سكّانها العرب.

فقد انتشرت أساليب العنف والإرهـاب الصـهيونيّـة تجـاه العـرب الفسـطينيّين حيـث توحّدت منظمـات المليشـيا الصهيونيّة الإرهابيّـة فـي أعمـال مشـتركة تجمـع الهاغانـاه والأرغون وليحي لشنّ حرب عصابات ضد العرب وممتلكاتهم، ونسقت الأعمال في ما بينها وأصبحت ذات تخصّصات عدائيّة تشمل:

---

١ ـ هيرش سيمور م.، خيّار شمشوم، الترجمة العربيّة، مكتبة بيسان (بيروت،١٩٩٢) ص٢١٠.

قيام الهاغاناه بمهاجمة المنشآت والأهداف الحيويّة، وتقوم الأرغون بعمليّات التفجير والعنف والتدمير، وتواصل ليحي أنشطتها في أعمال القتل والاغتيالات. كل ذلك تحت مرأى ومسمع القوّات البريطانيّة التي أفسحت في المجال لممارسة الإرهاب الصهيونيّ في فلسطين.

نفّذت المنظّمات الإرهابيّة عمليّات مشتركة استهدفت منشآت السكّة الحديديّة في رام الله، والهجوم على معمل تكرير البترول في حيفا، وتدمير خطوط الهاتف والمكاتب الحكوميّة ونقاط الشرطة والسيّارات العسكرية، وكان الهدف من هذه العمليّات مباشرًا، وهو تنفيذ خطّة للقضاء على عروبة فلسطين والاستيلاء على القرى والممتلكات للإستيطان، وتغيير الأسماء العربية وإطلاق أسماء عبرية عليها في مغالطة تاريخيّة، الغرض منها تفريغ فلسطين من سكّانها الأصليّين، وذلك بإجبار العرب على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وإرغامهم على النزوح من فلسطين. فقد شنّوا حرب الإبادة والإرهاب كوسيلة للإستيلاء على الأرض حيث شهدت القرى العربيّة الآمنة أكبر وأقصى وأعنف حرب إبادة عن طريق القتل والإرهاب بكلّ وسائله، من العبوات الناسفة في أماكن التجمعات البشرية، واغتيال المارّة، وهدم المنازل، والاعتداء على النساء، والإغارة على القرى، وإقامة المذابح البربريّة للأطفال والشيوخ والنساء والتمثيل بأجسادهم وبقر بطون الحوامل لإشاعة الرعب والهلع[١].

ويروي باحثون غربيّون عن هذه المرحلة كالتالي:

حائط المبكى، وهو كلّ ما بقي من أثر للهيكل الثاني الذي بناه هيرود العظيم في القدس، منذ قرون واليهود يأتونه جماعات وأفرادًا للصلاة... لكنّ مساء يوم الجمعة من

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص٢٥٧ ـ ٢٥٩.

من أيّام أيلول ـ سبتمبر ١٩٢٩، كان مختلفًا. لقد استحثّ يومها "الرابيّون" ما أمكنهم من الرجال للصلاة جماعةً ولإظهار تصميمهم على ممارسة حقّهم في هذا. ولم يكن المقصود من ذلك التعبير عن إيمانهم، بل أن يكون رمزًا ظاهرًا لصهيونيّتهم، ورسالة للسكّان العرب الذين يفوقونهم عددًا بكثير مفادها أنّ التهديد لن يروّعهم.

منذ شهور والإشاعات كانت تتوالى عن أنّ السكّان المسلمين يستشيطون غيظًا من جديد إزاء ما يعتبرونه توسّعًا صهيونيًّا. كانت هذه المخاوف قد بدأت مع إعلان بلفور سنة ١٩١٧ وعده بتأييد قيام وطن يهوديّ في فلسطين. واعتبر العرب ذلك إهانة، فهم يعيشون في فلسطين ويحرثون أرضها منذ عهد النبيّ محمّد ﷺ. وها هي الآن تتعرّض للخطر، وربّما سلبهم إيّاها الصهاينة وحماتهم البريطانيّون، الذين جاؤوا عند نهاية الحرب العالميّة الأولى ليضعوا فلسطين تحت الانتداب. وقد حاول البريطانيّون استرضاء العرب واليهود معًا، فجرّت سياستهم هذه إلى الكارثة، ذلك أنّ التوتّر قد ازداد بين الجانبين، ووقعت مناوشات وعمليّات سفك دماء. وغالبًا ما كان السبب خلافًا حول مكان بناء كُنُس وبيوت عبادة لليهود. لكنّ اليهود كانوا مصمّمين بعناد على ممارسة "حقوق العبادة" عند حائط المبكى في القدس، إذ اعتبروا ذلك جزءًا من عقيدتهم الإيمانيّة.

وبحلول ظهر ذلك اليوم الذي كان اليهود قد توافدوا فيه إلى حائط المبكى بكثافة ملحوظة وغير معهودة، وعند حلول موعد صلاة "إسمع يا إسرائيل"، كان هناك ما يقرب من ألف شخص يقرأون بصوت عال كلمات التوراة القديمة أمام الحائط المبنيّ بالحجر الرمليّ الأصفر. وفجأة، أمطرت السماء قذائف حجارة وزجاجات فارغة وعلبًا معدنيّة محشوّة بالحصى، فقد شنّ الهجوم عرب أخذوا استحكامات حول حائط المبكى. ولعلع صوت أوّل رصاصة، ثمّ كان رشق عشوائيّ من بنادق قديمة يستخدمها قنّاصة

فلسطينيّون. وقد سقط بعض اليهود مصابين، فجرّهم وراءهم جيرانهم الفارّون. غير أنّ أحدًا لم يقتل في تلك المعمعة وإن كان الجرحى بالعشرات.

في تلك الليلة اجتمع قادة الجالية اليهوديّة في فلسطين، وسرعان ما تبيّن لهم أنّ مظاهرتهم التي اعتنوا بتنظيمها كانت تفتقر إلى عنصر أساسيّ: العلم المسبق بالهجوم العربيّ. وباسم الحضور تحدّث أحدهم فقال:

"إنّنا بحاجة لتذكّر ما جاء في التوراة، منذ داود الملك وجماعتنا تعتمد على الاستخبارات الجيّدة".

فقد غرس هؤلاء البذار الذي سيصبح في ما بعد أشدّ أجهزة استخبارات العالم الحديث إرهابًا: الموساد. لكنّ ولادة ذلك الجهاز ستنتظر عشرات السنين، وستشهد مخاضات شديدة العسر. وكلّ ما أمكن زعماء اليهود اقتراحه كخطوة عمليّة أولى في تلك الليلة هو تجميع ما توفّروا عليه من مال والطلب إلى جيرانهم أن يفعلوا مثلهم، على أن يستخدم المال المجموع لرشوة حفنة من العرب كانت لا تزال متسامحة تجاه اليهود كي تقدّم لهم التحذيرات قبل وقوع أي هجوم جديد عليهم. على أن يستمرّ اليهود في ممارسة حقّهم بالصلاة عند حائط المبكى، من دون أن يعتمدوا على الحماية البريطانيّة، بل ستدافع عنهم عصابة الهاغاناه، وهي الميليشيا اليهوديّة الحديثة العهد. وفي غضون الأشهر التالية أمكن الاستعانة المزدوجة بالإنذار المسبق ووجود الميليشيا لإحباط الهجمات العربيّة. وساد الهدوء النسبيّ من جديد بين العرب واليهود للسنوات الخمس التالية.

في تلك الحقبة استمرّ اليهود في توسّعهم السرّي في جمع المعلومات الخطيرة. ولم يكن للعمليّة اسم رسميّ ولا قيادة. وكان يجري تجنيد العرب بصورة مرتجلة: باعة الكشتة الذين يعملون في الحيّ العربيّ في القدس، وماسحي الأحذية الذين يمسحون

أحذية ضبّاط الانتداب... هؤلاء جُعلوا موظّفين دائمين. وكان إلى جانبهم طلبة من كليّة الروضة العربيّة في المدينة وكذلك بعض المعلّمين ورجال الأعمال. ورويدًا رويدًا تمكّن زعماء اليهود من الحصول على معلومات مهمّة ليس عن العرب فقط، بل وعن البريطانيّين ومقاصدهم.

كان مجيء هتلر إلى الحكم عام ١٩٣٣ بداية نزوح اليهود الألمان إلى فلسطين. وبحلول عام ١٩٣٦ كان ما يزيد على ثلاثمائة ألف يهوديّ قد قدموا برحلة طويلة عبر أوروبّا. وكان عدد كبير منهم قد أصبح معدمًا عندما بلغ أرض فلسطين. وتمكّن زعماء اليهود من إيجاد الطعام والمسكن لهؤلاء. وخلال أشهر أصبح اليهود يعدّون أكثر من ثلث السكّان. ومرّة أخرى جاء ردّ الفعل العربيّ نفسه: ارتفعت من مآذن مئات المساجد والكنائس صيحات رجال الدين الداعية إلى إلقاء الصهاينة في البحر. وخلال كلّ اجتماع لأعضاء المجالس المحليّة كانت الأصوات الغاضبة ترتفع احتجاجًا وتنادي بوجوب منع اليهود من أخذ الأرض... يجب أن نمنع البريطانيّين من تزويدهم بالسلاح وتدريبهم... وقد زعم اليهود من جهتهم أنّ العكس هو الصحيح، وأنّ البريطانيّين كانوا يشجّعون العرب على أن يستعيدوا عن غير وجه حقّ أراض دُفعت أثمانها بطريقة مشروعة، على حدّ زعم اليهود...

استمرّ البريطانيّون في محاولاتهم تهدئة الجانبين، لكنّهم فشلوا. وسنة ١٩٣٦ تحوّلت الاشتباكات المتفرّقة إلى ثورة عربيّة واسعة النطاق ضدّ البريطانيّين واليهود معًا. فقمع البريطانيّون التمرّد بلا هوادة. أمّا اليهود فقد شعروا بأنّ غضب العرب سيثور من جديد ولن يلبثوا أن يعاودوا الضرب. وفي جميع أنحاء فلسطين اندفع الشبّان اليهود للإنضمام إلى الهاغاناه. وأصبح هؤلاء نواةً لجيش سرّيّ مخيف: رماة ممتازون متينو الأجساد ويتمتّعون بدهاء ثعالب الصحراء في النقب. وتمدّدت شبكة

المخبرين العرب، وأنشئت دائرة سياسيّة تابعة للهاغاناه لإثارة الشقاق داخل المجتمع العربيّ من خلال الإعلام المضلّل.

ويقول باحثون[1] إنّه في هذه الحقبة المهمّة التي سبقت الحرب العالميّة الثانية اكتسب بعض اليهود بالتجربة المهارات التي سوف تجعل منهم في ما بعد نوابغ في دنيا الاستخبارات الإسرائيليّة. وأصبحت الهاغاناه أكثر القوى العاملة في فلسطين وأوسعها معرفة.

---

١ ـ طوماس غوردون، إنحطاط الموساد، إغتيالات وأكاذيب وارتزاق، ترجمة د. محمّد معتوق، دار بيسان (بيروت،٢٠٠٠) ص٥٠.

إغتِيَال الكُونت برنَادُوت

ما كانت مسألة اغتيال الكونت "فولك برنـادوت" سنة ١٩٤٨، لتندرج في سياق الحديث عن المخابرات الإسرائيليّة لو لم يصبح أحد منفّذيها "يهوشوا كوهين" عضوًا في جهاز شين بيت الاستخباراتي الذي أنشئ قبل الموساد، ليصبح في ما بعد حارسًا خاصًّا لرئيس الوزراء بن غوريون. ذلك أنّ اغتيال برنـادوت قد حصل في أيلول ـ سبتمبر ١٩٤٨ قبل أن يلتحق كوهين بجهاز شين بيت. غير أنّ عصابة "ليهي" أو "شتيرن" كان لها مخابراتها قبل نشوء دولة إسرائيل.

كان "مائير شتيرن"، مؤسّس هذه الحركة المنسوبة إليه، يعتبر صراع اليهود ضدّ البريطانيّين أهمّ من الحرب العالميّة ضدّ دول المحور. وقد حاول زعماء هذه المنظّمة في عام ١٩٤٠ عقد اتّفاق مع الرايخ الثالث يسمح بتهريب يهود ألمانيا وأوروبّا إلى فلسطين لمواصلة قتال البريطانيّين، حيث كان بن غوريون يدعم مجهود اليهود الحربيّ، بالإضافة إلى "أرغون"، المجموعة الإرهابيّة المنافسة التي سيتزعّمها مناحيم بيغن سنة ١٩٤٣. وقد سعت مجموعة شتيرن التي كانت تواجه ضغطًا متزايدًا للمحاربة إلى جانب الحلفاء، إلى إجراء مفاوضات مباشرة في إحدى المراحل مع "أوتو فون هنتنغ"، ممثّل وزارة الخارجيّة الألمانيّة. إلاّ أنّ المفاوضات لم تسفر عن أيّ نتيجة. وقد ذكر فون هنتنغ في مذكّراته أنّه اجتمع إلى وفد يهوديّ من شتيرن جاء ليعرض عليه التعاون مع النازيّين، وحتّى محاربة الصهاينة الموالين للحلفاء، إن ضمن

لهم هتلر استقلال فلسطين اليهوديّة بعد الحرب، وجرت محادثات مماثلة لممثّلين عن شتيرن مع الزعيم الإيطالي "بنيتو موسوليني"، عرض عليه في خلالها جماعة شتيرن أن يقوم الزعيم الإيطاليّ بتأمين مخيّمات موقّتة وممرًّا وأسلحة للاجئين اليهود مقابل تعاون مجموعة شتيرن في نشر النفوذ الإيطاليّ في الشرق الأوسط[1].

كان من مآثر مخابرات شتيرن عمليّة اغتيال برنادوت التي تمثّل قمّة الإرهاب الصهيونيّ.

ولد الكونت "فولك برنادوت أوف فيسبورغ" في العاصمة السويديّة ستوكهلم سنة ١٨٩٥. وأصبح ضابطًا سويديًّا يمتّ بصلة القرابة إلى ملك السويد "غوستاف الخامس". كان يتمتّع بثقافة عالية وبشخصيّة دبلوماسيّة محترمة.

ترأس الكونت برنادوت الصليب الأحمر السويدي زمنًا، ونقل في العام ١٩٤٥ طلب ألمانيا بالاستسلام الذي رفضه الحلفاء وأصرّوا على استسلام دول المحور دون قيد أو شرط. وعند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين عيّن برنادوت في ٢١ أيّار ـ مايو ١٩٤٨ كوسيط دوليّ. وقد أبلغه "تريغفي لي" سكرتير عام هيئة جمعيّة الأمم المتّحدة أنّ صلاحيّاته تتلخّص في النقاط التالية:

١ ـ إتّخاذ جميع الوسائل التي تضمن سلامة السكّان وصيانة الأماكن المقدّسة والسعي لإحلال السلام بين العرب واليهود في فلسطين.

٢ ـ التعاون مع لجنة الهدنة التي عيّنها مجلس الأمن في قراره الصادر بتاريخ ٢٣ نيسان ـ إبريل ١٩٤٨.

---

١ ـ هيرش سيمور م.، خيّار شمشوم، الترجمة العربيّة، مكتبة بيسان (بيروت،١٩٩٢) ص٢١٠.

٣ ـ التعاون مع جميع فروع هيئة الأمم الأخرى كالمنظّمة الصحيّة من أجل تأمين مصالح السكّان.

ويذكر برنادوت في مذكّراته "أنّه لم يكن مقيّدًا بقرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتّحدة في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٧".

وصل برنادوت إلى فلسطين إثر تكليفه مهمّته، وأخذ يتنقّل بين تلّ أبيب والدول العربيّة برفقة عدد من المراقبين الدوليّين الموضوعين تحت تصرّفه. وكان يبذل جهوده بحياء لتخفيف حدّة التوتّر، وإنهاء حالة النزاع. ولكنّه استقبل من قبل العرب والإسرائيليّين بكثير من الحذر. فقد رأى العرب أنّه وسيلة من وسائل الأمم المتّحدة لتحقيق قرار التقسيم الذي رفضوه، واعتبره الإسرائيليّون صنيعة واشنطن ولندن للحيلولة دون توسّعاتهم. بيد أنّه كتب في مذكّراته أنّه كان ينعم بثقة العرب، وأنّ الاسرائيليّين كانوا يناوئونه بشدّة.

وفي ٢٧ حزيران ـ يونيو ١٩٤٨، اقترح "برنادوت" على العرب والإسرائيليّين، في اجتماعات منفردة، مقترحات أوليّة لبحث المفاوضات، خلاصتها:

> تقسيم فلسطين وشرق الأردن إلى وحدتين عربيّة ويهوديّة، ورسم حدودهما من قبل لجنة فنيّة، ودخول هاتين الوحدتين في اتّحاد يشرف على شؤونه مجلس مركزيّ وعدد من المجالس الأخرى، مع إعطاء الحريّة بالهجرة إلى كلّ وحدة لمدّة سنتين، تحدّد الهجرة بعد مرورهما. وفي حالة تعذّر حلّ المعضلات داخل مجلس الاتّحاد المركزي، يجوز لأيّ فريق أن يرفع الأمر إلى هيئة الأمم المتّحدة. ونصّت المقترحات على حريّة العبادة وحقوق الأقليّات والحفاظ على الأماكن المقدّسة وحقّ العودة للذين هجّروا من البلاد أو تركوها بسبب الحرب...

وكان من مقترحات برنادوت:

> تعديل قرار التقسيم الصادر بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ عن طريق: ضمّ النقب كلّه أو بعضه إلى اليهود، وضمّ مدينة القدس إلى العرب، مع إعطاء اليهود حريّة العمل بشؤون البلديّة وضمان الوصول إلى الأماكن المقدّسة. وإعادة النظر في وضع يافا. وإقامة منطقة حرّة في ميناء حيفا تضمّ مصافي البترول. وإقامة منطقة طيران حرّة في اللد...

رفض العرب والإسرائيليّون مقترحات برنادوت على حدّ سواء. وكان الموقف الإسرائيليّ مشوبًا بالحقد المكشوف على الوسيط الدوليّ، وخصوصًا على اقتراحه المتعلّق بالقدس. وأمام هذا الرفض تقدّم برنادوت في ٥ حزيران ـ يوليو ١٩٤٨ بمقترحات معدّلة تتضمّن:

> مدّ أجل الهدنة، وتجريد منطقة القدس من السلاح، وتجريد منطقة مصافي البترول في حيفا من السلاح أيضًا.

كان ردّ العرب واليهود على هذه النقاط مبهمًا، إلاّ في ما يتعلّق بالهدنة التي رأى الطرفان أنّ من الممكن تمديدها.

وفي ١٣ آب ـ أغسطس ١٩٤٨ سافر برنادوت إلى ستوكهولم لحضور المؤتمر السابع للصليب الأحمر. وعقد هناك مؤتمرًا صحافيًّا بيّن فيه تأثّره لحالة اللاجئين العرب التي تتطلّب سرعة إنقاذ. وكان الكونت برنادوت في خلال المؤتمر محروسًا من قبل رجلين نظرًا لورود معلومات تؤكّد أنّ هناك مؤامرة لاغتياله.

وفي ٣١ آب ـ أغسطس عاد الوسيط الدوليّ إلى القدس جوًّا عن طريق دمشق، وتوجّه إلى مشارف الرملة ليتباحث مع العميد "نورمان لاش" القائد البريطاني في الفيلق الأردني المتمركز حول القدس. ثمّ عاد إلى القدس، وعندما وصلت سيّارته إلى

مقربة من جبل "المكبر" أطلقت باتّجاهه طلقة ناريّة من ناحية الجامعة العبريّة ومستشفى "هداسا"، فأصيبت عجلة السيّارة الخلفيّة، ولكنّه استمرّ في سيره. ومن ثمّ تابع مهمّته من دون أن يحيط نفسه بحراسة أو أن يستعمل سيّارة مصفحّة في تنقّلاته، لاعتقاده بأنّه ليس هناك من يجرؤ على قتل إنسان ورع مثله، وهو ممثّل الأمم المتّحدة ويرتدي شارة الصليب الأحمر الدوليّ.

إلاّ أنّه في يوم ١٧ أيلول ـ سبتمبر ١٩٤٨، قام الكونت برنادوت بزيارة تفقّديّة لمنطقة القدس. وكان في سيّارة تابعة للأمم المتّحدة ومعه سيّارتان من سيّارات الصليب الأحمر، وعندما وصل الرتل إلى سفح "تلّ الخطيئة"، أوقف السيّارات الثلاث ستّة رجال في عربة جيب من عربات الجيش الإسرائيلي، وقفز من العربة رجلان مسلّحان بمدفعي "ستن"، وأطلقوا النار على سيّارة الوسيط الدوليّ، فأصاب الرصاص الكونت برنادوت والمراقب الدوليّ العقيد "أندريه سيرو" الجالس إلى يمينه، فقتل سيرو فورًا، أمّا إصابة برنادوت فكانت بليغة ما أدّى إلى وفاته بعد عدّة ساعات. ونجا الضابط السابق في البوليس الأميركيّ "فرانك بغلي" الذي كان يقود سيّارة برنادوت، والرائد الأميركي "كوكس" الجالس إلى جواره، والجنرال "أ. ج. لند ستروم" الذي كان يجلس إلى يسار الوسيط الدولي[١].

وُجّهت تهمة قتل برنادوت إلى أعضاء من منظّمة شتيرن الإرهابيّة. إلاّ أنّ أحد منظّمي العمليّة ومنفّذيها "يهوشوا كوهين"، سوف يصبح عضوًا بارزًا في جهاز المخابرات الإسرائيليّ شين بيت، وحارسًا شخصيًّا لرئيس الوزراء بن غوريون.

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، ملفّ الاستخبارات الإسرائيليّة، في موسوعة الأمن والاستخبارات في العالم، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣) ص٦٢ ـ ٦٥.

ملك المخابَرات الإسرَئيليَّة

أنشئت المخابرات الصهيونيّة الأولى، أول ما أنشئت، بتوصية من المؤتمر اليهوديّ الأول الذي عقد في يوم الأحد ٣٩ آب - أغسطس ١٨٧٩، في بال سويسرا. وكانت تلك المخابرات غير منظّمة مهمّتها الرئيسيّة العمل على تهجير اليهود من دول العالم، وبخاصّة أوروبّا الشرقيّة، إلى فلسطين، وشراء الأراضي فيها لتثبيت أقدام اليهود المهجّرين في معسكرات ومستوطنات محصّنة. تلك المستوطنات التي لم تكن سوى بداية تحقيق الحلم الصهيونيّ. ذلك أنّ المستوطنة هي الوطن المصغّر، أي إسرائيل الصغرى، وإنّ مستوطنات وشعبًا وزراعة واقتصاد وسلاح وجيش تعني: دولة إسرائيل[1].

أمّا أجهزة المخابرات الإسرائيليّة فقد أنشئت أول ما أنشئت سنة ١٩٣٤ تحت إسم "شيروت يديعوت" وعرفت اختصارًا باسم "شاي Shai"، وكانت تتبع الجيش اليهودي السرّي في فلسطين المعروف باسم الـ"هاغاناه" قبل نشوء دولة إسرائيل. ومعنى كلمة هاغاناه: الدفاع.

كان إنشاء شاي على أيدي: "سول مايبيروف" المولود عام ١٨٩٩ في "لاتفيا"، وقد اتّخذ إسمًا حركيًّا له "شاؤول أفيجور" أي "أبي غور" إحياء لذكر ابنه "غور مايبيروف" الذي قضى في خلال حرب اليهود الأولى مع العرب.

---

١ - الفالوجي فريد، جواسيس الموساد العرب، حاشية الصفحة ١٨.

والمؤسّس المشارك لأفيجور كان اسمه "روفين شيلوح"، المولـود سنة ١٩٠٩ فـي حيّ يهوديّ متزمّت من أحياء القدس، واسمه الأصلي "روفين زاسلانسكي"، إبن الحاخام "إسحق زاسلانسكي"، وكان روفين قد قام باختصار اسمه من زاسلانسكي إلى "زاسلاني" قبل أن يتّخذ اسمه الحركي شيلوح، وهو مشتقّ من الكلمة العبريّة "شالياح" أي "المبعوث". وهو الذي سوف يعمل مستشارًا خاصًّا لرئيس الوزراء "بن غوريون" للشؤون الخارجيّة والاستراتيجيّة العامّة، وسوف يستخدم مرارًا كمبعوث على مستوى عال لبن غوريون في مهامّ سريّة متعدّدة.

أمّا مهمّة شيلوح الخارجيّة الأولى فكانت في آب ـ أغسطس ١٩٣١ قبل أن يبلغ الثانية والعشرين من عمره، فقد زرعته الوكالة اليهوديّة في عمق العالم العربيّ ببغداد، وكان غطاؤه وظيفة مدرّس في إحدى المدارس، وقدّم نفسه أيضًا على أنّه صحافيّ حرّ، الأمر الذي جعل تجوالاته في أنحاء العراق تبدو طبيعيّة جدًّا. وفي غضون ثلاث سنوات أنشأ "شيلوح" شبكة فعّالة من مصادر المعلومات. ويقول باحثون[1] إنّ أكثر الدروس التي تلقّنها شيلوح حدثت خلال جولته في جبال كردستان في شمال العراق، حيث أقام اتّصالات مع سكّان الجبال من غير العرب الذين لا دولة لهم. وهو لم ينسَ الأكراد أبدًا، وفي خلال تنميته لرؤيته الشخصيّة لمستقبل مؤسّسة التجسّس الإسرائيليّة ركّز على الحاجة إلى إقامة تحالفات سريّة مع جميع الأقليّات غير العربيّة في الشرق الأوسط. وشعر أنّه يمكن أن يكون لليهود أصدقاء متناثرون حول محيط العالم العربيّ، وأصبحت فلسفة شيلوح المحيطيّة عقيدة ثابتة بالنسبة للمخابرات الإسرائيليّة.

---

١ ـ رافيف دان، وميلمان يوسي، أمراء الموساد، كلّ جاسوس أمير، تعريب ممدوح لطفي، دار الكتاب العربي (دمشق،١٩٩١) ص١٢.

عندما عاد شيلوح إلى القدس سنة ١٩٣٤ أوكلت إليه الهاغاناه مهمّة تشكيل قسم مخابرات محترف لحماية المصالح البعيدة الأمد للجالية اليهوديّة في فلسطين. فانكبّ شيلوح على تنفيذ المشروع مع أفيجور. وفي خلال مدّة قصيرة أنشأ شاي، وكانت وظيفة شيلوح العلنيّة هي ضابط اتّصال بين الوكالة اليهوديّة وبين الحكّام البريطانيّين لفسطين.

عندما اندلعت الحرب العالميّة الثانية انتهز شيلوح الفرصة لتعميق هذه العلاقة، فألمانيا النازيّة كانت العدوّ المشترك لكلّ من اليهود والبريطانيّين... فأسهم في تشكيل لواء داخل القوّات المسلّحة البريطانيّة. هذا اللواء هو الذي سيصبح جزءًا من ركيزة الجيش الإسرائيلي. كما تمكّن شيلوح من تجنيد ستة وعشرين مظليًّا يهوديًّا للعمل لحساب المخابرات البريطانيّة، وقد تمّ إنزال هؤلاء خلف خطوط النازي في دول البلقان. بعض هؤلاء تمّ القبض عليهم وسجنهم ومن ثمّ إعدامهم بوصفهم جواسيس، وبعضهم الآخر نجا وأتمّ تنفيذ مهامّه، وجلّ هؤلاء سوف يصبحون في ما بعد نشطاء في المخابرات الإسرائيليّة.

لم تقتصر نشاطات "ملك المخابرات الإسرائيليّة" في تلك الحقبة على المسائل العملانيّة الحربيّة والمخابراتيّة المباشرة، بل تعدّتها إلى شؤون من نوع العلاقات العامّة ذات الرؤية المستقبليّة. فقد أقام صداقات قويّة مع ضبّاط مخابرات الجيش البريطاني في القدس والقاهرة، كما تقرّب من عملاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الأميركيّة الذي سيصبح في العام ١٩٤٧ نواة لوكالة الاستخبارات المركزيّة الأميركيّة. وقد تمّ تدعيم هذه الروابط بعد الحرب، وكانت الأساس لبناء صلات حيويّة بين وكالة المخابرات المركزيّة وبين المخابرات الإسرائيليّة.

من أقوال "ملك المخابرات الإسرائيليّة" شيلوح:

"العدوّ رقم واحد للمجتمع اليهوديّ هو الشعب العربيّ، ,إنّـه ليتعيّـن علينـا اختـراق المجتمع العربيّ من جـانب عمـلاء محـترفين... وينبغـي علـى المخـابرات الاسـرائيليّة أيضًا أن تفكّر في ما يتجاوز فلسطين، بوصف هذه الخابرات حاميـة يهوديّـة صـهيونيّـة لليهود في أنحاء العالم... ويتعيّن أن يرتكـز العمـل السـرّي علـى التكنولوجيـا الحديثـة، والاطلاع على أحدث صيحة في أسـاليب التجسّس عـن طريـق الاحتفـاظ بروابـط مـع الوكالات الصديقة في أوروبّا والولايات المتّحدة الأميركيّة[1]".

---

١ ـ دان ويوسي، أمراء الموساد، ص١٣.

المُخَابَرات

في جيش الدفاع الإسرائيلي

مع نشوء دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيّار ـ مايو سنة ١٩٤٨، تمّ دمج الهاغاناه في جيش إسرائيل الجديد الذي أطلق عليه إسم "جيش الدفاع الإسرائيلي". وبعد مرور ستّة أسابيع الغي جهاز شاي وأسّست مجموعة المخابرات الإسرائيليّة أو مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة، بناء على تنظيم وضعه أحد مؤسّسَي شاي روفين شيلوح، الذي وصف بأنّه "ملك المخابرات في إسرائيل"، وذلك على الشكل التالي:

١ ـ المخابرات العسكريّة: على أن تكون الوكالة المسيطرة في التنظيم الجديد للمخابرات، وكانت تسمّى عند تأسيسها "إدارة مخابرات الجيش"، وعرفت لاحقًا باسم "أمان Aman" أي الأمن، وقد كلّفت بمهام عديدة تتراوح بين جمع المعلومات عن الجيوش العربيّة، والرقابة على الصحف الإسرائيليّة، وضمان الأمن داخل الجيش الإسرائيلي، ومكافحة الجاسوسيّة.

٢ ـ وكالة "شين بيت Shin Bet": والاسم اختصار للاسم الكامل بالعبريّة الذي يعني "إدارة الأمن العام". أمّا مهمّة الوكالة فكانت تعقّب أعداء الدولة العبريّة داخل أراضيها.

٣ ـ إدارة المخابرات الخارجيّة: وعرفت باسم "القسم السياسي"، رئسها يومها رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجيّة الإسرائيليّة. وأنيطت بها مهامّ جمع المعلومات من خارج إسرائيل.

٤ ـ مجمع الهجرة: وهو جهاز كان قد أنشئ قبل قيام دولة إسرائيل، وأنيطت به مهام تهريب اليهود من دول العالم إلى داخل فلسطين. وفي هذه المرحلة كلّف جهاز مجمع الهجرة مواصلة أعماله بقيادة "شاؤول أفيجور" الذي كان قد أسهم في إنشاء جهاز شاي سنة ١٩٣٤. وكلّف أفيجور بالعمل وكيلاً لوزارة الدفاع، أي وكيل "بن غوريون" الذي شغل منصبي رئيس الحكومة ووزير الدفاع في آن واحد، وكانت مهمّة أفيجور شراء الأسلحة لدولة إسرائيل من أجل مواصلة حربها ضدّ العرب.

ويتحدّث بعض المراجع عن جهاز آخر للمخابرات أنشئ بتوصية من بن غوريون للكشف عن هويّة اليهود الذين يتعاونون مع البريطانيّين واقتلاع الشيوعيّين من المجتمع اليهودي، وعرف ذلك الجهاز باسم "ريغول هغدي"، وقد وضع بإمرة عضو سابق في رابطة المحاربين القدامى الفرنسيّين. ولم يلبث قائد هذه الوحدة أن عثر على نساء يهوديّات يصادقن ضبّاطًا من سلطة الانتداب، وكذلك عثر على مجموعة من أصحاب الحوانيت الذين يتاجرون مع البريطانيّين وأصحاب المقاهي التي تستضيفهم، وفي حلك الليل، كان هؤلاء "الجناة" يمثلون أمام محاكم ميدانيّة عسكريّة للهاغاناه، ومن يُدن منهم كان يحكم عليه بالضرب المبرّح أو يُعدم في تلال يهودا برصاصة واحدة في مؤخّرة رأسه. فقد كان ذلك نذيرًا للقسوة الوحشيّة التي سيشتهر بها الموساد في ما بعد[١].

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٥٠.

ويقول المصدر نفسه إنّه بحلول عام ١٩٤٥ أصبحت الهاغاناه تضمّ وحدة مسؤولة عن اقتناء الأسلحة. ولم تلبث كميّات الأسلحة الإيطاليّة التي تمّ الاستيلاء عليها في شمال أفريقيا بعد هزيمة رومل أن راحت تهرّب إلى يهود فلسطين عن طريق الجنود اليهود العاملين مع الحلفاء عبر صحراء سيناء. وكانت الأسلحة تصل محمّلة على الشاحنات المتداعية وقوافل الجمال فتخزّن في كهوف البريّة.

وبعد هزيمة اليابان في آب ـ أغسطس ١٩٤٥، وهي التي أدّت إلى إنهاء الحرب، وصل اليهود الذين عملوا في وحدات الاستخبارات العسكريّة التابعة لدول الحلفاء ليقدّموا خبرتهم إلى الهاغاناه.

المخَابرات العسكريَّة "آمان"

جهاز المخَابرات العسكريَّة الإسرائيليّة الذي يطلق عليه اختصارًا إسم "آمان"، هو الجهاز المسيطر على كافّة الأنشطة الاستخباراتيّة الععسكريّة الإسرائيليّة الداخليّة والخارجيّة، يقوم بتزويد وزارة الدفاع بالمعلومات التي يقع على عاتقه جمعها حول القوّات العسكريّة العربيّة وقياداتها وتعقب الوحدات العربيّة القتاليّة ودراسة أمكنتها وأهدافها المباشرة وتحرّكاتها. وينتشر عناصر هذا الجهاز بكثرة في أماكن الاشتباكات ومناطق التوتّر. وتقع في دائرة من دوائره مهمّة دراسة الوضع العسكريّ والأمنيّ بين إسرائيل والدول العربيّة، وتُرفع نتائج الدراسات إلى رئاسة الأركان الإسرائيليّة. كما تشرف المخابرات العسكريّة على متابعة الوضع الأمنيّ داخل وحدات الجيش الإسرائيلي النظاميّة وشبه النظاميّة من خلال وحدات أمن الميدان.

وقد زاد اهتمام المخابرات العسكريّة في متابعة الجيوش العربية بتعليم اللغة العربيّة لعناصر الجهاز الذي شُكّلت فيه وحدة جديدة أطلق عليها إسم "الوحدة الخاصّة لمحاربة العدوّ بسلاحه وتكتيكه"، وذلك بهدف إحداث إرباكات نفسيّة.

تضمّ وكالة المخابرات العسكرية ـ أمان: ١) "قسم المعلومات": وهو المسؤول عن عمليّات التجسّس على المواصلات السلكيّة واللاسلكيّة وتنسيق المعلومات الواردة من العملاء ومراقبة المصادر ووحدات الرصد القريبة والبعيدة؛ ٢) "المقر العام": وهو يشرف على مدرسة المخابرات العسكريّة التي يمضي فيها التلميذ مدّة سنتين، وتدرّس فيها المخابرات الجويّة والبريّة أيضًا، ويضمّ هذا القسم "شعبة التعليم"؛ ٣) "قسم الإمدادات والشؤون الإداريّة وشؤون المواطنين"؛ ٤) "قسم البحوث"، ويعنى بإعداد التقارير، ويضمّ الشعبة العلميّة وتصنيف الوثائق وشعبة الجغرافيا التي تنقسم إلى مكتب الغرب (مصر ـ السودان ـ ليبيا) ومكتب الشرق (سوريا ـ العراق ـ لبنان) ومكتب الجنوب (الأردن ـ وشبه الجزيرة العربية)؛ ٥) "قسم الأمن"، ويضمّ شعبة المعلومات الخارجيّة، ويقوم هذا القسم بتبادل المعلومات السريّة مع الدول الأخرى التي تربطها بإسرائيل معاهدات بهذا الخصوص.

وتقسم المخابرات العسكرية إلى: ١) المخابرات العسكريّة في الجيش؛ ٢) مخابرات سلاح الجوّ؛ ٣) المخابرات البريّة؛ ٤) قسم مكافحة التجسّس؛ ٥) قسم أرض المعركة؛ ٧) الأبحاث العلميّة؛ ٧) التنصت، وتستخدم فيه العقول الإلكترونيّة؛ ٨) أجهزة الإنذار المبكّر، وتستخدم فيه أجهزة الاستشعار الصوتية والرادارات وغيرها.

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص٢١٠ ـ ٢١١.

جهاز "شين بيت" ومَرَاكِزُ الأبحَاث

مهمّة جهاز "شين بيت" الاستخباراتي الإسرائيلي مكافحة التجسس داخل إسرائيل، وجمع المعلومات السرية عن التنظيمات السياسيّة ويتركّز جزء كبير من نشاطه على مراقبة العرب داخل فلسطين المحتلّة، ويقوم بتنفيذ العمليّات الإجراميّة والإرهابيّة ضدّ الفلسطينيّين باعتقالهم وتعذيبهم وتهديم منازلهم وقتلهم، ويضمّ عددًا من الدوائر:

١) "دائرة الشؤون العربيّة" ومهمّتها مراقبة ومتابعة نشاطات العرب ومكافحة العمل الفدائي؛ ٢) "دائرة الشؤون غير العربيّة" ومهمّتها العمل داخل الأحزاب السياسيّة في إسرائيل؛ ٣) "دائرة الأمن والمحافظة على النظام"؛ ٤) "دائرة التكنولوجيا"؛ ٥) "دائرة إسناد العمليّات"؛ ٦) "دائرة التفتيش والاستشارة القانونيّة"؛ ٧) "دائرة التنسيق والتخطيط"؛ ٨) "دائرة الشؤون الإداريّة.

وهناك العديد من مراكز الأبحاث التي تستعين بها المخابرات الإسرائيلية، منها:

"مجلس الأمن القوميّ الذي يقوم بإعداد تقارير حول الحرب السياسية في المنطقة"؛ "معهد دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا" الذي يزوّد المخابرات العسكريّة ووزارة الخارجيّة بدراسات عن مختلف البلدان العربيّة، وهو يُصدر كتابًا سنويًّا عن الشرق الأوسط؛ "معهد ليفي أشكول للأبحاث الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة"، وهو تابع للجامعة العبرية؛ "معهد هاري ترومان للأبحاث"، وهو تابع أيضًا للجامعة العبرية، ويعني بدراسة شؤون بلدان العالم الثالث من الناحيتين النظريّة والتطبيقيّة، وبدراسة

الصـراع العربـيّ الصـهيونـيّ بأوجهـه السياسيّة والاجتماعيّــة والثقافيّــة والاحتمــالات المتوقّعة؛ "مركز الدراسات الاستراتيجيّة" بجامعة تل أبيب[1].

أوّلُ غيثِ المآثر

عندمًا تمّ تأسيس الأجهزة الاستخباراتيّة المار ذكرها في جيـش الدفـاع الإسـرائيلي، كان قد ترأس مجموعة المؤسّسين الليفتنت كولونيل "إيسري بيري" مديـر شـاي. وكـان يبلغ من العمر سبعة وأربعين عامًا. وأبلغ بيري زملائه السبعة الذين حضـروا اجتمـاع التأسيس فـي الثلاثيـن مـن حزيـران ــ يونيـو ١٩٤٨ أنّ "الرجـل العجـوز"، أي بــن غوريون، رئيس الحكومة الإسرائيليّة، قد أصدر تعليماتــه بحـلّ جهـاز شـاي واستخدام العاملين فيه كأساس لمجموعة أجهزة مخابرات جديدة يتمّ تنظيمها. ويبدو أنّ هدف بـن غوريون من ذلك الإجراء لم يكـن مجرّد تغيير إسم جهـاز شـاي، بـل كـان حـلّ هـذا الجهاز والاستفادة من أعضائه والجماعات السريّة الصـهيونيّة الأخرى في إنشـاء أربـع وكـالات مخـابرات تغطّـي بأنشطتها كافّـة المجـالات. وقـد رأس بــيري نفســه جهــاز المخابرات العسكريّة "أمان" الذي جعلت له السيطرة على كلّ تلك الأجهزة. بينما جعـل "إيسر هاريل" رئيسًا للبوليس السرّي الذي أسّس يومها باسم "شين بت" كما سبق ذكـره، و"بوريس غوربيل" رئيسًا لإدارة المخابرات الخارجيّـة التـي عرفـت بالقسم السياســي، وشاؤول أفي غور رئيسًا لوكالة أو مجمع الهجرة كما سبقت الإشارة.

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

أول غيث مآثر الاستخبارات الاسرائيليّة ببنائيّتها الجديدة جاء على يد بيري نفسه، المؤسّس والرئيس الأعلى لتلك الأجهزة.

فعندما انتهت جلسة تأسيس الأجهزة الاستخباريّة الأربعة، طلب بيري من بعض الحضور البقاء في الغرفة. أمّا الموضوع الذي بحثه الذين ظلّوا في القاعة بعد خروج إيسر هاريل فكان موضوع المدعو "مائير توبيانسكي"[1].

وبعد ظهر الثلاثين من حزيران - يونيو ١٩٤٨، وبعد مرور بضع ساعات فقط على تولّيه مهام منصبه الجديد كمدير للمخابرات العسكريّة، عقد بيري محكمة لا تراعي مبادئ القانون والعدالة أدانت على عجل ضابطًا في الجيش الإسرائيلي بتهمة الخيانة، ونفّذ فيه حكم الإعدام فورًا. ذلك الضابط كان "مائير توبيانسكي"، الذي خدم في الهاغاناه وأصبح مسؤولاً بعد الاستقلال عن إنشاء القاعدة الدائمة الأولى لجيش الدفاع الإسرائيلي في القدس. وكان يشغل أيضًا وظيفة مدنيّة في شركة كهرباء القدس. وكان زملاء توبيانسكي الإسرائيليّون مشكّكين بشأن علاقته مع المدنيّين البريطانيّين في الشركة. وفي بداية حرب ١٩٤٨ كانت المدفعيّة الأردنيّة تحقّق ضربات دقيقة إلى حدّ مدمّر ضدّ القواعد الإسرائيليّة. واستنتج قائد شاي في القدس الميجور "بنيامين غيلبي" أنّه لا بدّ من أن يكون هناك جاسوس في صفوف الإسرائيليّين، وبدا منطقيًّا أنّ توبيانسكي العامل في شركة الكهرباء، بمقدوره تقديم المعلومات إلى رؤسائه في شركة الكهرباء، فيقومون هم بدورهم بتقديم النصيحة للضبّاط البريطانيّين الذين يقودون الفيلق العربي الأردني... والأهمّ من ذلك أن توبيانسكي كان ضابطًا برتبة مايجور في

---

١ - غرانوت عودد، الموسوعة العسكريّة الاسرائيليّة (٢)، سلاح الاستخبارات، ترجمة دار الجيل للنشر، ط١ (عمّان،١٩٩٨) ص١٣.

سلاح الهندسة الملكي التابع لبريطانيا في خلال الحرب العالميّة الثانية، وعرف عنه أنّه محبّ لإنغلترا.

هذه المواصفات كانت كافية لجماعة المخابرات الاسرائيليّة التي ولدت قبل ساعات لتأكيد الاتّهام على توبيانسكي الذي حكم عليه بالإعدام. فقد اجتمع قضاة في منزل مهجور بالقرب من الطريق الرئيسيّ الذي يربط بين القدس وتلّ أبيب، وكان أولئك القضاة أربعة، بينهم اثنان من ضبّاط شاي أحدهما بيري نفسه، وأجروا محاكمة ميدانيّة سريعة لم يتمّ حفظ المذاكرات التي جرت في خلالها... وفي وقت لاحق، صرّح جميع القضاة باستثناء بيري أنّهم قاموا فقط باستجواب المشتبه به وأنّهم لم يعرفوا أنّهم كانوا يفرضون أيّ عقوبة يتعيّن تنفيذها. لكن بعد ظهر اليوم نفسه قامت فرقة عسكريّة بإعدام توبيانسكي رميًا بالرصاص. وبعد بضع ساعات أبلغ بيري رئيس الوزراء بأنّه بعد محاكمة عسكريّة ميدانيّة، نفّذت وحدة جيش حكم الإعدام رميًا بالرصاص في أحد الخونة. ويبدو أن بن غوريون قد اضطرّ إلى فتح المحاكمة من جديد بعد أن تلقّى رسالة مثيرة للعواطف من أرملة توبيانسكي، وأمر بإجراء تحقيق رسميّ أدّى إلى تبرئة اسم توبيانسكي وإلى دفع تعويض لعائلته.

ويؤكّد مؤرّخو الاستخبارات الاسرائيليّة[1] أنّه في اليوم نفسه، الثلاثين من حزيران - يونيو ١٩٤٨، قام رجال شاي التابعون لبيري في حيفا بتعذيب صديق للعمدة اليهوديّ لمجرّد اعتباره أنّه "كان ليبراليًّا للغاية"... فقد كان عملاء شاي يضغطون من أجل العثور على دليل بأنّ العمدة "أبا خوشي" قد ذهب إلى مدى بعيد في ممانعته للحرب، وأنّه خائن لـ"القضيّة الصهيونيّة".

---

١ - دان ويوسي، أمراء الموساد، ص١٥.

أمّا الضحيّة الثالثة المعروفة من نماذج ضحايا جهاز المخابرات العسكريّة الإسرائيليّة في بداية عهده برئاسة بيري، فكان الساعد الأيمن للعمدة نفسه أبا خوشي، وهو يهوديّ اسمه "يهودا أمستر"، كان يمتلك عربة أجرة إضافة إلى عمله خلف الكواليس مساعدًا للعمدة. كان قد قُبض على أمستر في اليوم نفسه الذي أعلن فيه استقلال إسرائيل: ١٥ مايو ـ أيّار ١٩٤٨، بتهمة التجسّس، وصودرت كلّ ممتلكاته، وقام عناصر من شاي بالتحقيق معه، خلفهم في المهمّة نفسها عناصر من وكالة بيري الجديدة للمخابرات العسكريّة بعد إنشائها. وتفيد المدوّنات أنّ أولئك العناصر قاموا بتعذيب ضحيّتهم بلا رحمة، فصوّبوا المسدّسات إليه كما لو أنّهم على وشك أن يمزّقوا جمجمته، ضربوه، وتركوا الماء يتساقط على رأسه نقطة نقطة، خلعوا له أسنانه، وحرقوا أخمص قدميه، وحقنوه بالعقاقير المخدّرة... ومن ثمّ تمّ إطلاق سراحه في الأوّل من آب أغسطس بعد شهرين من التعذيب دون أن تثبت بحقّه أيّ اتّهامات[1]. وكان واضحًا أنّ بيري قد حاول من خلال ذلك الحصول على اعتراف من أمستر يورّط العمدة أبا خوشي. ورغم عدم تمكّنه من ذلك، فقد لفّق بيري أدلّة على أنّ العمدة قد تجسّس على الهاغاناه لحساب البريطانيّين. وإذ علم بن غوريون نفسه بعمليّة تلفيق الأدلّة، لم يعد بوسعه التستّر على بيري الذي سوف يفيد بأنّ كلّ أعماله كانت تنفيذًا لأوامر بن غوريون.

أمّا القضيّة التي كانت بمثابة النقطة التي طفح بها الكيل، فكانت مقتل الثريّ العربيّ "علي قاسم" في صيف ١٩٤٨.

---

١ ـ بقيت عمليّة القبض غير القانونيّ على الرجل وتعذيبه سرًّا طيلة سنوات حتى عام ١٩٦٤ عندما وافقت وزارة الدفاع على دفع تعويض مالي لأمستر.

كان علي قاسم عميلاً مزدوجًا جنّدته المخابرات العسكريّة الإسرائيليّة لاختراق الميليشيات العربيّة الفلسطينيّة، ونتيجة للشكّ في أنّ قاسم كان في الحقيقة عميلاً ثلاثيًا يعمل لحساب العرب قبل كلّ شيء، قام عملاء بيري بقتله بالرصاص. وإذ تعالت الأصوات من كلّ الجهات، أمر بن غوريون بوصفه وزير الدفاع إلى جانب كونه رئيسًا للحكومة بإجراء تحقيق شامل في قضيّة قاسم. وتمّ وقف بيري موقّتًا عن عمله بالجيش في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٨، ثمّ أدانته محكمة عسكريّة بتهمة القتل. ثمّ حوكم بتهمة القتل غير القانوني لتوبيانسكي وتعذيب أمستر. وقد نفى بيري الاتّهامات، ورغم أنّ المحكمة وجدته مذنبًا وأدانته، فقد اقتصر الحكم عليه بعقوبة رمزيّة وهي السجن ليوم واحد فقط...

غير أنّ الرجل الاسرائيليّ الذي كان أوّل مدير للمخابرات العسكريّة الاسرائيليّة وأكبر قوّة نشطة في مؤسّسة الجاسوسيّة الجديدة، لم يستمرّ في موقعه سوى ستّة شهور. ذلك أنّه، كما قيل، لم يكن لديه وقت لحقوق الإنسان. وقد واصل بيري حتّى وفاته بنوبة قلبيّة في كانون الثاني ـ يناير ١٩٥٨ الادّعاء بأنّه بريء، وأصرّ ابنه "تاي بيري" بعد ذلك بسنوات على أنّ والده لم يكن في ما فعله سوى منفّذ لأوامر بن غوريون. وما تجدر الإشارة إليه أنّ العمدة أبا خوشي، مع أنّه كان صديقًا شخصيًّا لبن غوريون، فقد كان خليفة محتملا له. ومن غير المعقول أن يتجرّأ بيري على فعل ما فعله بحق أبا خوشي دون علم سيّده. وخلاصة الأمر أن أبا خوشي لم يخلف بن غوريون بعدما أثير من شبهات حوله، بل أصبح مجرّد سكرتير لمجلس العمّال في حيفا.

أمّا بن غوريون، فقد اختار الكولونيل "حاييم هيرتزوغ" مديرًا جديدًا للمخابرات العسكريّة الإسرائيليّة. وهو الذي سيصبح رئيسًا لدولة إسرائيل في العام ١٩٨٣.

الصِّرَاعُ عَلَى النُّفوذ

يبدو أنّ الصّراع على النفوذ بين رؤساء الأجهزة المخابراتيّة التي أنشئت بعد قيام دولة إسرائيل، والتي إشرنا إليها سابقًا، كان له دوره الفعّال في قضيّة إبعاد بيري عن رئاسة المؤسّسة الاستخباراتيّة الاسرائيليّة، وليس فقط الاخطاء التي ارتكبها. ذلك أنّ أجهزة الاستخبارات الاسرائيليّة سترتكب الكثير ممّا ارتكبه بيري دون أن تحاسب.

أمّا المتّهم الأوّل في التآمر على بيري فهو إيسر هاريل رئيس البوليس السّري شين بيت.

وقد أشار مؤرّخ يهوديّ إلى صراع الأجهزة الاستخباراتيّة الإسرائيليّة بقوله إنّ التنافس في ما بينها قد وصل إلى حدّ تجنيد عملاء كلّ منها ضدّ الآخر. وذكر أنّ المخابرات التي أنشئت عام ١٩٤٨ لم تحرز أيّ أنجازات ملحوظة، وقد انتشرت في خلال ذلك الصراع النزعات الصبيانيّة على حساب الأمن، وتركت في تلك الأجهزة جروحًا طال أمدها.

لقد كان من نتائج ذلك الصراع حصول أزمة رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة إيسر بيري الذي تورّط في سلسلة قضايا مؤسفة. وبعد أن يذكر المؤرّخ اليهوديّ وقائع القضايا الثلاث التي تورّط فيها بيري، يردّ سبب تلك القضايا إلى خلافات داخليّة بين الأجهزة، ويتّهم الأجهزة الرديفة لجهاز الاستخبارات العسكريّة الإسرائيليّة بتزوير

الوثائق[1] التي تتّهم أبا خوشي عمدة بلديّة حيفا بالخيانة، وقد كان أبا خوشي من زعماء حزب "مباي" الذي كان من الداعين للتفاهم مع العرب. ويقول المؤرّخ أنّه بسبب هذه الأمور الناتجة عن الصراع بين هاريل وبيري أقيل الآخير من منصبه وأدين في محاكمة علنيّة، وجرّد من رتبه العسكريّة[2].

١ ـ تبيّن لاحقًا أنّ مزوّر تلك الوثائق كان "حاييم يائيري"، وهو الذي سيترأس فرع المخابرات الخارجيّة في جهاز الموساد الذي سوف يحلّ مكان فرع العمليّات الذي كان تابعًا للقسم السياسي برئاسة بوريس غورييل، وهي كناية عن ثلاث برقيات موجّهة إلى دائرة المباحث الجنائيّة البريطانيّة سكوتلانديارد في العام ١٩٤٨، وقد زوّر يائيري تلك البرقيات تنفيذًا لأوامر إيسر بيري الذي حاول من خلال ذلك إدانة أبا خوشي بالعمالة للإنكليز؛ بلاك أيان وموريس بيتي، حروب إسرائيل السريّة، ترجمة عمّار جولاق وعبد الرحيم الفرا، منشورات الأهليّة للنشر والتوزيع، ط١ (عمّان،١٩٩٢) ص٩٦.

٢ ـ Zohar Michel Bar, *J'ai Risqué ma Vie: Isser Harel No. 1 des Services Secrets Israëliens*, Ed. Fayard (Paris,1971) p. 1.

لجنة رؤساء الأجهزة

ما أن تسلّم حاييم هيرتزوغ منصبه الجديد حتّى استعان بصديقه القديم روفين شيلوح "ملك المخابرات في إسرائيل".

من أجل وضع حدّ للتطاحن والصراع بين الأجهزة الأربعة ورؤسائها، قام هيرتزوغ وشيلوح بإنشاء هيئة عليا للتنسيق بين أجهزة المخابرات الإسرائيليّة برئاسة شيلوح، وأطلق عليها اسم "لحنة رؤساء أجهزة المخابرات"، وشارك في عضويّتها إلى جانب هيرتزوغ وشيلوح كلّ من: إيسر هاريل رئيس الشين بيت، وبوريس جورييل رئيس القسم السياسي لوزارة الخارجيّة. وأطلق على تلك اللجنة إسم "فاراش Varash"، والكلمة مركّبة من أوائل حروف الكلمات المكوّنة لإسمها بالعبريّة. وبقي إنشاء اللجنة كما بقيت أعمالها من أسرار الدولة. وجعلت اللجنة برئاسة رئيس الوزراء بن غوريون.

عقدت تلك اللجنة أوّل اجتماع لها في نيسان ـ إبريل ١٩٤٩، بعدما كان الإسرائيليّون قد حقّقوا انتصارًا على العرب. أمّا توقيت سائر اجتماعاتها ومكان تلك الاجتماعات فبقيا سرّيين. وقد حدّد هدفها بـ"تسهيل التنسيق والتعاون بين مختلف أجهزة المخابرات الإسرائيليّة، وتقليل احتمالات الخطأ نتيجة سوء الفهم، وترشيد العمل للحيلولة دون حدوث ازدواجيّة في الأعمال[١]".

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٨.

وهكذا تتأكّد صحّة المعلومات التي تحدّثت عن الصراع المرير بين الأجهزة الاستخباراتيّة الإسرائيليّة في بداية عهدها، إذ لولا ذلك الصراع لما كانت قد أنشئت لجنة فاراش، وخاصّة لما كانت مهمّتها قد انحصرت في ما انحصرت به من مهام.

أمّا هيرتزوغ فانصرف إلى التخطيط الاستراتيجي للمؤسّسة التي أنيطت به مسؤوليّة إدارتها، وخلال حقبة تولّيه القصيرة للمخابرات العسكريّة قام بإدخال المكننة إلى المؤسّسة. تلك المكننة التي مكّنتها بسهولة من فكّ أنظمة الشيفرة البسيطة التي كانت تستخدمها الجيوش العربيّة في كلّ من مصر وسوريا والأردن ولبنان. وقد جعل هيرتزوغ وفريقه بذلك إسرائيل واحدة من الدول الأولى التي تستفيد من ميزات التكنولوجيا المتطوّرة في عالم الجاسوسيّة.

أمّا إدارة المخابرات الخارجيّة أو ما عرف بالقسم السياسي، وقد كانت ذراع المخابرات الإسرائيليّة في الخارج، فاستمرّت بقيادة بوريس غوريل. وحدّدت مهام عملاء القسم السياسي في زرع الجواسيس والعملاء في الدول العربيّة، وإقامة روابط بين المخابرات الإسرائيليّة وبين أجهزة الأمن والمخابرات الأجنبيّة وبخاصّة فرنسا وإيطاليا وغيرهما من الدول الأوروبيّة. وكان عملاء القسم السياسي يتمتّعون بغطاء دبلوماسي في القنصليّات والسفارات الإسرائيليّة في لندن، وباريس، وروما، وفيينّا، وبون، وجنيف... وكان لكلّ فرع للقسم السياسي في العواصم الأوروبيّة المختلفة شبكة خاصّة من العملاء معظمهم من غير الإسرائيليّين الذين يبيعون المعلومات للمابرات الإسرائيليّة. وقد أسهمت تلك المعلومات في تسهيل قيام المخابرات الإسرائيليّة بتخريب شحنات الأسلحة المصدّرة من أوروبّا إلى الدول العربيّة.

هذا ما جعل بعض الباحثين يقول إنّ "دبلوماسيّة اليهود تختلف عن كلّ دبلوماسيّات العالم، باعتبارها دبلوماسيّة من نوع آخر، ومن طبيعة أخرى، وفي سبيل هدف - ربّما - يتيم، هو الجاسوسيّة والإرهاب".

كان من أبرز عملاء القسم السياسي في المخابرات الإسرائيليّة "آشر بن ناتان"، الذي جُعل مركزه في باريس. وكان بن ناتان يتلقّى تقارير سائر زملائه العملاء حتّى سنة ١٩٥٠، وقد تمتّع باستقلاليّة ملحوظة عن مدير القسم السياسي بوريس جورييل. وبعد ١٩٥٠ سوف يستقرّ بن ناتان في تلّ أبيب ليتلقّى التقارير وليصدر الأوامر بشأن العمليّات. بيد أنّ التقارير والمعلومات التي كان يرفعها بن ناتان ورجاله لم تكن على العموم تلقى تقديرًا كبيرًا من جانب رؤسائهم في القسم السياسي. ويردّ باحثون سبب ذلك إلى أسلوب حياة بن ناتان نفسه الذي كان هو وغيره من كبار العملاء، ومن بينهم "غيرشون بيريز" شقيق "شيمون بيريز" الذي سيترأس الحكومة الاسرائيليّة في تاريخ لاحق، يعيشون حياة مترفة، يتناولون طعامهم في المطاعم الفاخرة في باريس وجنيف، ويشربون في أرقى بارات أوروبا، ويجتمعون في أفخر فنادقها. وقد أثار هذا الإسراف غضب كبار المسؤولين في أجهزة المخابرات الاسرائيليّة وعلى رأسهم "روفين شيلوح" و"شاؤول أفيغور" اللذين يعتبران المؤسّسيت الحقيقيّين للمخابرات في الدولة العبريّة. كذلك واجه القسم السياسي انتقادات حادّة من جانب أجهزة المخابرات الإسرائيليّة الأخرى التي اعتبرت عملاء القسم السياسيّ مجرّد مجموعة من الهواة، لا يسهمون إلاّ نادرًا في الدفاع عن إسرائيل. وقد تعرّض شيلوح نفسه لضغوط شديدة من جانب رئيس الحكومة الإسرائيليّة بن غوريون بصفته رئيسًا للجنة فاراش، وهي لجنة التنسيق بين مختلف أجهزة المخابرات الإسرائيليّة التي أشرنا إليها سابقًا، وواجه شيلوح أيضًا ضغوطًا من جانب القادة العسكريّين. فقد أراد بن غوريون وقادة الجيش الإسرائيلي

من روفين شيلوح أن يقدّم لهم معلومات دقيقة ومحدّدة عن قدرات الجيوش العربيّة وإمكاناتها، خاصّة وأنّ قادة إسرائيل أنذاك كانوا يخشون أن تؤدّي الأوضاع الدوليّة المتمثّلة في نشوب الحرب الكوريّة والحرب الباردة بين الولايات المتّحدة الأميركيّة والاتّحاد السوفياتي إلى دفع العرب إلى التفكير في جولة جديدة من القتال ضدّ إسرائيل لإجهاض نتائج الجولة الأولى من القتال في خلال ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ التي هزموا فيها. أي أنّهم كانوا يخشون أن يدفع التوتّر الدوليّ إلى قيام العرب بانتهاز الفرصة لتوجيه ضربة قاصمة إلى الدولة العبريّة. فكان قادة إسرائيل يريدون معلومات محدّدة عن القدرات العسكريّة العربيّة، وما كانوا يبدون اهتمامًا بما يقدّمه القسم السياسي من تقارير حول الخطط السياسيّة العربيّة ومشروعات العرب الاقتصاديّة، وما يحدث في مخادع زعمائهم.

كان من أكثر الشخصيّات معارضة لأعمال القسم السياسيّ داخل جهاز الاستخبارات الاسرائيليّة الليفتنانت كولونيل "بنيامين غيلبي"، وهو الذي عمل نائبًا لحاييم هيرتزوغ مدير المخابرات العسكريّة، ثمّ حلّ محلّه عندما انتقل هيرتزوغ إلى ولشنطن للعمل كملحق عسكريّ إسرائيليّ هناك. وقرّر غيلبي شنّ حملة شاملة ضدّ القسم السياسي، ووجد مساندة في ذلك من جانب إيسر هاريل مدير إدارة شين بيت، والذي كان يكنّ الازدراء للقسم السياسي بسبب حياة الترف التي كان يعيشها عملاء القسم وقلّة إنتاجيّتهم.

وهكذا عاد الصراع بين الأجهزة من جديد. وقد امتدّ الصراع على السلطة بين أجهزة المخابرات الإسرائيليّة إلى أوروبّا حيث لم تصدّق أجهزة الأمن في فرنسا وإيطاليا ما كان يحدث آنذاك. فقد شعرت تلك الأجهزة بالارتباك جرّاء العدد الهائل من المطالب المتناقضة من جانب ضبّاط الاتّصال الإسرائيليّين، ولم يعد يعرف الأصدقاء

الأجانب لمؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة كيف يتصرّفون. ولمّا وصلت تقارير دبلوملسيّة حول حقيقة الأحوال إلى بن غوريون استشاط غضبًا، وأصدر تعليماته إلى شيلوح بضرورة وضع حدّ لتلك الفوضى، فانتهز شيلوح الفرصة وقرّر إعادة تنظيم أجهزة المخابرات، وأعلن عن أنّه سيتمّ حلّ القسم السياسيّ، وأجبر مدير القسم بوريس غورييل على تقديم استقالته. وتمّ إبلاغ شبكات التجسّس التابعة للقسم السياسيّ في أوروبّا بأنّ عليها أن تتوقّع صدور تعليمات جديدة إليها من جانب قادة جدد. لكنّ بن ناتان، الرجل البارز في القسم السياسيّ رفض الاستسلام، وبعد أيّام من الانقلاب الصامت الذي قام به شيلوح، وتحديدًا في الثاني من آذار ـ مارس ١٩٥١، جمع بن ناتان معاونيه وعملاءه الأوروبيّين في جنيف واتّفقوا على تقديم استقالاتهم، وقرّروا ألاّ يعملوا بعد ذلك لحساب أيّ من أجهزة المخابرات الإسرائيليّة. وبدأ بن ناتان يدرس العلاقات الدوليّة في سويسرا، بينما رفض معاونوه تسليم ملفّاتهم إلى شيلوح، وامتنعوا عن إبلاغه عن عمليّات المخابرات الجارية، وقاموا بإحراق ملفّاتهم السريّة.

إثر ذلك، وفي إطار عمليّة إعادة التنظيم، تقرّر أن يتحمّل جهاز المخابرات العسكريّة "أمان" مسؤوليّة كافّة المهام والعمليّات الخاصّة تحت قيادة "بنيامين غيلبي"، الذي قرّر على الفور تشكيل وحدة سريّة خاصّة أطلق عليها إسم "الوحدة ١٣"، مهمّتها زرع العملاء في الدول العربيّة. وعلى أطلال القسم السياسي للمخابرات الإسرائيليّة ظهر جهاز الموساد، أو ما أطلق عليه يومذاك تسمية "مجمع المخابرات والمهام الخاصّة[١]".

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٩ ـ ٢١.

نشُوء المُوسَاد

تتضارب معلومات المراجع حول تاريخ نشوء الموساد. فبينما يعتبر بعضها[1] أنّ "الموساد"، وهو جهاز المخابرات الإسرائيليّة المركزيّة، قد تمّ إنشاؤه عام ١٩٣٧ وأطلق عليه وقتئذ إسم "موساد ليلياه بيث Mussad Lealiyah Beth" أي "منظّمة الهجرة الثانيّة"، وكان أوّل مركز لقيادته في جنيف، ثمّ انتقل إلى استنبول بهدف مساعدة يهود البلقان على الهرب عبر تركيا، وكان ذلك قبل وأثناء الحرب العالميّة الثانية، ثمّ اتّجهت مهمّة الموساد بعد ذلك إلى تنسيق نشاط الاستخبارات الاستراتيجيّة والتكتيكيّة بشكل عامّ في الخارج... اعتبرت مراجع أخرى[2] أنّ المولد الحقيقيّ للموساد كان على يد روفين شيلوح في الأوّل من نيسان ـ إبريل ١٩٥١. واعتبرت مراجع أخرى[3] أنّ الموساد أسّس في الأوّل من أيلول ـ سبتمبر ١٩٥١ على أنقاض الشعبة السياسيّة التابعة لوزارة الخارجيّة. وكان روبين شيلوح أوّل مدير لها ومسؤولاً أمام رئيس الوزراء. بينما يعتبر باحثون آخرون أنّ الموساد أنشئ رسميًّا في الثاني من آذار ـ مارس ١٩٥١ بناء على أمر رئيس الوزراء بن غوريون، ثمّ باشر مهامّه الأولى في الأوّل من نيسان ـ إبريل ١٩٥١، وأسّسه روبين شيلوح وكان أوّل مدير له، وقد سمّي

---

١ ـ الفالوجي، جواسيس الموساد العرب، حاشية الصفحة ١٨.

٢ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٢١.

٣ ـ الحاج سالم د. وجيه وخلف أنور، الوجه الحقيقي للموساد (لا.ت.) ص٥١.

الموساد في البداية باسم "مؤسّسة التنسيق" واسمه بالعبريّة "هاموساد لي تيبوم Hamussad" ثمّ أعيدت تسميته في ١٩٦٣ "مؤسسة الاستخبارات والمهمّات الخاصّة [١]".

إلاّ أنّ بعض المدوّنات قد كشفت عن رسالة سريّة بعث بها رئيس الوزراء بن غوريون إلى وزير خارجيّته "موشي شاريت" في ١٣ كانون الأوّل ـ ديسمبر ١٩٤٩ جاء فيها:

> يجري الآن بناء على توجيهاتي إنشاء مؤسّسة الموساد لتجميع وتنسيق أعمال وكالات الاستخبارات والأمن... ولقد عهدت إلى مستشار وزير الخارجيّة للعمليّات الخاصّة شيلوح تأسيس الموساد، وليكون أوّل مدير له. سيعمل شيلوح تحت إشرافي، وسيتصرّف طبقًا لتعليماتي، وسيطلعني باستمرار عمّا يقوم به من نشاطات، وسيكون مكتبه من الناحية الإداريّة تابعًا لوزارة الخارجيّة[٢]...

إثر ذلك، دعا شيلوح لجان التنسيق في مختلف وكالات الاستخبارات الاسرائيليّة إلى عقد اجتماع لهم في كانون الثاني - يناير ١٩٥١، وأقرّ شيلوح في ذلك الاجتماع ما ورد في شكوى استخبارات الجيش الاسرائيلي من أنّها كانت تتلقّى من مراكز القسم السياسي معلومات غير كافية ولا تتلاءم مع الاحتياجات المطلوبة، ولم يكن من المناسب أن تشغل تلك الوكالات عملاءها في الخارج في آن واحد معًا، وقال: "أنا لا أستطيع أن أوافق على إنشاء وكالات مستقلّة بعضها عن بعض في الخارج[١]".

---

١ ـ بلاك وموريس، حروب إسرائيل السريّة، ص١٩٤.

٢ ـ زهر الدين د. صالح، الموساد بين الإخفاق والاختراق، في موسوعة الأمن والاستخبارات في العالم، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣) ص٢٩.

٣ ـ بلاك وموريس، حروب إسرائيل السريّة، ص٩٥.

وهكذا أسّس الموساد الذي كان يتبع مكتب رئيس الحكومة مباشرة، مثلما هو الحال في الولايات المتحدة الأميركيّة حيث تقدّم وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة C.I.A. تقاريرها مباشرة إلى البيت الأبيض. ويعدّ ذلك أوّل تأثير ملموس للنفوذ الأميركيّ داخل المخابرات الإسرائيليّة، حيث كانت عمليّات القسم السياسي السابق تابعة لوزير الخارجيّة الإسرائيليّة مثلما هو الحال في بريطانيا حيث يعدّ جهاز المخابرات البريطانيّة المعروف باسم M.I. 6 مسؤولاً أمام وزير الخارجيّة. أمّا الفارق الوحيد آنذاك بين وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وبين الموساد، فهو في أنّه كان للأولى منذ البداية قسم للعمليّات، لكنّ الموساد عند تأسيسه لم يكن لديه مثل هذا القسم الخاص بالعمليّات ولم يكن أمام الموساد وقتها سوى المشاركة في لجنة مشتركة مع المخابرات العسكريّة للإشراف على استخدام الوحدة الخاصّة السريّة: "الوحدة ١٣". وتحدّدت مهمّة الموساد في جمع الحقائق والمعلومات فقط.

على أنّ روفين شيلوح، قرّر التأكيد على إقامة علاقات عمل مع أجهزة الأمن الأجنبيّة وبصفة خاصّة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. كما قام بإنشاء وحدة مخابرات اقتصاديّة للبحث عن ثغرات لمواجهة الحظر العربيّ على التجارة مع إسرائيل، كذلك شدّد على حاجة الدولة العبريّة لإقامة علاقة وثيقة مع اليهود في مختلف أنحاء العالم. وبدا في ذلك تجاوز لصلاحيّات الموساد واختراق لأعمال وكالة الهجرة الصهيونيّة.

ويقول باحثون عرب[١] إنّ جهاز الاستخبارات الإسرائيلي "الموساد" قد اشتهر بأنّه يضمّ عصابات من القتلة والسفّاحين الذين يعملون كمرتزقة بتعليمات رؤوسائهم لتنفيذ

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص١٩٥ ـ ١٩٦.

عمليّات الاغتيال والتصفية الجسديّة، وهم مجموعة من الذين يقومون بالأعمال القذرة ويختفون وراء أقنعة متعدّدة ممّا يُعدّ انحرافًا وخروجًا بالجهاز عن دوره الطبيعيّ كأيّ من أجهزة المخابرات في أيّ دولةٍ يختصّ بحماية كيانها من التهديد بالزوال. كما يُعتبر الموساد من أدوات العنف التي تدير أعمالاً لا أخلاقية، وهو على استعداد للتضحية بمصادره ومخبريه وعملائه وبيعهم في صفقات لتحسين علاقته ببعض الدول. وإنّه من الأجهزة القليلة في العالم التي تعتمد في انتشارها على دعم مجموعات المتطوّعين حيث يمثّل اليهود المنتشرون في كافّة أنحاء العالم عنصرًا هامًا في تنفيذ الخطط والبرامج والاختراق الأمني وإدارة البيوت السريّة. ويُعرف عن جهاز الموساد اهتمامه الشديد بالمصاحبة الإعلاميّة لأعماله في محاولة لإبرازه على المستوى الداخليّ والخارجيّ لإيهام الإسرائيليّين بأنّهم يملكون جهازًا قويًّا، من خلال مواصلة إلقاء الضوء على إنجازاته والتذكير المستمرّ بها في مجالات الأعمال القذرة، وخصوصًا كلّما تعرّض لإخفاقات وفضائح وفشل في تنفيذ العمليّات الموكلة إليه، أو تعرّض لهجوم من الأجهزة الاستخباراتيّة، بالرغم من الخلفيّة التاريخيّة التي توضح الظروف والملابسات والقواعد التي تمّ من خلالها تأسيس جهاز الموساد، والتي تختلف كثيرًا عن الأسس التي تقارنه بأجهزة الاستخبارات في الدول الأخرى باختلاف طبيعة نشأته وتكوين إسرائيل، وخصوصًا العوامل السيكولوجيّة التي تجعل معنويّات الإسرائيليّين في حالات اهتزاز دائمة وعدم توازن وفزع أمنيّ وشعور بالتهديد والهلع، والتي تفرض ابتعادهم عن مسار الحياة الطبيعيّة المطمئنّة كالشعوب الأخرى المستقرّة في أوطانها، وذلك بفعل تصاعد عمليّات الصراع على السلطة. ولأنّهم غاصبون للأراضي ومحتلّون، فقد مارسوا كافّة عمليّات الإرهاب ضدّ أهل البلاد الأصليّين، وهم مقتنعون بالصهيونيّة وعنصريّتها، وواقعهم بأنّهم غرباء ليس على فلسطين فحسب، وإنّما على

أقطار الأمّة العربيّة كلّها. وهم يخشـون باستمرار الانتفاضـة العربيّـة والثورة ضدّهم وتحقيق الأمل العربيّ في استعادة فلسطين وتحريرها من العدوان الصهيوني، ما يشكّل عامل ضغط نفسيّ مستمر يهدّد الطموح ويطرح الحقيقة بوضوح بضرورة أن يستتر الإسرائيليّون خلف أقنعة تشعرهم بالحماية من الغضب العربيّ المباشر، وتزيّن لهم المستقبل بالعبور على جماجم الفلسطينيّين والمساندين لقضيّتهم العادلة، وإعطاء المشروعيّة لكلّ الأعمال الإجراميّة لتحقيق أمن إسرائيل، فلذا كان ميلاد الموساد على قاعدة الإرهاب والقتل والتدمير والاغتيالات ليصبح إحدى أدوات الحماية والضمان لبقاء الإسرائيليّين بعيدًا عن المخاطر والتهديدات المستمرّة بطردهم وعودتهم من حيث أتوا، وإنهاء حالة احتلالهم للأراضي العربيّة الفلسطينيّة.

وفق هذا الإدراك، فقد فوّض الإسرائيليّون جهازًا لحمايتهم من خلال ممارسة الاغتيالات ضدّ الذين يدافعون عن القضيّة الفلسطينيّة. ودعَم يهود العالم هذا الجهاز دعمًا غير محدود لتنفيذ عمليّاته القذرة والشرّيرة على كافّة الساحات الدوليّة لتمكين اليهود من الإقامة الهانئة على الأراضي الفلسطينيّة، التي أطلقوا عليها إسم أرض الميعاد. فحجم التعاون الذي يقدّمه يهود العالم لعناصر الموساد غير محدود بحيث يُعتبر المتطوّعون ركنًا أساسيًّا وضروريًّا لقيامه بالمهام الموكلة إليه.

وعن معيار التجنيد في الموساد يقول الباحث نفسه:

يدّعي جهاز الموساد كذبًا بأنّه يتبع بعض المثاليّات في أسلوب التجنيد، فلا يحبّذ العناصر الصهيونيّة المتحمّسة خوفًا من أنّ العواطف الصهيونيّة تبعد العنصر عن الاتزان والتزام الحذر، وتعرقل فهمه لمغزى العمل الذي يقوم به، فكثيرًا من الأعمال التي نفّذها وقام بها الموساد كانت من فعل العناصر الصهيونيّة المتشبّعة بالحقد والكراهية والمتشرّبة بالأفكار الصهيونيّة العنصريّة. كما وأنّ هناك إدعاء كاذب آخر

بأنّ الموساد لا يقبل العملاء الذين يكون دافعهم المال، فسجلّ الموساد حافل بالعملاء الذين ينفقون عليهم أموالاً طائلة ويستقطبونهم بالمال، حيث أنّ العرض الدائم هو المال مقابل الخيانة للموطن الأمّ، وإهدار المصالح القوميّة العليا، واستباحة أسرار الوطن لأعدائه. وقد يكون صحيحًا أنّ معظم المنتمين للموساد هم من العناصر الصهيونيّة بدافع حبّ المغامرة والانتقام من الفلسطينيّين على وجه الخصوص، كما وأنّ الانضمام للموساد يعزّز المكانة الاجتماعيّة للفرد داخل إسرائيل، باعتبار أن ذلك الانضمام سيعطيه سحرًا ويرفع من نفوذه الاجتماعيّ على الآخرين.

ويخضع أفراد الموساد إلى نظام تدريبيّ صارم من خلال الدورات التدريبيّة المكثفة التي تستغرق ثلاث سنوات، وتتضمّن التعرّض لعنف جسديّ قاس خلال الاستجواب. ويصبح العميل بارعًا عندما يجيد استخدام السلاح حيث يدفع أفراد الموساد داخل مناطق النزاعات الدائرة واختراق البعثات الدبلوماسيّة والجماعات المختلفة، بالإضافة لعمليّات جمع المعلومات السريّة في الخارج. والغرض من هذا التدريب أن يكون عنصر الموساد بارعًا في أساليب المكر والخداع، بالإضافة إلى القدرة الإجراميّة في سفك الدماء، والاستعداد الدائم لاشعال الفتن والحرائق وأعمال الشغب الهادفة لخلق حالة من فقدان الثقة، على الأخصّ بين الدول العربيّة، ونشر الدعايات المضادة وإشانة السمعة والتطبيق الفعلي والعملي لفلسفة "فرق تسد".

وتركّز سياسات التجنيد للموساد على تكوين عنصر ماهر ومحترف في استطاعته التحرّك كما يتحرّك اللصّ في الظلام، دون أن يثير حوله الشكوك، بفضل قدرته على جمع المعلومات. وكذلك تنفيذ القتل والاختطاف دون ترك أثر لجريمته. ولمّا كان العالم له مجالاً، اختاره الموساد لأنشطته الإجراميّة، فيصبح من الضرورة في عمليّة تجنيد الأفراد اختيار من يتقن اللغات العالميّة المختلفة لسهولة التحرّك في أوساط الدول

المتعدّدة بسهولة، وللتعامل مع مواطنيها. كما تسعى عمليّة التجنيد لرفع القدرة على حسن الاطلاع على ما يدور في العالم حتّى يتمكّن العنصر من الوصول لافتراضات مبنيّة على حسن الاطّلاع على الموضوعات التي تحدث على ساحة عالم السياسة المتغيّر والمتقلّب دائمًا، واستخراج الحقائق من التكهّنات. كما وأنّ تأهيل العنصر للعمل خلف الستار يُعتبر من ضرورات التدريب لتمكين المتخرّج من القدرة على تجنيد الآخرين، سواء كان بالمداهنة والملاطفة أو بالتهديد والعنف. وتصبح إجادة الاختفاء واستخدام الأسماء المستعارة واليقظة والكفاءة على تفهّم قواعد التفاوض واختراق العالم السرّي لبيع الأسلحة والمخدّرات والدعارة والقرصنة وغسيل الأموال، وفنّ التعاطي مع من لا يثيرون حولهم الشكوك.

ويؤكد خبراء الموساد أن ظروفهم تختلف عن باقي الأجهزة الاستخباراتيّة في العالم، لأنّ الخطر الذي يتهدّدهم قائم باستمرار، وإنّ أيّ تراخ أو ضعف تتعرض له إسرائيل من شأنه إصدار الحكم بنهايتهم، ولذا فهم يتستّرون أمام أعذار مختلفة في تنفيذ عمليّاتهم الإجراميّة حيث يصبح التجنيد في الموساد، من وجهة نظرهم، عمليّة فنيّة تحتاج لمهارات عالية وإيمان راسخ بالمسألة الصهيونية لتحقيق أهداف إسرائيل التوسعيّة في كافّة الأقطار العربيّة. ويدرّب الداخلون في الموساد على اعتبار أنّ العدو بالنسبة لهم، يتحدّد بأنّه كلّ من ليس معهم، أو كلّ معترض على سياستهم وبرامجهم من دول العالم وأجهزتها الاستخباراتيّة. إلا أنّ بعض الدول الأوروبيّة قد حجّم أعمال الموساد القذرة على أراضيه حفاظًا على مصالحه مع الدول العربيّة بعد تورّط الموساد في الكثير من عمليّات الخطف والاغتيال والتدمير في الخارج.

يشمل التجنيد لعناصر الموساد العلماء النفسيّين الذين يقومون بتقييم المعلومات حول المطلوب الاستعانة بهم في العمليّات الخارجيّة لتحديد نقاط الضعف، والمداخل

لممارسة الضغوط المختلفة بالمال أو الجنس أو الطموح المعنويّ، ومن ثمّ التهديد بنشر الفضائح ضماناً للحفاظ على سريّة العمليّات القذرة وعدم الإفشاء بها. والاهتمام بعمليّة التجنيد تعني تفهّم المداخل للتعامل مع الأجناس، فإنّ عملية تجنيد عنصر أوروبيّ تختلف عن التعامل مع عنصر عربيّ أو أفريقيّ أو آسيويّ، وكذلك في حالة تجنيد العنصر النسائيّ أو أصحاب المهن المختلفة.

ويقول الباحث: إنّ كلّ قادة الموساد يحاولون دائمًا التذكير بما جاء بالتوراة، فيلقّنون المتدرّب أنّه "منذ داوود الملك وجماعتنا تعتمد على الاستخبارات الجيدة"، وذلك في محاولات متواصلة لإضفاء مسحة دينيّة على أداء الأعمال القذرة للموساد.

أمَّا في ما يختصّ ببنائيّة الموساد، فهو يضمّ تسع دوائر: ١) دائرة التنسيق والتخطيط؛ ٢) دائرة تجميع المعلومات السريّة والمهمّة، وتعتبر هذه الدائرة من أكبر دوائر الموساد، ولديها عدة شعب من أهمّها شعبة السيطرة والرقابة الإقليميّة التي تعمل خارج إسرائيل؛ ٣) دائرة العمليّات السياسيّة والعلاقات الوديّة، ومهمّة هذه الدائرة التنسيق والتعاون وإقامة الصلات مع المخابرات الأجنبيّة؛ ٤) دائرة شؤون الكادر الوظيفيّ والماليّة والأمن؛ ٥) دائرة شؤون التدريب والتنظيم؛ ٦) دائرة التحقيقات؛ ٧) دائرة العمليّات التكتيكيّة وتضمّ قسم الأعمال الخاصّة وقسم الحرب النفسيّة؛ ٨) دائرة الشؤون التكنولوجيّة؛ ٩) المديريّة العامّة للمصادر والتجهيزات.

وفي خارج إسرائيل يعمل كلّ من دائرة المعلومات السريّة ودائرة العمليّات السياسيّة كدائرتين منفصلتين، لهما مقارّ منفصلة سواء داخل السفارة أو القنصليّة الإسرائيليّة أو خارجها. وفي حالة قيام أحد عناصر فروع الأمن الأخرى مثل "شين بيت" بمهمّة خارج إسرائيل، فيجب أن تخضع العمليّة كليًا لأوامر الموساد. أما العسكريّين فيخضعون للمخابرات العسكرية "آمان".

بالإضافة إلى البعثات الدبلوماسيّة تتستّر المخابرات الإسرائيليّة تحت غطاء لجان المشتريات الإسرائيليّة وشركات السياحة الحكوميّة وشركة "العال" للطيران، والشركات الإعلاميّة ومؤسّسات البناء والإعمار، والشركات الصناعيّة والمنظّمات الدوليّة الإسرائيليّة.

ويقدّم المتطوّعون المنتشرون في أنحاء العالم خدمات واسعة للموساد في تنفيذ عملياته التجسسيّة الذي يعتمد بشكل رئيسيّ على المعلومات المكشوفة، من إذاعة وتلفزيون وصحف ومجلات وكتب ومنشورات... وتجنيد عمّال السيّارات والمقاهي ومستخدمي الفنادق والسكرتيرات والمؤسّسات والسائقين... حيث تمارَس عليهم أنواع متعدّدة من الضغوط. كما يُستخدم المال لتجنيد العملاء.

وفي الشأن الخاصّ بالتجسّس على الدول العربيّة، يتمّ التركيز على: تجنيد مراسلين صحافيّين أجانب؛ الدبلوماسيّين الأجانب والاستفادة من حرّيتهم في الحركة؛ اختطاف الأحداث وزرع الإدمان على المخدرات؛ شبكات التهريب في البر والبحر؛ تجّار السلاح في أوروبا...

ويتّبع الموساد في أساليب عمله في الدول العربيّة على:

العميل المزروع: حيث يتعاون وكافّة أجهزة المخابرات الإسرائيلية على زرع عميل إسرائيليّ في بلد عربي.

تجنيد يهود الدول العربية: وهم من أخطر العناصر حيث أنّهم يخترقون الأجهزة المختلفة للدول العربيّة دون أن تحوم حولهم الشكوك.

شبكات التخريب: ومهمّتها القيام بأعمال التخريب لخدمة هدف سياسيّ في إحدى البلدان العربية.

عمليّات السرقة: وذلك من خلال عناصر متعاونة مع تنظيمات المافيا تقوم بسرقة اليورانيوم وسواه من الموادّ المحظورة.

مجموعة الاغتيالات: وهي مجموعة مدرّبة مشكّلة بمواصفات خاصّة تنفّذ عمليّات القتل، تضمّ بين أفرادها مجموعة من النساء، وتتحرّك في شكل جماعات يضمّ كلّ منها أربعة أفراد في تجوال داخل المدن التي تجري فيها عمليات الاغتيالات[1].

وَكَالةُ الهُجرَة الصهيُونيَّة

كانت وكالة الهجرة الصهيونيّة كناية عن أمبراطوريّة إقتصاديّة منتشرة في كافّة بلادن العالم التي تضمّ مواطنين يودًا. ويرى باحثون[2] أنّها كانت "تحفة عمليّة... لم يتوفّر للدولة اليهوديّة أيّ شيء يماثلها أبدًا: منظّمة هائلة منهمكة في نقل أهمّ مصدر قوّة لإسرائيل، وهو العنصر البشريّ، من أنحاء الكرة الأرضيّة".

أنشئت وكالة الهجرة تحت ستار وكالة سياحيّة كبرى كانت تمتلك ما يزيد على ستّين سفينة وطائرة وأعدادًا لا حصر لها من السيّارات وعربات النقل. وتمّ التنسيق بصورة جيّدة لتحرّكات هذا الأسطول بواسطة شبكة من أجهزة الإرسال اللاسلكيّة في جميع أنحاء العالم. وقد ساعدت الوكالة مئات الألوف من اليهود على شقّ طريقهم إلى الأرض الموعودة القديمة... واستوعبت فنون الرشوة والدبلوماسيّة السريّة. وركّز

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص١٩٧ ـ ٢٠٢.

٢ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٣٤.

عملاؤها على إقامة علاقات مباشرة مع الزعماء السياسيّين، وحدث ذلك عادة في الدول المعادية ظاهريًّا ومنها بعض الدول العربيّة كالعراق، والساسة المجريّين، و شاه إيران... لاستكشاف الترتيبات الممكنة للمرور الآمن ليهود العراق إلى إسرائيل.

كانت ميزانيّة وكالة الهجرة تقدّر بعشرات الملايين من الدولارات، وهو مبلغ فعّال إلى حدّ أنّه كان له تأثير إقتصاديّ حقيقيّ في بعض مناطق موانئ أوروبّا التي خرّبتها الحرب العالميّة الثانية. كما امتدّ نظام الرشاوى ليشمل رجال البوليس، ومسؤولي الموانئ، وموظّفي الحكومات، وملاّك السفن... واكتسب عملاء وكالة الهجرة شهرة في الأسواق السوداء في فرنسا واليونان وإيطاليا والنمسا ودول أخرى. وأصبح بعض طائراتها الطائرات الأولى في شركة الخطوط الجويّة الإسرائيليّة "العال"، كما أسهمت سفنها في تكوين أساس شركة الشحن البحريّ الوطنيّة الإسرائيليّة "زيم"، وساعدت الخبرة التي اكتسبها عملاء وكالة الهجرة في أنحاء العالم الشركة البحريّة الجديدة لإسرائيل. كما كان لدى وكالة الهجرة عدد من أمهر المزيّفين والعملاء الميدانيّين.

هذه الإمكانات الهائلة التي كانت لوكالة الهجرة قد مكّنت عملاءها السريّين من مضاعفة عدد اليهود في فلسطين ليصل إلى أكثر من مليون يهودي في خلال السنوات الأربع الأولى بعد إعلان استقلال دولة إسرائيل. إلاّ أنّه رغم تلك الإنجازات، قد تمّ حلّ وكالة الهجرة في آذار - مارس ١٩٥٢، بسبب الصراع على النفوذ بين رئيس الموساد شيلوح وأعوانه، وبين سائر الاجهزة المخابراتيّة ومنها القسم السياسي، وبسبب تجاوزات الموساد الإرهابيّة كما جرى في العراق ممّا سيأتي الكلام عليه لاحقًا. وقد رأى شيلوح يومها أنّه "لا حاجة بعد الآن لوكالة الهجرة".

يبدو من خلال متابعة المدوّنات حول أنشطة الموساد في بداية أيّامه، أنّ المشكلة التي أنشئت الموساد من أجل حلّها، وهي مشكلة الازدواجيّة في الأعمال، ليس فقط أنّها

لم تحُلّ، بل ازدادت تعقيدًا بسبب الحالة السلطويّة التي كان شيلوح مصابًا بها. والأمثلة على ذلك كثيرة، نسوق منها قصّة الجاسوس الإسرائيلي التابع للقسم السياسي والذي اتّهم بالعمالة لمصر.

قضيّة دايفيد مَاغن

"دايفيد ماغن" يهوديّ مجريّ المولد، إسمه الأصلي "تيودور غروس"، انتقلت أسرته إلى جنوب أفريقيا قبل أن يتوجّه هو إلى إيطاليا لدراسة الموسيقى، وليصبح في ما بعد مغنّيًا أوبراليًّا في إيطاليا والمكسيك. انضمّ إلى الجيش البريطانيّ في الحرب العالميّة الثانية حيث غيّر اسمه إلى "تيد غروس" وأصبح ضابط مخابرات كلّف بمهامّ خطيرة في إيطاليا وألمانيا. ولمّا كانت الحرب في فلسطين سنة ١٩٤٨ انتقل إلى إسرائيل وتطوّع في الهاغاناه. وبالنظر إلى خبرته ومعرفته اللغات الإنكليزيّة والألمانيّة والإيطاليّة والإسبانيّة والفرنسيّة، تمّ تجنيده في القسم السياسي عن طريق آرثر بن ناتان. وهنا اتّخذ لنفسه إسم "دافيد ماغن"، ولفظة "ماغن" عبريّة تعني "الدرع". إلاّ أنّه أرسل إلى إيطاليا باسم تيد غروس لإدارة شبكة عملاء من العرب الذين كانوا يجمعون المعلومات العسكريّة والسياسيّة لحساب إسرائيل.. وفي عام ١٩٥٠ تمّ إرساله إلى مصر حيث قام بإدارة شبكة من المخبرين المحليّين. وفي سنة ١٩٥٢ صدرت الأوامر إليه بمغادرة مصر. وبعد أن توقّف في روما، طار إلى تلّ أبيب. وبوصفه "دافيد ماغن"، ألقي القبض عليه بسرعة وحوكم وأدين، وصدر عليه حكم بالسجن لمدّة خمسة عشر عامًا، وكانت التهمة المذهلة: التجسّس لحساب مصر.

فقد تبيّن أنه قام بالاتّصال برجال المخابرات المصريّة من دون أن يقدّم تقارير بأعماله. وفي دفاعه، قال إنّ غرضه من الاتّصال برجال المخابرات المصريّة كان دائمًا خداع المصريّين عن طريق إظهار نفسه كعميل مزدوج على أن يظلّ في الواقع مخلصًا لإسرائيل. غير أن حجج ماغن لم تجد قبولا من جانب الادّعاء ولا من جانب المحكمة، مردّ ذلك نسبيًّا إلى توافر الأدلّة على تورّطه في صفقات مخدّرات غير مشروعة في إيطاليا، ولأنّه سجن بسبب اتّجاره بالمخدّرات. غير أنّ هذه الأسباب لم تقنع أعضاء عديدين في القسم السياسي الذي كان قد تمّ حلّه بأن غروس قد خان إسرائيل. وقد شهد بوريس غورييل لصالحه في خلال المحاكمة وادّعى أنّ شيلوح والموساد قد لفّقوا قضيّة زائفة ضدّ غروس لتدمير سمعة القسم السياسي. وقد أدّت حملة للعفو عن غروس بالفعل إلى إطلاق سراحه في العام ١٩٥٩ بعد أن أمضى سبع سنوات في السجن.

قام غروس الذي كان أصبح اسمه ماغن بتغيير اسمه مرّة أخرى، حيث اتّخذ لنفسه إسمًا جديدًا وتزوّج وكوّن أسرة، وعاش في إسرائيل كرجل مجهول دون أن يكشف عن شخصيّته الحقيقيّة في ظلّ إحساس عميق بالظلم حتّى وفاته سنة ١٩٧٣.

تفجيرُ الكنيس اليَهوديّ في العرَاق

ركّزت الحركة الصهيونيّة منذ بداية تأسيسها على الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وبمختلف الوسائل. إذ إنّ النقص في العنصر البشريّ في مواجهة الدول العربيّة، دفع ساسة الصهاينة إلى الإصرار على استمرار الهجرة على نطاق واسع. وقد تولّت إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ حملة واسعة لجمع اليهود فيها. وكانت تلك الحملة تهدف، بالإضافة إلى ذلك، إلى فرض الوصاية على يهود العالم، والإيحاء بأنّ اليهود في كلّ مكان يدينون بالولاء الأوّل لإسرائيل. وانطلاقًا من ذلك، احتلّت الهجرة مكانًا مرموقًا في برامج الأحزاب والمنظّمات الصهيونيّة المنتشرة في العالم، وأصبح "جمع الشتات" أمرًا شبه مقدّس لديها باعتبار أنّه الدرع الواقية لأمن إسرائيل. وقد نصّت وثيقة الاستقلال على أنّ "دولة إسرائيل ستكون مفتوحة أمام الهجرة اليهوديّة وجمع الشتات". ونظّمت عمليّة الجمع بقانون العودة الذي تبنّاه الكنيست في ٥ تمّوز ـ يوليو ١٩٥٠، والذي يجعل الهجرة إلى إسرائيل حقًّا مقدّسًا لكلّ يهوديّ. واستكمل ذلك بقانون الجنسيّة عام ١٩٥٢، وهو القانون الذي يمنح الجنسيّة آليًّا لكلّ يهوديّ يهاجر إليها.

من هنا يبدو أنّ حملة مركّزة من الدعاية، دبّرت وترافقت مع خلق هذه الدولة العنصريّة، غايتها زعزعة وجود الطوائف اليهوديّة في المجتمعات التي عاشوا فيها طويلاً، تمهيدًا لحملهم إلى هجرة جماعيّة إلى إسرائي، لتلبية حاجاتها بالطاقة البشريّة والمال والقوّة العسكريّة. وعن طريق غرس الخوف من الاضطهاد الوشيك، وأساليب

الدعاية الأخرى، تمكّن وكلاء الصهيونيّة من تهجير اليهود من الوطن العربيّ والشرق بنسبة ٤٧,٣٥٪ من مجموع الهجرة العامّة سنة ١٩٤٩، وبلغت ٨٦,٧٪ سنة ١٩٥٦. هذا بالإضافة إلى أنّه لم يكن للصراع العربيّ الإسرائيليّ أثر في موقف العرب تجاه اليهود المقيمين في بلادهم، إذ لم يجبر أحد منهم على المغادرة، بل غادروا اختياريًّا إذ إنّ الدول العربيّة لم تنكر عليهم حقّ الهجرة[1].

غير أنّ كثيرًا من يهود الدول العربيّة لم يحبّذوا الانتقال إلى إسرائيل، وقد كانت لهم مصالحهم في البلدان التي نشأوا وترعرعوا فيها، ففضّلوا البقاء فيها. هنا جاء دور المخابرات الإسرائيليّة القاضي بإجبار هؤلاء على اختيار الانتقال إلى إسرائيل. وكان من أبرز تلك العمليّات الاستخباراتيّة التخريبيّة التي أنجزتها المخابرات الإسرائيليّة في هذا السياق، العمليّات التي قامت بها في بغداد عام ١٩٥٢.

لقد كان من تداعيات إخفاق شبكة الموساد في العراق بعد حملة التفجير التي استهدفت الكُنس اليهوديّة هناك على أيدي العملاء الإسرائيليّين بهدف تهجير يهود العراق إلى فلسطين المحتلّة، نهاية دور شيلوح على المسرح الاستخباراتي في خريف ١٩٥٢.

تبدأ أحداث هذه الفضيحة في مكتب شيلوح، يوم استدعى إليه "ياكوف فرانك" لتعيينه جاسوسًا في العراق. حدث ذلك في كانون الثاني - يناير قبل عشرة أسابيع من تأسيس الموساد.

كان فرانك عضوًا متحمّسًا في الهاغاناه، وبعد أن أفلت من مطاردة البريطانيّين له في فلسطين، عمل لحساب وكالة الهجرة في نيويورك. وقام بدوره إلى جانب الحلفاء

---

١ - البندك مازن، أطلس الصراع العربي الصهيوني حتّى ١٩٧٨، دار القدس (بيروت، لا.ت.) ص٤٤ - ٤٥.

في الحرب العالميّة الثانية بوصفه جنديًّا أميركيًّا يقاتل اليابانيّين في المحيط الهادئ. وإذ أصيب بجراح خطيرة في الفيليبين في تشرين الأوّل ـ أوكتوبر ١٩٤٤، عاد إلى إسرائيل بعد إعلان التقسيم سنة ١٩٤٨، وهو يتمتّع بالجنسيّة الأميركيّة وبراتب تقاعديّ من البنتاغون. وبعد أن استردّ عافيته، شارك فرانك في القتال ضدّ العرب ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩.

عندما استدعي فرانك إلى مكتب شيلوح، كان على وشك أن يتمّ استدعاؤه بدون إنذار مسبق للخدمة الفعليّة في الجيش.

وبعد أخذ وردّ، عيّن شيلوح الرجل الذي استدعاه ليتولّى مركز مخابراته قبل إنشاء الموساد، خلفًا للرجل العامل هناك في تلك المهمّة والذي كان على وشك أن ينهي مدّة خدمته. ووافق شيلوح على إعطاء فرانك كامل السلطة في العراق بصفته مسؤولاً عن هجرة اليهود من هناك وأيضًا عن جمع المعلومات. وعندما تساءل فرانك مستغربًا أمام شيلوح عن كيفيّة تكليفه بأعمال الهجرة في الوقت الذي تعتبر فيه وكالة الهجرة هي المسؤولة عن هذا الأعمال، قال له شيلوح: "لاعليك، لا تقلق، كلّ شيء يجري تنسيقه". وقد اطمأنّ فرانك فعلاً عندما قابل وزير الخارجيّة "موشي شاريت" الذي أكّد له أهميّة عمليّة بغداد، وطمأنه بأنّ دولة إسرائيل تقف وراءه.

سرعان ما طار ياكوف فرانك من تلّ أبيب إلى طهران وهو يحمل جواز سفر إسرائيليًّا مزيّفًا باسم "إسحق شتاين". وفي العاصمة الإيرانيّة التقى برئيس مركز وكالة الهجرة "صهيون كوهين" الذي سأله فرنك: "لحساب من تعمل؟ ألحساب شيلوح؟ وما هي الوكالة التي تعمل لحسابها؟ أهي وكالة الهجرة؟ أم القسم السياسي الذي يرأسه غورييل؟ أم المخابرات العسكريّة التي يقودها غيلبي؟... غير أنّ كوهين لم يكن يعرف لحساب من يعمل بالتحديد.

بعد شهرين من الانتظار في طهران من دون عمل شيء، حاول كوهين أن يساعد فرانك، فتدبّر له جواز سفر زائفًا باسم تاجر سجّاد بحرينيّ يدعى "اسماعيل طاشبقاش". وبالرغم من أنّ هذا الغطاء لم يرض فرانك الذي لا يتقن العربيّة، وإن تكلّمها فبلهجة فلسطينيّة، وكان يعتقد أنّ غطاءه سيكون رجل أعمال كنديًّا كونه يتحدّث الإنكليزيّة بطلاقة، وزار كندا مرارًا، أضف إلى ذلك أنّ ملامح وجهه أوروبيّة وليست عربيّة... وإذ لم يكن هنالك من يشكو أمره إليه، فقد استبعد فرانك فكرة العودة إلى إسرائيل، وقرّر تنفيذ مهمّته حتّى بدون توافر تعليمات محدّدة. فقام بإحراق كلّ وثيقة تربطه بالدولة العبريّة، ثمّ عمد إلى رشوة بعض المهرّبين لنقله من إيران إلى داخل العراق التي وصلها في ٢٠ نيسان ـ إبريل ١٩٥١، فكان تاريخ وصوله موعدًا مع بداية المتاعب الناتجة عن الفوضى والإهمال من قبل إدارة المخابرات الإسرائيليّة.

لم يكن أحد من المعنيّين في بغداد على علم بوصوله. حتّى أنّ العائلات اليهوديّة قد رفضت إيواءه تشكيكًا منها بصحّة هويّته، وهو الذي لا يحمل من أوراق ثبوتيّة سوى جواز سفر بحرينيّ باسم اسماعيل طاشبقاش.

كان العميل الرئيسيّ لوكالة الهجرة في بغداد يدعى "بن بورات"، وهو يهوديّ ولد في العراق، وهاجر إلى فلسطين، وخدم في الجيش الإسرائيليّ، ثمّ أعيد إلى العراق في خريف ١٩٤٩ لتنظيم مغادرة اليهود غير القانونيّة، وانتحل شخصيّتين ليهوديّين غادرا العراق بالفعل، وكان يتبادل انتحال الإسمين الزائفين: "زكي حابي"، و"موشي نسيم". وفي إطار حالة الاضطراب التي سيطرت على مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة، كان بن بورات مسؤولاً أيضًا عن عمليّات سريّة أخرى، فكان يدير شبكة عملاء ينقل أعضاؤها إليه معلومات عسكريّة وسياسيّة هامّة، وكانوا مرتبطين جميعًا بالمقرّ الرئيسيّ في تلّ أبيب بموجة لاسلكيّة قصيرة.

بن بورات هذا، كان الشخص الذي جاء فرانك لخلافته. غير أنّ فرانك واجه مهمّة مستحيلة بإبلاغ بن بورات أنّ مهمّته هي تولّي مركزه، ورفض بن بورات الامتثال، مدعيًا أنّ فريقه من العملاء ورؤساء الجالية اليهوديّة الذين يعرفون أنشطته السريّة، لن يوافقوا على هذا التغيير ولن يأمنوه. ونُقل فرانك وهو بحالة الغضب الشديد إلى فندق في بغداد ليتدبّر أمره. وسرعان ما اكتشف أن رجال الأمن العراقيّ يراقبونه، فأصبح يقوم بتغيير سيّارة الأجرة بضع مرّات ليتخلّص من عيون مطارديه. ولمّا لجأ إلى عملاء بن بورات طالبًا عونهم في الهرب رفضوا مساعدته.

بعد أسبوع واحد، تمكّن فرانك من رشوة موظّف في شركة سفريّات ليرتّب له انتقاله إلى بيروت. ومن بيروت طار إلى تركيا وهو يعتزم اللحاق برحلة جويّة إلى تل أبيب. ولكنّ القنصل الإسرائيلي في اسطنبول رفض تصديق روايته، ولم يمنحه تأشيرة بوصفه تاجر سجّاد بحرينيّ، وكانت تلك هي الشخصيّة الوحيدة التي كان فرانك يحمل أوراقها الثبوتيّة. وتطلّب الأمر من القنصل ثلاثة أيّام قبل أن يمنح "طاشبقاش" في النهاية تأشيرة دخول إلى إسرائيل، غير أنّ القنصل رفض إلاّ أن يدمغ جواز السفر البحريني بتأشيرة دخول إلى إسرائيل، ما جعل جواز السفر عديم الفائدة بعد ذلك الحين.

عندما وصل فرانك إلى مطار اللد، لم يجد في استقباله أيّ مسؤول في المخابرات. وممّا ضاعف من دهشة فرانك أنّه عندما ذهب إلى مكتب شيلوح الذي أرسله إلى بغداد، والذي كان قد أصبح مديرًا لجهاز الموساد، رفض استقباله! وهكذا انتهت قصّة فرانك، غير أنّ قصّة العمالة الاسرائيليّة في بغداد لم تنتهِ.

في غضون شهر من رحيل فرانك من العراق على عجل، كشف العراقيّون مجموعة سريّة إسرائيليّة في بغداد. ويقول باحثون[1] إنّ انهيار المجموعة كان حتميًّا بالنظر إلى غطاء بن بورات الواهن، وإصراره على السيطرة على كلّ أمور التجسّس والهجرة الإسرائيليّين.

قبل ذلك التاريخ كان البرلمان العراقيّ قد أقرّ قانونًا في آذار ـ مارس ١٩٥٠ يسمح لكلّ يهوديّ بمغادرة العراق إن أراد ذلك، ولم يكن على اليهود سوى التخلّي عن الجنسيّة العراقيّة ببساطة. وبدا ذلك تساهلاً مثيرًا للدهشة من جانب نظام أعلن الحرب ضدّ إسرائيل وألقى القبض على مئات اليهود لنشاطاتهم الصهيونيّة... وقد تمّ نقل حوالى ١٥٠ ألفًا من اليهود العراقيّين إلى إسرائيل بطريق الجوّ بين أيّار ـ مايو ١٩٥٠ وكانون الثاني ـ يناير ١٩٥٢. وقد عرفت الرحلات الجويّة المباشرة باسم عمليّة "عزرا ونحميا[2]"، أمّا شركة الطيران التي قامت بها فكانت شركة أميركيّة غامضة أسّسها في العراق المدعو "شلومو هليل" من عملاء وكالة الهجرة، قدّم نفسه في العراق بعد أن انتقل إليها من أوروبّا على أنّه يدعى "ريتشارد أرمسترونغ"، وعلى أنّه ممثّل شركة الشرق الأدنى للنقل الجوّي الأميركيّة. وقد سترت شركة الطيران هذه حقيقتها بعناية كي تخفي روابطها الوثيقة مع الحكومة الإسرائيليّة[3]. وقد حلّ الجسر الجوّي الذي عرف باسم "عزرا ونحميا" محلّ عمليّة بن بورات التي كانت أصغر بكثير والتي كانت

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٣٠.

٢ ـ نسبة إلى القائدين التوراتيّين اللذين قادا شعبهما في طريق العودة إلى الأرض المقدّسة من المنفى في العراق قبل نحو ثلاثة وعشرين قرنًا.

٣ ـ قامت هذه الشركة بنقل كلّ يهود اليمن وعدن البالغ عددهم ٥٠ ألفًا إلى إسرائيل في عمليّة سريّة أخرى لوكالة الهجرة إسمها المشفّر "عمليّة البساط السحريّ".

تهدف إلى تهريب اليهود برًّا من العراق إلى إيران ثمّ نقلهم إلى إسرائيل. حتّى أنّ بن بورات نفسه قد انتقل إلى إسرائي عبر عمليّة عزرا ونحميا بعد أن قبض عليه مرارًا الأمن العراقيّ وأجرى معه عدّة استجوابات تمكّن في خلالها من إخفاء أنشطته.

غير أنّ عميلاً إسرائيليًّا ثانيًا قبض عليه مع بن بورات لم يتمكّن من الحفاظ على غطائه السرّي، الذي كان تاجرًا فارسيًّا، بينما لم يكن حتّى بمقدور العميل أن يتكلّم الفارسيّة، فاعترف للعراقيّين بأنّ اسمه الحقيقيّ "يهودا تاغار"، وأنّه كان جنديًّا سابقًا في الـ"بالماخ" وهي "قوّات العاصفة" الخاصّة التابعة للهاغاناه، أرسل إلى بغداد من جانب القسم السياسيّ، قبل حلّه، كضابط حالة لمجموعة من اليهود العراقيّين الشباب والمرتزقة العرب الذين يجمعون معلومات استراتيجيّة لحساب إسرائيل[1]. وبنتيجة تلك التحقيقات ألقى العراقيّون القبض على نحو مئة يهوديّ عراقي واحدًا تلو الآخر، وضبطوا لديهم كميّة هائلة من الأسلحة، وأدين عشرون منهم في كانون الأوّل - نوفمبر ١٩٥١، فتمّ شنق اثنين منهم وحكم على تاغار بالسجن المؤبّد[2].

أدين أولئك العملاء بأربع عمليّات تخريب إلى جانب جرائم أخرى. أمّا أبرز تلك العمليّات فكان إلقاء قنابل على مركز الاستعلامات العامّة التابع للسفارة الأميركيّة ما

---

١ - ذكر بعض الروايات (المقدّم عدرة غادة، هجرة الطائفة اليهوديّة من العراق، مجلّة تاريخ العرب والعالم، العدد ٥٤، نيسان ١٩٨٣، ص٦٦.) أنّه في عام ١٩٥١، أي بعد الانفجار الذي حصل في المعبد، رأى لاجئ فلسطينيّ من عكّا أحد الضبّاط العسكريّين الإسرائيليّين في بغداد، فأبلغ اللاجئ الشرطة عن الضابط الذي تمّ القبض عليه وعلى خمسة آخرين من أعضاء المنظّمة السريّة الصهيونيّة، وقد فضح هؤلاء المخطّط الصهيونيّ وأخبروا الشرطة العراقيّة عن مخابئ الأسلحة في المعابد...

٢ - طرد تاغار من العراق سنة ١٩٦٠ بعد أن أقام عملاء الموساد اتصالاً مع الحاكم العراقيّ الجديد العقيد عبد الكريم قاسم، وضمنوا تسليمهم تاغار في مقابل تقديم معلومات عن المؤامرات التي كان يدبّرها المنشقّون العراقيّون ضدّ عبد الكريم قاسم.

ألحق به أضرارًا طفيفة. ووضع متفجّرة في مقهى في بغداد يجتمع فيه اليهود عادة. أمّا أكبر تلك العمليّات وأعنفها وأكثرها إرهابًا فكان هجوم بالقنابل اليدويّة على كنيس يهوديّ في بغداد يعرف بكنيس "مسعود شيمنوف" بينما كان مئات اليهود يصلّون ما أدّى إلى مقتل أربعة من المصلّين بينهم صبيّ في الثانية عشرة من عمره، وإصابة نحو عشرين آخرين بجراح.

أدّى الاتّهام المذهل بأنّ شبكة جواسيس إسرائيليّة قد قصفت معبدًا يهوديًّا بالقنابل إلى إصابة اليهود العراقيّين بصدمة. وراجت شائعات بين المهاجرين العراقيّين إلى إسرائيل الذين ظنّوا أنّه قد يتمّ التعجيل بترحيلهم من العراق عن طريق مزيد من العمليّات الإرهابيّة التي سوف يشنّها إرهابيّون إسرائيليون. وكان العراقيّون في إسرائيل ناقمين بالفعل ويوجّهون اللوم للقيادة الأوروبيّة المولد للدولة اليهوديّة لدفعها إيّاهم إلى داخل خيم وأكواخ بدائيّة دونما أمل في الحصول على مسكن مريح أو على عمل مناسب. وشعر المهاجرون الشرقيّون الذين يعرفون بـ"السفاريم" بالإذلال جرّاء رشّهم بمبيدات الحشرات وعدم منحهم حريّة الاختيار. وبدا الساسة اليهود الأوروبيّون الذين يعرفون بـ"الأشكنازي" مشغولين للغاية بتهنئة أنفسهم بالعمل العظيم الذي قاموا به عن طريق تهجير اليهود العراقيّين أكثر من اهتمامهم بعمل أيّ شيء ملموس لهم على أرض الواقع.

كلّ هذا جعل رئيس الوزراء بن غوريون يصدر أوامره إلى إيسر هاريل، مدير إدارة شين بيت، في عام ١٩٦٠ بإجراء تحقيق داخليّ حول العمليّة الإرهابيّة التي شنّت على الكنيس في العراق، وقد ذكر التقرير البالغ السريّة الذي صدر عن لجنة التحقيق التي ضمّت ثلاثة أعضاء أنّه "ليس بالإمكان اكتشاف أيّ دليل حسّي على أنّ الإسرائيليّين أو اليهود قد تورّطوا في إلقاء المتفجّرات".

إلاّ أنّه قبل التحقيق وصدور هذا التقرير الغامض في مضمونه، كان قد تبيّن لبن غوريون[1] حقيقة تورّط المخابرات الإسرائيليّة في العمليّة الإرهابيّة على المعبد اليهوديّ في بغداد. فقد كتب في يوميّاته في ٢٤ أيّار ـ مايو ١٩٥٢:

جاء إليّ إيسر (هاريل) وفي رأيه أنّ روفين (شيلوح) قد أخفق في مهمّته....

وفي ١٩ أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٢، وبعد ١٨ شهرًا فقط أمضاها في منصبه كأوّل مدير للموساد، قدّم شيلوح استقالته إلى بن غوريون[2]، وعندما طلب منه هذا الأخير أن يوصي بمن يمكن أن يخلفه، رشّح ليفنسكي، وغيلبي، وهاريل... فوقع اختيار بن غوريون على هاريل.

قبل ذلك التاريخ، كان شيلوح قد حقّق إنجازات كبرى لإسرائيل. فبوصفه الدبلوماسي السريّ الأكبر لبن غوريون، شارك شيلوح بنفسه في العلاقة الإسرائيليّة المعلومة بالملك عبدالله. كما تمكّن من إجراء اتّصالات أخرى أقيمت على الرشوة داخل القيادات البائدة في بعض الأنظمة العربيّة. كما نجح في إقامة علاقة مع تركيا، ففي كانون الأوّل ـ ديسمبر ١٩٥٧، اجتمع رئيس الوزراء التركيّ "عدنان مندريس" مع "إياهو ساسون" المبعوث الاسرائيلي الخاص، ورتّبا جلسة متابعة لمسؤولي المخابرات في الدولتين في حزيران ـ يونيو ١٩٥٨. وقد رأس شيلوح الفريق الاسرائيليّ على الرغم من أنّه لم يتقلّد أيّ منصب رسميّ في الموساد على مدى سنوات بعد استقالته

---

١ ـ يرى باحثون (الوطن العربي والموساد، في موسوعة الأمن والاستخبارات في العالم، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣) ص٧٢.) أنّ بن غوريون نفسه كان وراء تلك العمليّة.

٢ ـ توفّي روفين شيلوح سنة ١٩٥٩، وكانت قد ساءت صحّته بعد إصابته بجرح في رأسه في حادث سيّارة قبل أن يستقيل؛ راجع: الحاج سالم وخلف، الوجه الحقيقي للموساد، ص٤٢ ـ ٤٥.

من منصبه كأوّل مدير للوكالة في أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٢. فقد كان بن غوريون رئيس الوزراء وغولدا مائير وزيرة الخاجيّة يعتقدان أنّ شيلوح هو أفضل شخص يناسب المهامّ الدبلوماسيّة السريّة. بعد ذلك الاجتماع، طار بن غوريون بنفسه إلى أنقرة في ٢٨ آب ـ أغسطس وبرفقته مائير ورئيس الأركان لرؤية مندريس. وكان المبرّر الرسميّ لوجود طائرة تابعة لشركة العال الإسرائيليّة في دولة إسلاميّة، هو أنّها واجهت مشاكل في المحرّكات أجبرتها على الهبوط الاضطراريّ في تركيا. وقد تمثّلت النتيجة المحدّدة لكلّ تلك المباحثات في اتّفاق رسميّ لكنّه بالغ السريّة للتعاون الشامل بين الموساد وبين "وكالة الأمن الوطني التركيّة TNSS". واتّفقت الموساد على ميثاق مماثل في الحقبة نفسها مع الـ"سافاك" في نظام الشاه في إيران.

على أنّ شيلوح قد تأكّد من أنّ قدرة العملاء الاسرائيليّين على الوصول إلى الزعماء العرب، لا يمكن أن تغيّر الحقائق السياسيّة والاستراتيجيّة الأساسيّة في الحياة في الشرق الأوسط، وأنّ شعوب الدول العربيّة ستواصل كراهيّتها لدولة إسرائيل، وأنّ الحرب ستستمرّ لا محالة.

الحقبة الثانية من تاريخ الموساد

عهد إيسر هاريل

كان رئيس الوزراء الإسرائيلي بن غوريون قد تعرّف إلى إيسر هاريل أثناء وجود الأخير في جهاز شين بيت، واكتشف الرجلان أنّ اهتماماتهما متطابقة. فبعد حصول إسرائيل على استقلالها في حرب ١٩٤٨، ركّز بن غوريون انتباهه على القضايا الداخليّة وهي: استيعاب مئات الألوف من المهاجرين اليهود الجدد، وإجراءات التقشّف الصارمة، والنزاعات المريرة بين الجماعات السياسيّة. ومع تقلّص الاهتمام بالسياسة الخارجيّة، كان من الطبيعيّ أن يتركّز اهتمام بن غوريون على جهاز شين بيت أكثر من الموساد أو المخابرات العسكريّة. ووجد هاريل بوصفه رئيسًا لشين بيت أنّ باب بن غوريون مفتوح أمامه أكثر ممّا هو أمام شيلوح. وكان هاريل مثله في ذلك مثل بن غوريون والمؤسّسين الآخرين لإسرائيل، ينتمي لأصل أوروبيّ شرقيّ[1].

---

١ ـ ولد إيسر هاريل عام ١٩١٢ في فايتسبك بإقليم فولوغين في روسيا القيصريّة وحمل اسم "إيسر هالبراين"، وهو الإبن الأصغر لأربعة أشقّاء من أب كان من رجال الاعمال الأغنياء من علماء التلمود، وعندما شبّ إيسر انضمّ إلى مجموعة صهيونيّة يساريّة تعرف باسم "الحرس الفتيّ" وهي التي طوّرت في ما بعد لتصبح حزب "المابام" والذي أضمر له هاريل الكراهيّة عندما شبّ بعد ذلك في إسرائيل. وكواحد من اليهود القلائل المحظوظين، اختارت جماعة الحرس الفتيّ إيسر هالبراين للذهاب إلى كيبوتز في فلسطين كواحد من الروّاد الاشتراكيّين. لكنّه سرعان ما فقد أيّ ميل للاشتراكيّة.

وكان هاريل قد انضمّ إلى الهاغاناه وعمل مع فرع المخابرات "شاي" في عام ١٩٤٤. وأكسبه العمل السرّي لمدّة ثماني سنوات خبرة كبرى. وقد لاحظ بن غوريون في منتصف حرب ١٩٤٨ ما يتمتّع به هاريل من مواهب في مجال المخابرات، فتمّ تعيينه وهو في السادسة والثلاثين من عمره كأوّل مدير لوكالة شين بيت كما سبق.

كبار الموظّفين الذين رحّبوا بإيسر هاريل في المقرّ الرئيسي للموساد في صباح ذلك اليوم من أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٢، لم يؤخَذوا بمظهره الخارجيّ. فهو بالكاد يصل إلى متر وأربعين سنتمترًا طولاً، وأذناه كأذني جرّة، ويتكلّم العبريّة بلكنة وسط أوروبيّة ثقيلة، ذلك أنّ عائلته كانت قد هاجرت من لاتفيا سنة ١٩٣٠، أمّا ملابسه فبدت كأنّه كان نائمًا فيها. ولم يكن هاريل قد بلغ الأربعين من عمره رغم أنّه بدا كما لو كان في الخمسين على أقلّ تقدير... غير أنّ ما بدا على هاريل من إرهاق وتقدّم في السنّ لم يكن سوى واجهة خادعة، فقد كان يتمتّع بطاقة شابّة لا حدود لها.

كان أوّل ما قاله للموظّفين المجتمعين: "الماضي قد مضى والأخطاء لن تتكرّر. سوف نمضي قدمًا سويّة. ولن نتكلّم مع أحد عمّا يخصّنا بل في ما بيننا". وقدّم في ذلك اليوم بالذات أمثولة عمّا يقصده.

فبعد تناول الغداء استدعى سائقه، وعندما سأل هذا الأخير إلى أين يريد منه أن يتّجه؟ قال له: كان عليك أن تسير فقط في وجهة السير. ثمّ طرده. وقاد هاريل السيّارة بنفسه وعاد وهو يحمل صندوقًا من الحلوى قدّمه للموظّفين. وقد فهم الجميع القصد. فهو وحده من يطرح الأسئلة.

كانت تلك لحظة التعارف التي قرّبت هاريل من قلوب موظّفيه المحيطين. فانطلق يملؤهم بالنشاط والحيويّة بقدوته. سافر سرًّا إلى بلدان عربيّة معادية لينظّم بنفسه شبكات الموساد فيها. وأجرى مقابلة مع كلّ شخص أراد الانضمام إلى الجهاز. وكان

يبحث عن أمثاله ممّن نشأوا في المزارع الجماعيّة اليهوديّة التي عُرف اسم واحدتها بـ"الكيبوتز"، ولسان حاله أنّ "مثل هؤلاء الناس يعرفون عدوّنا" كما أبلغ إلى أحد مساعديه الكبار الذي استفسر عن سياسته. وتابع قائلاً: "إنّ العاملين في تلك المزارع يقيمون قريبًا من العرب. وقد تعلّموا لا أن يفكّروا مثلهم فقط، بل أن يفكّروا أسرع منهم".

وقد وصف بعض المصادر[1] إيسر هاريل بأنّه كان صاحب صبر خارق كسورات غضبه. وكلّ الذين كانوا داخل دائرته المغلقة كانوا مثار شكّ! و"انتهازيّين بلا مبدأ"، ولم يكن يقبل التعامل مع أشخاص كان يعتبرهم "متعصّبين يتبرقعون ببرقع الوطنيّة، خصوصً المتعصّبين دينيًّا". وشيئًا فشيئًا كان يظهر كرهه الصريح لليهود الحرفيّين. وكان عدد كبير من هؤلاء في حكومة بن غوريون، وسرعان ما صاروا يستأثرون من إيسر هاريل، ثمّ حاولوا إيجاد سبيل لإزاحته، لكنّ رئيس الموساد الماكر ضمن بقاءه إلى جوار "كيبوتزيّ" آخر هو رئيس الوزراء بن غوريون، الذي تأثّر كثيرًا بمثابرة هاريل واستقامته، واعتبر أنّه الرجل المناسب لمهمّة لم يتّم قبله فهمها بالكامل. وأصبح هاريل الرئيس الأعلى للمخابرات الإسرائيليّة بعد تولّيه مسؤوليّة كلّ من "شين بيت" داخل إسرائيل، والموساد خارجها.

---

١ - طوماس، إنحطاط الموساد، ص٥٦.

كشفُ الاختِلاسَات

في اليوم الأوّل لإيسر هاريل كرئيس للموساد وتحديدًا في ٢٠ أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٢، حضر إليه في مكتبه رجل يدعى "دان باينس" يعمل محرّرًا في جريدة "دافار" التابعة للحركة العمّاليّة، وطلب منه خمسة آلاف دولار. وعندما استوضح هاريل عن سبب طلب الرجل لمثل هذا المبلغ من الموساد، أبدى تعجّبه متسائلاً كيف أنّ رئيس الموساد ليس على علم بأنّ هناك شبكة تجسّس يديرها باينس تعمل في الاتّحاد السوفياتيّ. وراح يروي حول ذلك قصّة معقّدة استمع إليها هاريل بصبر، وأنهى المقابلة بقوله إلى باينس: "إمنحني بضعة أيّام حتّى أتأقلم مع الأوضاع، وسوف أردّ على طلبك". فقد اشتمّ رئيس الموساد بحاسّته التي اكتسبها كرئيس لوكالة شين بيت رائحة اختلاس في الأمر، وبدلاً من أن يمنح باينس أيّ أموال، شكّل لجنة تحقيق للنظر في ما بدا له عمليّة احتيال. ولم يكن مثل تلك التحقيقات ليثير أيّ ضجّة علنيّة، لأنّه كان من المعتاد في السنوات الأولى لإسرائيل أن يعيّن أعضاء مثل تلك اللجان من حزب الماباي الحاكم فقط، بحيث لا تكون لجنة برلمانيّة مشتركة، وقد ضمن هذا الإجراء بقاء كلّ ما من شأنه أن يثير أيّ حرج، وخاصّة ممّا يتعلّق بشؤون المخابرات داخل نطاق "الأسرة"، كما جاء في بعض المصادر[١].

لم يتطلّب الأمر سوى وقت قصير لتكشف لجنة التحقيق عن حقيقة أنّ باينس كان يكذب، وكان يمتصّ أموالاً سهلة من الموساد التي كان روفلين شيلوح يديرها بغير انتباه. والمقول إنّ مؤسّس الموساد لم يؤخذ عليه سوى سوء الإدارة المختلط بالسذاجة،

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٣٩.

إلاّ أنّ باينس كان قد أقنعه هو وموشي شاريت وزير الخارجيّة في كانون الأول – ديسمبر ١٩٥١ بأنّه يعمل على إنشاء جماعة سريّة صهيونيّة داخل روسيا. وكان عقب إلغاء وكالة الهجرة السريّة أن اهتمّت إسرائيل على وجه الخصوص باليهود السوفيات، وبألاّ تفقد الصلة بهم، ما جعل لعلاقات باينس المزعومة وقعًا طيّبًا بصفة خاصّة. وأعلن الصحافيّ المحترم أنّ هناك مسؤولاً سوفياتيًّا، لم يكشف عن اسمه، يرغب في مساعدة إسرائيل سرًّا، وكان يلوّح بالرسائل التي زعم أنّه يتلقّاها من عملاء مفترضين في الخارج، والتي اكتشف المحقّقون أنّه كان يتلقّاها من أصدقائه المقيمين هناك. وكان الجاسوس الهاوي قد استمرّ في استغلال افتقار شيلوح للإدارة لمدّة تسعة شهور، وهو يزعم أنّه يعقد اجتماعات سريّة مع مصادر معلومات روسيّة سريّة في باريس، نيويورك، كوبنهاغن... وفي كلّ مرّة عند عودته إلى تلّ أبيب، كان يتلقّى نفقاته بالكامل من الموساد. وقد لفّق الصحافيّ المتجوّل مخطّطه بسبب مرض ابنته الشديد الذي يحتاج إلى نفقات باهظة للعلاج في أوروبّا. واستنادًا إلى أنّ دوافعه تدعو للتسامح بشأنها، ولأنّهم كانوا يرغبون في إخفاء الأمر برمّته، لم توجّه أيّ اتّهامات جنائيّة إلى باينس.

برهن هاريل عن طريق اكتشاف مخطّط باينس على قيمته منذ أوّل يوم له في الموساد. والمقول إنّ بن غوريون قد اختاره، قبل كلّ شيء، بسبب نزوعه العقليّ للشكّ والارتياب بالإضافة إلى صفات أخرى كان يتمتّع بها.

أمبَراطُوريَّةُ هَاريل

أسّس إيسر هاريل بسرعة الأمبراطوريّة المخابراتيّة الخاصّة، فكان مئات العاملين في وكالتي الموساد والشين بيت يقدّمون تقاريرهم إليه مباشرة، ولم يكن أحد ليسأله عن نشاطه سوى رئيس الوزراء دون سواه. وأصبح لوكالة شين بيت رئيس شكليّ جديد هو "إيزادور روت"، وهو يهوديّ بولنديّ، عمل من قبل نائبًا لهاريل. وقد أدخل روت تعديلاً على اسمه ليصبح "إيزي دوروت"، وذلك بهدف اكتساب سمة عبريّة. كان ذلك عند عودته من جديد للعمل في شين بيت لمدّة قصيرة بعد أن عمل لبعض الوقت مساعدًا لشيلوح في الموساد. فقد كانت التناقلات بين شين بيت والموساد من الأمور المألوفة تمامًا في خلال العقدين الأوّلين من عمر مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة. وقد استمرّ دوروت في تولّي منصبه القياديّ في شين بيت لمدّة عام واحد فقط، إذ اعتبر قائدًا غير مؤثّر. وفي أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٣، طلب منه تقديم استقالته. وقد عاش بعد ذلك في الظلّ تمامًا حتّى وفاته سنة ١٩٧٩، لدرجة أنّ أحدًا من المخابرات الإسرائيليّة لم يكن يتذكّره إلاّ لمامًا.

بعد دوروت، ترأس شين بيت "عاموس مانور"، وهو من مواليد ترانسلفانيا في أواخر أيّام الأمبراطوريّة النساويّة ـ المجريّة في تشرين الأوّل ـ أوكتوبر ١٩١٨، وكان اسمه الحقيقي "أرتور منديلفنتشي". وعند اندلاع الحرب العالميّة الثانية عام ١٩٣٩، كان منضمًّا للجيش المجريّ، وظلّ في الخدمة هو والجنود اليهود الآخرون حتّى بعد أن أجبرت الحكومة الفاشيّة الموالية للنازيّين اليهود على وضع النجوم الصفراء على ملابسهم، ولم يتمّ طردهم من الجيش إلاّ في عام ١٩٤٣. يومها استقلّ منديلفنتشي واحدًا من قطارات النقل الأولى التي حملت اليهود المجريّين إلى معسكر "أوشفيتز" للإبادة في

بولندا. على أنّ منديلفنتشي استطاع أن ينجو من المجزرة، وعاد إلى ترانسلفانيا التي كانت قد أصبحت جزءًا من رومانيا. وبعد مدّة قصيرة مرّت على انتهاء الحرب، أدرك أنّه لا مستقبل لليهود في شرق أوروبّا، فطلب من ناشطين صهاينة مساعدته على الانتقال إلى فلسطين الواقعة تحت الحكم البريطانيّ. وبدلاً من مساعدته على مغادرة رومانيا، قام عملاء وكالة الهجرة السريّة بمراجعة طلبه، وقرّروا أنّ أفضل استخدام له، وهو الناجي من تجربة خطيرة ويحوز خبرة عسكريّة، هو إبقاؤه حيث هو، وأقنعوه بالانضمام لوكالة الهجرة التي ظلّ يعمل فيها سرًّا في بوخارست على مدى ثلاث سنوات في مشروعات تمكّنت من إرسال آلاف اليهود الذين نجوا من المذابح الجماعيّة إلى أرض فلسطين. وظلّ منديلفنتشي يعمل لحساب إسرائيل بعد استقلالها عام ١٩٤٨ على الرغم من أنّه لم يذهب إليها من قبل، غير أنّه حقّق أمنيته في عام ١٩٤٩، عندما أمرت حكومة رومانيا الشيوعيّة بإغلاق كافّة المنشآت الصهيونيّة داخل أراضيها. وبعد حصوله وزوجته على جوازي سفر مزيّفين، هربا إلى الدولة العبريّة، خشية اتّهامهما بالقيام بنشاطات سياسيّة غير مشروعة أو بأعمال تجسّس. وبعد ثلاثة أيّام مرّت على وصوله إلى إسرائيل في حزيران ـ يونيو ١٩٤٩، توجّه منديلفنتشي لزيارة وزير الخارجيّة شاريت، ووافق منديلفنتشي على اقتراح الوزير بأن يستبدل اسمه اليهوديّ الأوروبيّ ويختار اسمًا عبريًّا حديثًا، وهكذا أصبح أرتور منديلفنتشي "عاموس مانور". واستقال من وكالة الهجرة.

بنتيجة عمله لمدّة لا بأس بها في وكالة الهجرة السريّة وصل مانور إلى قناعة لن يصل إليها بن غوريون وشيلوح إلاّ بعد ثلاث سنوات، وهي أنّ الدولة الشرعيّة لا تحتاج إلى وكالة متخصّصة في العمل غير المشروع. على أيّ حال، فقد رأى شاؤول أفيجور رئيس وكالة الهجرة يومذاك أنّه بالإمكان الاستفادة من مانور في عمل

المخابرات، وأنّ عيشه في إسرائيل لا يقلّ من وطنيّته، فبعث به إلى إيسر هاريل في شين بيت الذي أعجب به وقرّر تعيينه في الجهاز على الفور.

على الرغم من أنّ المهاجر الجديد بدأ مسيرته بالقرب من أوّل سلّم شين بيت، غير الرسميّ، فقد تمكّن من شقّ طريقه بسرعة قياسيّة ليتولّى منصب رئيس قسم مكافحة التجسّس. فقد آمن مانور منذ البداية بأنّ تهديد الجاسوسيّة الأجنبيّة هو أقوى ما يكون من جانب الكتلة الشيوعيّة أكثر من جيران إسرائيل العرب... فقد هزم العرب في محاولتهم سحق إسرائيل، ولم يكن هناك ما يشير على الإطلاق، برأيه، إلى أنّ الجواسيس العرب في ذلك الزمن هم أفضل من الجيوش العربيّة في عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩.

عندما حلّ هاريل محلّ شيلوح في الموساد رقّى مانور إلى منصب نائب إيزي دوروت، الرئيس الجديد لوكالة شين بيت، وفي سنة ١٩٥٣ عندما تمّت تنحية دوروت من منصبه، أصبح مانور الرئيس الجديد للأمن الداخلي في إسرائيل. وقد كان صعود مانور إلى هذه المرتبة أمرًا غير عاديّ، لأنّه لم يكن قد تجاوز السادسة والثلاثين من عمره، ولم يكن قد مضى على وصوله إلى إسرائيل سوى أربع سنوات فقط، كما أنّه لم يكم ضمن النخبة المطّلعة للدولة التي حاربت كتفًا إلى كتف في الهاغاناه أو في الـ"بالماخ"، القوّة الضاربة للهاغاناه. وهو لم يخدم في الجيش البريطانيّ ولا في الفيلق اليهوديّ الشهير، ولم يقاتل حتّى في سبيل استقلال إسرائيل في ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩. وكان يتحدّث العبريّة بلكنة مجريّة واضحة، ويسلك في حياته كأوروبيّ أكثر من كونه أسرائيليًّا جديدًا.

لقد كان باعتراف الجميع شخصًا وافدًا لا يمكن تحديد جنسيّته بسهولة، غير أنّه كان أيضًا الشخص الذي خلقته النخبة التي يحاول الانضمام إليها.

ويقول باحثون[1] إنّـه منذ الوهلة الأولـى، بدا طبقًا للتسلسل القيـاديّ الرسـميّ أنّ مانور قد وصل إلى نفس المستوى الذي وصل إليه هاريل... فكلّ من الرجلين يعمل كرئيس لوكالة، هاريل في الموساد ومانور في شين بيت. غير أنّه أصبح مـن الواضـح بعد زمن قصير أنّ هاريل هو الأوّل بين المتساوين، حيث أنّه لم يسلّم أبدًا قيـادة الأمـن الداخليّ لأحد، وأمكنه بموافقة بن غوريون رئيس الوزراء أن يقود العمـل السرّي مـن فوق صهوتي جوادين في آن واحد وهما شين بيت والموساد.

سيطر هاريل على كلّ شيء، لدرجة أنّ بن غوريون ابتدع له لقبًا خاصًّا فـي عـام ١٩٥٧ عندما أشار إليه في الكنيست بوصفه "المسؤول الأوحد عن الأجهزة السريّة The Memuneh"... ولم يصدّق مجلس الوزراء ولا الكنيست على هذا اللقب، غير أنّ بن غوريون لم يتردّد في إعلانه. ففي بلد لقي فيه الإعجاب بل والتقديس أحيانًا بوصفه شخصيّة أبويّة، شعر بن غوريون بحريّته في العمل استنادًا إلـى مواهبـه الطبيعيّـة دون الاهتمام بالشكليّات الديموقراطيّة. ففي الوقت الذي أرست فيه الولايات المتّحدة والـدول الغربيّة الأخرى الاجراءات التـي تحـدّد توصيـف وظـائف البيروقراطيّين وتعلـن عـن وضعيّتهم الرسميّة، كان "الرجل العجوز" يدير إسرائيل الصغيرة بأسلوب شخصيّ على الأرجح.

ولا ننسَ أنّه في الوقت نفسه، كان هاريل رئيسًا لـ"فاراش" أيضًا، وهي اللجنة التـي تضمّ مديري كافّة الوكالات الاستخباراتيّة كما سبقت الإشارة. وقد ركّز هاريل سلطات هائلة في قبضته، أكثر من أيّ سلطة تمكّن أيّ رئيس مخابرات في أيّ دولة غربيّة مـن الحصول عليها. فقد حصل رجل أوحد علـى سلطات تـوازي سلطات "إدغـار هوفـر"

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٤٥.

رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية الأميركيّة FBI، و"آلان دالاس" مدير وكالة المخابرات المركزيّة CIA مجتمعة. وهكذا تمتّع إيسر هاريل الضئيل الحجم بهذه السلطة التي لم يسبق لها مثيل، وبتقدير بن غوريون وثقته غير المحدودة، فغدا أمبراطور الاستخبارات الاسرائيليّة.

اعتمد هاريل عادة على مواهبه الطبيعيّة أكثر من اعتماده على أجهزة الكومبيوتر السريع أو على الموازنات الضخمة.

وقد ظلّت شين بيت طوال أعوامها العشرين الأولى منظّمة صغيرة جدًّا لا تضمّ سوى بضع مئات من العاملين وموارد ماليّة محدودة، إلاّ أنّه عهد إليها بالعديد من المهامّ الكبيرة. وقسمت الوكالة إلى قسمين: قسم الدعم وقسم العمليّات. وضمّ قسم الدعم فروع الإدارة والتحقيقات والاستشارات القانونيّة والتكنولوجيا والتنسيق والتخطيط وتمويل العمليّات... بينما ضمّ قسم العمليّات ثلاث إدارات هي:

١ ـ إدارة الأمن القوميّ المسؤول عن حماية سفارات إسرائيل وممثّليها الآخرين في الخارج، وحماية رئيس الوزراء والمسؤولين الآخرين، وتأمين صناعات الدفاع في إسرائيل.

٢ ـ قسم إدارة الشؤون العربيّة، المسؤولة أساسًا عن مراقبة عمليّات التخريب بين الأقليّة العربيّة التي تعيش داخل حدود القسم الإسرائيلي من فلسطين المحتلّة، والتي خضعت للإدارة العسكريّة حتّى عام ١٩٦٥.

٣ ـ قسم إدارة الشؤون غير العربيّة، وهي أكبر الإدارات وأهمّها، مسؤولة عن مكافحة الجاسوسيّة ومراقبة الدبلوماسيّين والوفود الأجنبيّة، ومحاربة التخريب من قبل الشيوعيّين وغيرهم من المتطرّفين السياسيّين اليهود.

ويعتبر باحثون أنّ إسرائيل قد تعلّمت منذ أمد بعيد أن تفعل الكثير بالقليل الذي لديها. فمعظم أجهزة الأمن في العالم تحتاج إلى ثلاثين شخصًا من رجالها لوضع شخص واحد تحت المراقبة لأربع وعشرين ساعة. أمّا في مؤسّسات المخابرات الإسرائيليّة، وبسبب النقص المزمن في قوّة العمل، فإنّ هذه المهمّة يتمّ إسنادها إلى ما لا يزيد عن عشرة من العملاء، يتعيّن عليهم العمل لساعات إضافيّة لأقصى مدى ممكن، كما يساعدهم عادةً مبتدئون تعتبر هذه المهام بمثابة تدريب لهم ليصبحوا عملاء أكفاء في الأجهزة السريّة.

. . . ومملكةُ الرَّجلِ العجُوز

أظهر هاريل إخلاصًا بغير حدود لـ"الرجل العجوز" بن غوريون، ووافق على القيام بأيّ شيء من أجل الحكومة، وعندما طلب منه بن غوريون تحويل مؤسّسة المخابرات إلى أداة سياسيّة لحزب الـ"ماباي" الحاكم، كان سعيدًا بتنفيذ الطلب. ففي الوقت الذي آمن فيه الآباء المؤسّسون لإسرائيل بالديموقراطيّة، كان لديهم أيضًا قناعة راسخة بتطابق مصالحهم السياسيّة الخاصّة مع مصالح الدولة[١]...

كان الإخلاص لبن غوريون أمرًا طبيعيًّا تمامًا، حيث التمايز السياسيّ للاتّجاهات المختلفة لم يكن قد تحدّد مجراه في إسرائيل، ولم يكن لأحد أيّ تجربة في إدارة دولة ديموقرطيّة حديثة، كما لم تتوافر سوى تقاليد ومعايير قليلة للإسترشاد بها.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٤٦.

وبالنسبة للأغلبيّة الساحقة من اليهود كان حزب الـ"ماباي" هو المرادف العمليّ للدولة. وهو الحزب الذي كانت له السيطرة الفعليّة على غالبيّة مؤسّسات الدولة المتمثّلة في الوحدات الصناعيّة والنقابيّة والعمّاليّة والقياديّة العسكريّة ومؤسّسات المخابرات.

وبالاتّفاق مع بن غوريون، بعث هاريل بعملائه للقيام بمهامّ بوليسيّة، كانوا في الغالب ممانعين في أدائها، كمحاربة تجّار السوق السوداء، والاشتراك مع رجال المخابرات العسكريّة "أمان" في فتح آلاف الرسائل المرسلة للخارج في مطاردة لمهرّبي العملة والجواسيس. وفي إطار تعقّب هؤلاء الأخيرين، اتّخذ بن غوريون وحزب الماباي منهاجًا يتّسم بالتبسيط ويقوم على الإيمان بأنّه "من ليس معنا فهو ضدّنا". وبناء على ذلك أمر هاريل رجال شين بيت باختراق باقي الأحزاب السياسيّة الاسرائيليّة. وتوجّهت الأنظار في البداية إلى اليمين كانعكاس للكراهية العميقة التي يكنّها بن غوريون لـ"مناحيم بيغين" القائد السابق لجماعة "أرغون" السريّة والزعيم الحالي، حينئذ، لحزب "حيروت". وقد وضع هاريل بيغين وزملاءه تحت المراقبة، وقدّم تقريرًا إلى رئيس الوزراء يشير إلى أنّ حزب حيروت يعتزم تأسيس "جماعة سريّة صغيرة" في الجيش، غير أنّ هذه الشكوك لم يكن لها أساس من الصحّة، لأنّ بيغين كان قد تحوّل ليصبح برلمانيًّا ديموقراطيًّا، لكن، كما يقول المثل العبريّ، فإنّ هاريل كان "يرى ظلال الجبال جبالاً حقيقيّة".

في خلال شهور قليلة تمكّنت شين بيت من تحطيم العديد من حلقات المنشقّين الصغيرة وغير الهامّة المرتبطة بالمتعصّبين الدينيّين وباليمين السياسيّ. وكانت إحداها، وهي جماعة "عهد" المتعصّبة، قد نذرت نفسها لإعادة مملكة إسرائيل القديمة تحت سيطرة دينيّة حازمة. وقد أشعل أولئك اليهود الملتحون الذين يرتدون الزيّ الأصوليّ

الأسود، النيران في السيّارات وأحد المطاعم ومحلاّت يبيع طعام الـ"كوشير" اليهوديّ... فاخترقت شين بيت المجموعة المتعصّبة وألقت القبض على أعضائها. وكان من الواضح أنّ أفرادها يمثّلون مجموعة من الهواة السذّج، غير أنّ تقرير هاريل إلى بن غوريون صوّرهم بوصفهم خطرًا قاتلاً على الديموقراطيّة.

لقد أراد هاريل أن يتأكّد من كفاءة رجاله في ما يتعلّق بمواجهة من كان يدعوهم مخرّبين. وقد تمكّن هاريل من إحباط محاولة اغتيال "بن صهيون بنكوس" وزير النقل وألقى القبض على "شعلتيل بن يير" واثنين من أعضاء جماعة "ليهي" السريّة السابقة على وجود الدولة والمشهورة باسم عصابة "شتيرن" بتهمة التآمر للقيام بأعمال عنف معادية للدين. وزعم أنّهم تآمروا لوضع قنبلة بالقرب من منزل الوزير، احتجاجًا على قيامه بفرض قيود على حركة النقل العام أيّام السبت. وكان قد منع تسيير سيّارات الأوتوبيس في يوم العطلة اليهوديّ في إطار الاتّفاق السياسيّ بين حزب الماباي والساسة الدينيّين. وقدّم بن يير للمحاكمة، إلاّ أنّه تمّ الإفراج عنه لعدم توفّر الأدلّة، ومن سخرية الأقدار أنّه عمل بعد ذلك في مؤسّسة المخابرات...

ومع تصفية ما أطلق عليه إسم "التخريب اليمينيّ"، اهتمّ بن غوريون بواسطة هاريل باليسار. وقامت شين بيت بتكثيف مراقبتها للحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ الصغير، ولم يكن هذا الأمر محلّ خلاف على الاطلاق، فالغالبيّة كانت تنظر إلى الشيوعيّين على أنّهم من الخوارج المعادين للصهيونيّة داخل مجتمع صهيونيّ. وقد تمادى هاريل في عمله ضدّ رغبة غالبيّة الإسرائيليّين، عندما سلّط أضواءه المعادية للتخريب في تعقّب حزب الـ"مابام"، وهو حزب اشتراكيّ له توجّهات صهيونيّة واضحة. فبالرغم من توجهه اليساري، لم يكن ذلك الحزب خارجًا عن نطاق الحدود السياسيّة، فكان ملتزمًا بوجود الدولة اليهوديّة المستقلّة وكان أكثر نشاطًا من أيّ حزب

آخر في بناء المستوطنات اليهوديّة الجديدة والكيبوتزات. وعمل أعضاؤه بإخلاص في الجيش، ووصل العديد منهم إلى مراتب عسكريّة عالية. إلاّ أنّ المابام كان قد أوقف بغضب كلّ تعاون سياسيّ مع بن غوريون عندما توصّل الحزب إلى قناعة مفادها أنّ بن غوريون يرغب في التحوّل بإسرائيل عن الاشتراكيّة. وعندما تمادى هذا الحزب أكثر من ذلك بإظهار ما عُدّ تقديسًا للدكتاتور السوفياتي "جوزيف ستالين"، لم يجد بن غوريون دليلاً أفضل من ذلك كي يدفع بهاريل للإنقضاض على هذا الحزب من خلال اتهامه بأنّه يتحرّك بوصفه عميلاً للكتلة السوفياتيّة، وقد انتابت الشكوك هاريل بأن الحزب يخطّط لانقلاب عسكريّ للاستيلاء على الحكم في البلاد بسبب وجود العديد من أعضائه في هيئة الضبّاط في الجيش.

كُشفت على الملأ عمليّة تجسّس شين بيت على حزب مابام عندما عرض سكرتير الحزب "ناتان بيليد" على الصحافيّين في مؤتمر صحافيّ عقده في ٢٩ كانون الثاني ـ يناير ١٩٥٣ جهاز تنصّت صغير تمّ العثور عليه تحت مكتب "مائير ياري" رئيس حزب المابام. وقال بيليد إنّ الحزب كانت تساوره شكوك منذ مدّة طويلة بأنّه يجري تسريب مناقشاته السريّة بشكل ما إلى رئيس الوزراء بن غوريون. وأضاف أنّه تمّ العثور على الميكروفون وجهاز الإرسال اللاسلكي، ثمّ تمّ ضبط لصّين بعد ذلك، وهما يحاولان اقتحام مقرّ قيادة المابام بمفاتيح خاصّة، وقال إنّ أعضاء الحزب هم الذين ضبطوا اللصّين، وإنّه تمّ تسليمهما إلى البوليس. وأشار إلى أنّ القاضي كان مترفّقًا للغاية معهما، وحكم عليهما بأدنى غرامة مع الحبس لمدّة أسبوعين دون أن يأمر بإجراء تحقيق في الظروف الشاذّة التي أحاطت بالحادث.

وقدّم بيليد إيضاحًا للصحافيّين قائلاً إنّ الرجلين من العاملين في شين بيت وإنّ هاريل أرسلهما بناء على أوامر من بن غوريون والماباي.

لم يغيّر نفي الحزب الحاكم لتلك الاتّهامات في قناعة المراقبين بأنّ ما عرضه سكرتير حزب الماباي كان صحيحًا، ذلك أنّ حزب الماباي الحاكم كانت لديه معلومات من داخل وكالة هاريل. وقد كان للحزب الحاكم جواسيسه داخل شين بيت، في إطار قسم الأمن الخاص بالماباي الذي زرع عملاءه في الأحزاب الأخرى وداخل مؤسّسات المخابرات. وهكذا يتبيّن أنّ بن غوريون قد استعمل المخابرات في عهد هاريل لمصلحة حزبه الحاكم وبالتالي لمصلحته الشخصيّة من خلال التجسّس على سائر الأحزاب بما في ذلك حزب الماباي. فلقد كان بن غوريون في خلال تولّيه للسلطة ملكًا آمرًا ناهيًا وذراعه اليمنى أجهزة المخابرات[١].

مخابرات العمّ سام في خدمة مخابرات داوود

أدّت المراقبة الدقيقة التي فرضها هاريل على وزارة الخارجيّة بالتعاون مع المخابرات الأميركيّة إلى تحقيق مكاسب كبيرة للموساد. ومن إنجازات الموساد في هذا المجال تمكّنها من القبض على بعض الجواسيس اليهود الذين كانوا يعملون لصالح الغير حتّى قبل وصولهم إلى إسرائيل. من هؤلاء "ولف غولد شتاين" المولود في سويسرا لأبوين يهوديّين يعتنقان الشيوعيّة إلى درجة أنّهما قاما بإيواء "فلاديمير إيليتش لينين" قبل الثورة البلشفيّة سنة ١٩١٧. وكان المراهق ولف قد أصبح مفتونًا بالماركسيّة اللينينيّة وجنّده السوفيات كواحد من جواسيسهم، وتوجّه إلى موسكو للحصول على تدريبات من قبل الـ KGB بنيّة زرعه داخل الحكومة الإسرائيليّة. وقد

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٤٩ - ٥٠.

وصل إلى إسرائيل في خلال معارك ١٩٤٨، وتمكّن من العمل بسهولة في وزارة الخارجيّة، والتحق بالقسم الاقتصادي الذي كان محدودً للغاية وبحاجة ماسّة إلى من يعمل فيه. وكالعادة، فقد غيّر "غولد شتاين" إسمه إلى إسم عبريّ هو "زيف آفني". واحتلّ آفني مناصب هامّة إلى درجة ما في الخارج على الرغم من أنّه كان مجرّد موظّف إسرائيليّ صغير. ففي بداية خمسينات القرن العشرين التحق بالسفارة الاسرائيليّة في بروكسيل كمستشار اقتصاديّ، وكانت هناك مفاوضات سريّة مع المسؤولين الألمان الغربيّين حول دفع تعويضات لليهود الإسرائيليّين الذين عانوا من عمليّات الإبادة الجماعيّة على أيدي النازيّين. وقام آفني بصورة منتظمة بإبلاغ الـ KGB بكافّة تفاصيل المفاوضات. ثمّ عمل آفني بعد ذلك في بلغراد حيث ألحق أكبر الضرر بالأمن القومي للدولة العبريّة. فبالرغم من أنّه كان مسؤولاً عن العلاقات التجاريّة بين إسرائيل ويوغوسلافيا، إلاّ أنّه سمح له بالوصول إلى غرفة الشيفرة والاتّصالات بالغة السريّة للسفارة بسبب العجز المزمن في قوّة العمل... وتعلّم آفني تشغيل الأجهزة التي كانت تستخدم في كافّة المراسلات بين وزارة الخارجيّة في إسرائيل وبين سفارتها في يوغوسلافيا. وكانت رغبته في العمل وقتًا إضافيًّا والقيام بعمل الغائبين والمرضى من بين العاملين في الاتّصالات تلقى امتنانًا كبيرًا. وسرعان ما حصل الجاسوس السوفياتي على الشيفرات السريّة لوزارة الخارجيّة الاسرائيليّة، ونقلها لوكالة المخابرات السوفياتيّة التي استطاعت حلّ رموز كافّة الرسائل المنقولة لاسلكيًّا من وإلى الدبلوماسيّين ورجال المخابرات العاملين تحت غطاء دبلوماسي والتابعين لإسرائيل.

المقول إنّ هاريل، الذي كان يقوم بفحص دائم لقائمة الدبلوماسيّين قد وجد أنّ هناك ما يدعو للشكّ في آفني وما في يديه من حمية وحماس، وكان دليله في هذا

مواهبه الطبيعيّة في مكافحة الجاسوسيّة. فبدا أنّ سلوك آفني الغريب في بلغراد مرتبط بتعرّض العملاء الإسرائيليّين للخطر. والمقول أيضًا إنّ هاريل قد تذرّع بحجّة ما، وقام باستدعاء آفني إلى تلّ أبيب في نيسان ـ إبريل ١٩٥٦ التي وصل إليها دون أن يعي المشاكل التي كانت تنتظره، فقد ألقت شين بيت القبض عليه فور وصوله، وانهار آفني أثناء التحقيق، واعترف بكلّ شيء، وقدّم تقريرًا مفيدًا للغاية، وأبدى تعاونًا كبيرًا إلى درجة أنّه بعد الحكم عليه بالسجن لمدّة ١٥ عامًا، تمّ زرعه في زنزانة مع بعض الذين يشتبه في خيانتهم وذلك للعمل كمخبر لوكالة شن بيت. وتمّ الإفراج عنه بعد عشر سنوات، وعاد إلى موطن طفولته في سويسرا. إلاّ أنّه لفرط الدهشة رجع إلى إسرائيل بعد ذلك ببضع سنوات وبموافقة رؤساء المخابرات في لجنة فاراش، وانتحل لنفسه شخصيّة جديدة وعمل في منطقة زراعيّة شمالي تلّ أبيب بوصفه عالمًا نفسيًّا، واختفى زيف آفني إلى الأبد.

في الواقع، لم تكن عمليّة الكشف عن عمالة آفني للسوفيات سوى نتيجة تعاون بين المخابرات الأميركيّة والمخابرات الإسرائيليّة.

قال بن غوريون لمدير وكالات المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA: "نحن مهتمّون جدًّا بالتوصّل إلى اتّفاق تعاون معكم". حدث هذا في أيّار ـ مايو ١٩٥١، في المقرّ القديم لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الذي كان يقع في مواجهة نصب "أبراهام لينكولن" التذكاري في العاصمة الأميركيّة واشنطن. فقد تصادف أنّ رئيس الوزراء الإسرائيليّ كان في الولايات المتّحدة في زيارة خاصّة، وهي أوّل زيارة من نوعها بعد أن ربحت إسرائيل "حرب الاستقلال". وكان بن غوريون يسهم في جمع الأموال لبلاده بتوقيعه شخصيًّا على المبيعات الأولى لسندات إسرائيل في الولايات المتّحدة. وقد استخدم الزيارة في أغراض دبلوماسيّة أيضًا.

اجتمع "الرجل العجوز" مع الرئيس "هاري ترومان" وتمّ ترتيب مأدبة غداء سريّة له مع مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الجنرال "والتر بيديل سميث" ومساعده "ألن دالاس".

وحتّى قبل أن يغادر بن غوريون إسرائيل فإنّ روفين شيلوح الذي كان ما يزال رئيسًا للموساد، اقترح أن يدعو رئيس الوزراء إلى تعاون مخابراتيّ بين البلدين. وقد كانت الفكرة بعيدة المدى والأثر. فإسرائيل التي تحكمها الأحزاب اليساريّة، كانت تُعتبر دولة اشتراكيّة. كما اعتُبر الكيبوتز، وهو المزرعة التعاونيّة الاسرائيليّة الفريدة، تجسيدًا للحلم الشيوعيّ. واقتصاد إسرائيل أيضًا كان مرتكزًا على مبادئ الملكيّة العامّة والجماعيّة لمعظم وسائل الانتاج. علاوة على أنّ القاموس الأمني الاسرائيلي كان يعتبر كلمتَي "الرأسماليّة" و"السوق الحرّة" من بين الكلمات البغيضة والملوّثة. ولكنّ المزعج بصفّة خاصّة، من وجهة نظر أميركيّة، كان الانطباع والاعتقاد بأنّ المشاعر الاسرائيليّة تميل إلى السوفيات، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى العون الهام الذي قدّمته الكتلة الشرقيّة في الأيّام الأولى للدولة الجديدة. فلولا الخطاب المؤيّد لإقامة دولة يهوديّة الذي ألقاه "أندريه غروميكو" السفير السوفياتي لدى الأمم المتّحدة، ربّما لم يصدر القرار ١٨١ الذي قضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهوديّة والأخرى عربيّة.

ففي جلسة مجلس الأمن بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٤٧، أوضح أندريه غروميكو الأهداف البعيدة التي كانت ترمي إليها الدول الإشتراكية من خلال إنشاء دولة إسرائيل، إذ قال:

> إن الإتّحاد السوفياتيّ قد رفض الرأي القائل بإعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة، وأيّد خلق دولة لليهود وأخرى للعرب. إنّ للعرب ولليهود

جذورًا تاريخيّة قديمة وراسخة في فلسطين، فمن حقّ اليهود أن يبنوا دولة لهم هناك، دولة ديموقراطيّة تكون نموذجًا للمؤمنين بالديموقراطيّة في المنطقة[1].

وفي جلسة أخرى أكمل المندوب السوفياتي جاكوب ماليك ما لم يوضحه غروميكو، إذ قال في جلسة الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٨:

> لا تستغربوا أيّها السادة إذا وجدنا أنفسنا ذات يوم، أمام وضع تقوم فيه الأطراف المعنيّة بالأمر، العرب واليهود أنفسهم، مدفوعين بمصالحهم الخاصّة، مصالح الجماهير التقدميّة، للتفاوض السلميّ والتعايش السلميّ والأخوّة التقدميّة، ويفاجئوا العالم بالأمر الواقع... إن الإتحاد السوفياتيّ لن يكلّ عن السعي للمساعدة والتأييد بالترحيب لمثل هذا المسعى العربي اليهودي[2].

ومن أوضح ما تبينه مناقشات السوفيات والكتلة الإشتراكيّة حول الهدف الأمميّ من تقسيم المنطقة، هو ما ذكره الدكتور "سكارلانج"، مندوب بولونيا، أمام اللجنة السياسيّة الموقّتة في مجلس الأمن في ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٧، إذ قال:

> صدقوني أيّها الزملاء، إنّ انتصارنا في هذه القضية (قضيّة إقامة الدولة اليهوديّة في فلسطين) سيفتح آفاقًا واسعة لنا جميعًا لنتعاون في تحرير دياركم من الإستعمار... فهنالك مصالح كثيرة مشتركة بين العرب واليهود في النضال ضدّ الإستعمار على أساس المبادئ الإشتراكية.

وبعد أن اشاد "بالحكمة العقائدية التي تتحلّى بها القيادات اليهوديّة"، وعدّد وجوه الحياة والمعاش التي تجمع الجماهير العربيّة واليهوديّة على صعيد واحد، وأكّد أنّ

---

١ ـ قلعجي قدري، مناقشة آراء العلماء والسادة السوفيات، دار الكتاب العربي (بيروت،١٩٧٢) ص١١٤.

٢ ـ قلعجي، مناقشة آراء العلماء والسادة السوفيات، ص١٢٣.

العمّال والفلاّحين والمثقّفين "في كلتَي الجماعتين العربيّة واليهوديّة" ذوو مصلحة واحدة، قال:

> وإنّي لشديد الأمل والإيمان بأنّ التعاون العقائديّ سيتمّ بين الجماهير ونقابات العمّال والإتّحادات والهيئات الديموقراطيّة التحرّريّة، فإنّ الفوارق بين الجانبين ستزول ويعمّ المنطقة الإخاء بين الجماهير [1]...

كذلك فقد قامت تشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا، بأوامر من موسكو، بتقديم الأسلحة إلى إسرائيل وتدريب الطيّارين الاسرائيليّين على أراضيهما. وأكثر من ذلك، فإنّ استعداد رومانيا والمجر وبولندا للسماح لمواطنيها اليهود بالجرة، كان له تأثير هامّ على دولة إسرائيل التي تعاني من فقر في مواردها البشريّة.

نحّى شيلوح معتقدات بقيّة المؤسّسة جانبًا، بحثّه على أن تتخلّى إسرائيل عن توجّهها الموالي للسوفيات، وأن تستند سياستها الخارجيّة بدلاً من ذلك إلى روابط قويّة مع أميركا. وقد كان هدفه النهائيّ ترتيب معاهدة دفاع مع واشنطن، وأن تنضمّ إسرائيل إلى منظّمة حلف شمالي الأطلسي، التي تقودها أميركا. وكخطوة أولى لتحقيق ذلك، اقترح إقامة اتّصالات بين وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة والموساد.

لم يكن بن غوريون وكبار المسؤولين في الحكومة يعتقدون أنّ هناك فرصة كبيرة لقبول اقتراح شيلوح، لكنّهم شعروا أنّها محاولة جديرة ببذل الجهد في سبيلها. وقد اندهش بن غوريون عندما وافق سميث ودالاس في سرور على الفكرة...

لم يكن ذلك هو الاجتماع الأوّل بين الجنرال الأميركيّ وبين الرجل العجوز، فقد التقيا بعد الحرب العالميّة الثانية مباشرة عندما زار بن غوريون الناجين من الإبادة في

---

١ ـ قلعجي، مناقشة آراء العلماء والسادة السوفيات، ص١١٣.

المخيّمات الألمانيّة للأشخاص المشرّدين. وقد رافق سميث الذي كان آنذاك رئيسًا لأركان الجنرال أيزنهاور قائد القوّات المتحالفة في أوروبّا الزعيم الصهيونيّ في جولته التفقّديّة. هذا وقد خلّفت حملات الإبادة التي تعرّض لها اليهود في المعسكرات النازيّة ورؤية الألوف من اللاجئين الذين نجوا، انطباعًا لا يُمحى لدى كثير من الجنود الأميركيّين الذين خدموا في أوروبّا في خلال الحرب. وكانت إسرائيل، من جانبها، واعية تمامًا لكيفيّة إقحام ذكرى "الهولوكوست" عندما يبدو الابتزاز العاطفيّ أمرًا مفيدًا. فالتعاطف والإحساس بالذنب اللذين يشعر بعض قادة الغرب بهما يمكن أن يكونا مفيدين عندما تطلب الدولة اليهوديّة عونًا عسكريًّا وسياسيًّا. وقد شدّد الدبلوماسيّون الاسرائيليّون مرارًا على ضرورة أن يصبح بلدهم قويًّا كيلا تحدث أبدًا إبادة جماعيّة أخرى. كان ذلك استغلالاً محدودًا لأهوال حقبة الحرب...

من هذه الخلفيّة، كان يفكّر مدير وكالة المخابرات المركزيّة بيديل سميث ومعاونه دالاس في واشنطن. وقد توصّل بن غوريون إلى تفاهم مع رئيس وكالة المخابرات المركزيّة لبدء المباحثات بسرعة للمضيّ قدمًا في التعاون. وبعد شهر، وبالتحديد في حزيران - يونيو ١٩٥١، تمّ إرسال شيلوح إلى واشنطن لبحث التفاصيل النهائيّة لاتّفاق رسميّ لكنّه سرّي. وقد عقد شيلوح اجتماعات مطوّلة مع سميث ودالاس ومع "جيمس أنغلتون" بصفة خاصّة، وهو الذي خدم في مكتب الخدمات الاستراتيجيّة في بريطانيا وإيطاليا، حيث قام بتجنيد المخبرين وكشف النقاب عن دوائر التجسّس النازيّة والفاشيّة. وكان عملاء وكالة الهجرة اليهوديّة اليهوديّة من أفضل مصادر معلوماته في إيطاليا، حيث كانوا متورّطين في تهريب اليهود إلى فلسطين. وعندما توصّل شيلوح ووكالة المخابرات المركزيّة إلى اتّفاق التعاون في ما بينهما سنة ١٩٥١، شعر إنغلتون بالسرور. لقد أرسى الاتّفاق الأساسيّ لتبادل المعلومات الاستراتيجيّة بين وكالة

المخابرات المركزيّة وبين الموساد. وألزمت الاتّفاقيّة الجانبين بتقديم تقارير إلى بعضهما البعض حول الموضوعات ذات الاهتمام المشترك. وتعهدت إسرائيل والولايات المتحدة بألاّ تتجسّسا على بعضهما البعض، ونصّت الاتفاقيّة على تبادل ضبّاط الاتّصال الذين سيتمركزون في سفارتي الدولتين في واشنطن وتلّ أبيب[١].

وفي العام ١٩٥٤ سافر هاريل إلى واشنطن واجتمع إلى "ألان دالاس" الذي كان قد تسلّم للتوّ إدارة المخابرات المركزيّة الأميركيّ الـ CIA. وقدّم هاريل إلى كبير الجواسيس الأميركيّين المحنّك خنجرًا حفرت عليه عبارة من المزامير: "إنّ راعي إسرائيل لا يغفو ولا ينام". وردّ دالاس بقوله: "إنّك تستطيع أن تعتمد عليّ لأبقى ساهرًا إلى جانبك".

نشأ عن مهمّة هاريل وعن تلك الكلمات المتبادلة تعميق الشراكة بين الموساد والـ CIA، فقد أعدّ دالاس العدّة لتحصل الموساد على أحدث المعدّات من أجهزة التنصّت والتتبّع إلى الكاميرات المشغّلة عن بعد، ومجموعة من الأدوات التي أقرّ هاريل بأنّه لم يكن يعلم بوجود أمثالها. وأنشأ الرجلان أوّل "قناة خلفيّة" استخباراتيّة بين جهازيهما يستطيعان عبرها الاتّصال باستخدام هاتف سريّ في الحالات الطارئة. ومن ناحية عمليّة، تجاوزت القناة الطريق الديبلوماسيّ العاديّ ما كدّر وزارتي خارجيّة الولايات المتحدة الأميركيّة وإسرائيل[٢].

بفضل ذلك التعاون، تمكّن هاريل من زرع جواسيسه في كلّ العواصم العربيّة فراحوا يقدّمون سيلاً مستمرًّا من المعلومات القيّمة.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٨٩ ـ ٩٣.

٢ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٥٧.

نعود إلى الاتّفاق الذي عقد أساسًا بين وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وبين الموساد في عهد شيلوح لنشير إلى أنّ إنغلتون، الذي تمّت ترقيته إلى رئاسة مكافحة التجسّس في الوكالة، كان معارضًا بشدّة للشيوعيّة. وعلى الرغم من إعجابه بالعملاء السريّين اليهود في أوروبّا، إلاّ أنّه اعتقد أنّ إسرائيل، بقيمها الاشتراكيّة وروابطها مع الكتلة السوفياتيّة، تشكّل مخاطرة أمنيّة كبرى. وقد شعر إنغلتون بالقلق من أن تمكّن هجرة اليهود من أوروبّا الشرقيّة الجواسيس السوفيات من اختراق إسرائيل، واستخدامها كمنصّة لإطلاق الجواسيس إلى الغرب. ويمكن للسلطات الشيوعيّة بسهولة ابتزاز اليهود الذين يتوجّهون إلى إسرائيل عن طريق التهديد بإيذاء أقاربهم الذين تركوهم خلفهم. وقد أشارت مذكّرة لوزارة الخارجيّة الأميركيّة إلى أنّ اختلاط الأجناس الأوروبيّة في فلسطين يقدّم فرصة فريدة للتغلغل السوفياتيّ في منطقة ذات أهميّة استراتيجيّة كبرى. ونصحت المذكّرة الملحقين العسكريّين الأميركيّين لدى إسرائيل بضرورة ملاحظة النشاطات السوفياتيّة وبضرورة أن يكونوا متيقّظين تمامًا للتكتيكات السوفياتيّة. كما اعتقدت واشنطن كذلك أنّ الروس يخترقون جيش إسرائيل. وقد كان شيلوح واعيًا مخاوف الأميركيّين، ولم يكتف بتقديم وعود لهم بمواجهة الشيوعيّة، بل أقنعهم بأنّ مؤسّسة الاستخبارات الإسرائيليّة تنتابها بالفعل المخاوف نفسها.

وفي أواخر ١٩٥١ وبينما كان شيلوح لا يزال رئيسًا للموساد، أبلغ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أنّ وكالات الأمن الإسرائيليّة متيقّظة. وكانت وكالةِ الهجرة وشين بيت التي يرأسها إيسر هاريل تقومان بالفعل بفحص دقيق للمهاجرين الجدد الذين يصلون من وراء الستار الحديديّ. لكنّ ما أقنع إنغلتون ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في النهاية هو قناعة إسرائيل بأنّه لا ينبغي الخشية من المهاجرين الجدد لكن يتعيّن استخدامهم. ذلك أنّ اليهود القادمين من مختلف مناحي

الحياة، لديهم معرفة حميمة بالجيش، والعلوم، والاقتصاد، والسياسة في الاتّحاد السوفياتيّ.

وبدأت إسرائيل تقدّم هذه البيانات إلى الولايات المتّحدة، ووافقت حتّى على المخاطرة ببعض عملائها في الكتلة السوفياتيّة، بسماحها لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة باستخدامهم. وعلى الرغم من الجهود من الجانب الإسرائيليّ لاسترضاء الأميركيّين بـ"أوراق اعتماد" قويّة لمناهضة الشيوعيّة، إلاّ أنّ عادات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة استمرّت على حالها. وكان أسوأ سيناريو يدور في أذهان صائدي الجواسيس في أميركا، هو قيام العملاء السوفيات بشقّ طريقهم إلى المواقع الرئيسيّة للسلطة والنفوذ في الغرب، كرؤساء الدول ورؤساء الحكومات ورؤساء أجهزة المخابرات. وقد كان عاموس مانور رئيس شين بيت ملائمًا للصورة المخيفة التي رسمها الأميركيّون المتشكّكون، وذلك بسبب أصوله الأوروبيّة الشرقيّة، وصعوده السريع بعد وصوله إلى إسرائيل. وقد اعتقد مكتب التحقيقات الفدراليّة الأميركيّة أنّ من المرجّح أن يكون خدعة سوفياتيّة. وحاول مكتب التحقيقات الفدراليّة الأميركيّة منع "مانور" حتّى من زيارة الولايات المتّحدة في مهمّة رسميّة. لكنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، التي تعتبر مكتب التحقيقات الفدراليّة والعاملين فيه مجرّد رجال شرطة وليس جهازًا خطيرًا للأمن الداخليّ، نفت هذه المزاعم وتبنّت زيارة مانور من أجل تسهيل الاتّصال[1].

وفي سنة ١٩٥٦، حقّق هاريل ما وصف بأنّه "أكبر انتصار شخصيّ لهاريل في حياته"، إذ تمكّن بواسطة أحد عملائه في موسكو من الحصول على النصّ الحرفيّ

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٩٣ ـ ٩٥.

لخطاب خروتشوف أمام مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي في ٢٥ شباط ـ فبراير ١٩٥٦، وقد "باع" هاريل هذا الخطاب إلى الـ CIA في صفقة ضخمة، مكّنت الموساد من الحصول على نسخة من كلّ تقارير الـ CIA. عن الشرق الأوسط، وكذلك تعيين "إنغلتون" مسؤول التجسّس المضادّ كمسؤول عن قسم إسرائيل في الـ CIA، وإنغلتون هذا معروف بتعاطفه الشديد مع إسرائيل، إضافة إلى عدائه المرضيّ للشيوعيّة، وهو الذي اعتبر أنّ "كلّ عميل في الـ CIA يعمل بشكل ثانويّ للإسرائيليّين[١]".

قبل ذلك التاريخ، كانت إدارة مكافحة الجاسوسيّة التي يرأسها إنغلتون قد بعثت بخبرائها إلى إسرائيل لتقييم خطر التغلغل السوفياتي، وقد أثارت كلّ مهمّة مشكلات، لا سيّما بالنسبة لرئيس مركز وكالة المخابرات المركزيّة في السفارة الأميركيّة لدى تلّ أبيب. وقد اكتشف رئيس مركز الوكالة، الذي كان يعتبر نفسه خبيرًا بالأحداث والشخصيّات المحليّة، أنّ الزيارات من المقرّ الرئيسيّ للوكالة تبذر الفوضى والشكوك والشائعات في جميع الاتّجاهات. ففي مناسبة واحدة على الأقلّ، أثار زائر من وكالة المخابرات المركزيّة، كان يقصد الإعراب عن القلق بشأن عميل كبير معيّن في المخابرات الإسرائيليّة، الارتباك في صفوف الموساد وشين بيت. وقد كشف الزائر النقاب عن شكوكه للوكالة الخطأ. ولم يؤدّ هذا إلى إثارة ارتباك رئيس مركز وكالة المخابرات المركزيّة فقط، بل أدّى أيضًا إلى إحراج وإرباك وإغضاب أعضاء عديدين في مؤسّسة المخابرات الاسرائيليّة وبصفة خاصّة المتغطرس إيسر هاريل. ذلك أنّ الأميركيّين كانوا يقتحمون حلبته الخاصّة ويشكّكون في فعاليّته، ويمضون في طريق قد ينتهي عند بابه هو... والتشكيك فيه شخصيًّا. وقد أحسّ هاريل أنّ الأميركيّين ليسوا

---

١ ـ زهر الدين، الموساد بين الإخفاق والاختراق، ص٣٣.

مهتمّين حقًّا بالتعاون الثنائيّ. فهم يريدون، على حدّ قوله، نقل كلّ شيء تعلمه المخابرات الإسرائيليّة دون تبادل حقيقيّ للمعلومات. وتشكّك هاريل أيضًا في أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة قد تنظّم انقلابًا في إسرائيل، على غرار العمليّة السريّة التي قامت بها الوكالة في غواتيمالا في عام ١٩٥٣، ولكنّ شيلوح تبنّى، كالمعتاد، وجهة نظر مختلفة، وحتّى بعد أن ترك الموساد وعمل مستشارًا خاصًّا لبن غوريون لشؤون الاستراتيجيّة الإقليميّة والدوليّة، وأقنع بن غوريون بأنّه يتعيّن دفع الثمن في مقابل التحالف مع الولايات المتّحدة، وبالفعل فقد تمّ استجواب المهاجرن الجدد وتقديم المعلومات إلى الأميركيّين إلى أن تمّ الفوز بثقة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة[١].

كلُّ أجنبيٍّ مَشكوكٌ فيه

من المفترض، بصفة عامّة، أن يكون الخاضعون للرقابة من قبل جهاز المخابرات الداخليّة في دولة من الدول، هم الذين يبدأون في استخدام أساليب المحترفين للتهرّب من المراقبة، هؤلاء هم في الأغلب من العملاء الأجانب. أمّا في إسرائيل، وفي عهد هاريل، فكان كلّ أجنبيّ عميل حتّى يثبت العكس.

إكتشف جهاز شين بيت في وقت مبكّر أنّ البلدان الشيوعيّة درّبت بمهارة العديد من أعضاء وفودها الدبلوماسيّة الذين ترسلهم إلى الخارج على التهرّب من المراقبة. وهكذا بدأ الدبلوماسيّون والزوّار العاديّون الذين لا يعملون بالجاسوسيّة كما لو كانوا

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٩٦.

موضعًا للشبهات، ما أضاع وقت الاسرائيليّين في تعقّبهم وضلّلهم عن اقتفاء أثر العملاء الحقيقيّين. ومنذ بدايات شين بيت في عام ١٩٤٨، وضعت نصب عيونها مهمّة مراقبة نشاطات الدبلوماسيّين ليس فقط من الكتلة الشرقيّة، بل أيضًا من الكتلة الغربيّة الصديقة. فبعد شهور قليلة من مولد دولة إسرائيل، اكتشف الكولونيل "إي. بي. أرشيبالد"، الملحق العسكري الأميركي لدى تلّ أبيب أنّ هاتفه موضوع تحت المراقبة. وبعد مرور عام على هذا الحادث، حاول عميل إسرائيليّ ابتزاز أحد المسؤولين في القنصليّة الأميركيّة في القدس على أمل إجباره على تسريب وثائق سريّة لوكالة شين بيت، حيث كان المسؤول الأميركيّ على علاقة غراميّة بإسرائيليّة تعرّضت لضغوط لانتزاع المعلومات من الدبلوماسيّ الأميركيّ. وقد وصل الأمر إلى حدّ قيام السلطات بتلفيق قصّة حول حاجة المرأة الاسرائيليّة لإجراء عمليّة إجهاض.

وفي حالات كثيرة مشابهة يتّضح جليًّا أنّ المخابرات الإسرائيليّة قد تخلّت عن كلّ معاني الخلقيّة في عمليّاتها. وقد جاء في أقوال أحد عملاء الموساد:

> إنّهم كانوا يدرّبوننا على الكذب والسرقة وتدبير المكائد ضدّ أعدائنا، على ألاّ نسمح لهذه الأشياء بأن تفسدنا نحن، فمن مهامّنا الدائمة أن نحافظ على مستوياتنا الأخلاقيّة[1]!

وفي سنة ١٩٥٤ اكتشف مسؤولو الأمن في السفارة الأميركيّة في تلّ أبيب وجود ميكروفونات مخبّأة في مكتب السفير.

وفي سنة ١٩٥٦ اكتشفت أجهزة تنصّت في جهازين للهاتف في منزل الملحق العسكري الأميركيّ.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٥٦.

كما قامت شين بيت بمحاولات فظّة لإغواء مشاة البحريّة الأميركيّة الذين يقومون بحراسة سفارة بلادهم في تلّ أبيب، عن طريق استخدام النساء والمال.

يقول باحثون[1] إنّ معظم تلك الجهود لم تسفر عن نتيجة ذات قيمة، غير أنّ هاريل استمرّ في الانقياد لتصوّراته ورفض التقيّد بقواعد الإتيكيت والأعراف المتّفق عليها، واستمرّ يتعامل مع البعثات الدبلوماسيّة وحرّاسها بمثل هذا الشكل الفظّ والخارج عن الأعراف الدبلوماسيّة.

إستِخدَامُ التّائبين وارتِقاءُ مَا قَبلَ السقُوط

من مآثر إيسر هاريل رئيس الاستخبارات الاسرائيليّة أنّه أمر كافّة أعضاء مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة بتركيز مراقبتهم للإسرائيليّين الذين يكشفون عن التزام بوطنيّتهم، حتّى وإن كان هؤلاء من أصحاب السوابق. وهكذا أقنع هاريل رئيس الوزراء بن غوريون سنة ١٩٥٥ بتجنيد أكثر الأعضاء موهبة في منظّمة "ليحي" السريّة السابقة بالرغم من كراهية بن غوريون لهم ونفوره منهم. وكان هذا الإجراء يتّسم بالجرأة البالغة في ذلك الوقت الذي كان يسود في إسرائيل جوّ من التوتّر السياسيّ البالغ. فقد كان محظورًا على الإرهابيّين السابقين اليمينيّين تولّي الوظائف المدنيّة أو حتّى التدريس على أساس أنّهم يشكّلون خطرًا على الأمن. وكان هاريل الذي راقبهم بعناية، قد أحسّ أنّهم قد أصبحوا محايدين، لا يشكّلون خطرًا حقيقيًّا، وأنّه

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٥٤.

ينبغي استغلال خبرتهم في التآمر والأساليب السريّة. وقد ضمّت شين بيت والموساد من بين رجالها الجدد أشخاصًا من بينهم "إسحق يزرنيتسكي" الرئيس السابق لعصابة "ليحي" أو "شتيرن" والذي غيّر اسمه بعد ذلك ليصبح "إسحق شامير" وليتولّى في نهاية المطاف رئاسة الحكومة الإسرائيليّة...

كما تمّ تجنيد عدد آخر من المحاربين القدامى في "ليحي" ضُمُّوا إلى مؤسّسة المخابرات، من بينهم "يعقوب إلياف" الذي أرسل إلى إسبانيا؛ و"يهوشوا كوهين" الذي شارك في اغتيال وسيط الأمم المتّحدة الكونت السويدي "فولك برنادوت" سنة ١٩٤٨، ثمّ أصبح حارسًا خاصًّا لبن غوريون؛ و"شعلتيل بن يير" الذي اشتُبه قبل أربع سنوات من تجنيده في تآمره لاغتيال أحد الوزراء، فجنّد وتمّ إرساله إلى مصر بهويّة مزيّفة، وأثبت أنّه واحد من أكثر عملاء إسرائيل حنكة في الخارج؛ و"ديفيد شمرون" الذي ألحق بمركز الموساد في باريس؛ و"إلياهو بن إليسار" الذي أصبح الضابط المسؤول في أوروبّا عن العملاء في الأراضي العربيّة. وشعر هؤلاء اليمينيّون المتطرّفون بالامتنان العميق لهاريل الذي حرّرهم من الحجر الذي كان مفروضًا عليهم، ومنحهم الفرصة لإثبات جدارتهم وأهميّتهم بالنسبة للدولة العبريّة[١].

شهدَ العقدُ الأخير من عهد هاريل على رأس المخابرات الإسرائيليّة إنجازات وضعته على قمّة السقوط. ففي إسرائيل نادرون جدًّا هم الذين يستطيعون ارتقاء السلّم حتّى النهاية، ذلك أنّ نفسيّة ذلك المجتمع لا تسمح بذلك. فهناك الحسد والطمع والحالة السلطويّة والغيرة ... كلّها عوامل تلعب دورها في تقرير مصير الرجال في إسرائيل.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٥٤ ـ ٥٥.

ومثلما فعل هاريل لإسقاط زميله السابق روفلين شيلوح، سيأتي من يعمل لإسقاطه وهو على بعد درجة واحدة من الوصول إلى القمّة.

أمّا الإنجازات التي حقّقها هاريل في العقد الأخير من سلطته، فيرى البعض أنّها لم تكن نجاحات للموساد بقدر ما كانت لباقي أجهزة الاستخبارات الإسرائيليّة التي شاركت في العديد منها. ويرون أنّ هاريل لم يتصرّف كقائد لأجهزة الأمن الإسرائيليّة وكمدير للموساد ومشرفٍ على شين بيت، بل تصرّف كعميل سرّي يعمل لحساب رئيس مجلس الوزراء بن غوريون.

على أيّ حال، يرى باحثون أنّه في الوقت الذي سيطر فيه هاريل على الموساد وشين بيت، فإنّه عجز عن أن يحول دون حدوث الفشل الهائل الذي ما زال مثيرًا للحيرة، والذي أنزله في المخابرات الاسرائيليّة عملاء المخابرات العسكريّة في مصر في منتصف الخمسينات. ذلك الفشل الذي ما زال يكتنفه الغموض الرسميّ والذي يعتبر إلى حدّ بعيد من أكثر الفضائح المدوّنة في تاريخ إسرائيل، والمتمثّل في سلسلة الحوادث السريّة المعروفة باسم "عمليّة لافون"، نسبة إلى "بنحاس لافون" وزير الدفاع الذي فقد منصبه بسببها.

فَضيحَةُ لافُون أو سُوزَانا

تعدّدت الروايات حول الفضيحة التي وُصمت بها المخابرات الإسرائيليّة في مصر في بداية عهد الرئيس جمال عبد الناصر. وتبدأ وقائع هذه الفضيحة يوم كان "موشي شاريت" رئيسًا للوزراء، و"بنيامين غيبلي" رئيسًا للاستخبارات العسكريّة المعروفة باسم "أمان". وكان بنحاس لافون وزيرًا للدفاع.

فتقول إحدى الروايات[1] إنّه في الوقت الذي وصل فيه الرئيس جمال عبد الناصر إلى السلطة في مصر، مع ما حمله هذا الوصول من انعكاسات على مجمل الأوضاع في العالم العربيّ خاصّة وفي العالم عامّة، كان لا بدّ للإسرائيليّين من أن يقدموا على أيّ خطوة من شأنها عرقلة مسيرة ثورة يوليو والحدّ من تأثيرها. لذلك فإنّ بن غوريون، وهو خارج السلطة يتّخذ من مستعمرة "سيدي بوكر" في صحراء النقب مركز إقامته ومراقبته، قد أصدر أمرًا شخصيًّا بالاتفاق مع رئيس المخابرات العسكريّة غيبلي، ووزير الدفاع لافون، دون علم رئيس الوزراء شاريت، يقضي بزرع شبكة جاسوسيّة إسرائيليّة في مصر يوكل إليها مهمّة تنفيذ عمليّات تخريب، ضدّ المصالح

---

١ - زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٧٤ وما يليها؛ بالاستناد إلى: أبو النصر عمر، إيلي كوهين جاسوس إسرائيل في دمشق (بيروت،١٩٦٨) ص٤١ ـ ٤٢؛ أيزنبرغ دينيس وآخرون، الموساد جهاز المخابرات الإسرائيليّة السرّي، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر (بيروت،١٩٨١) ص٥٣؛ مجلّة الموقف العربيّ، عدد ١٢٥، الإثنين ٧ - ١٣ آذار - مارس ١٩٨٣، ص٦؛ مجلّة الشراع، العدد ٥٨، الإثنين ٢٥ نيسان - إبريل ١٩٨٣، ص١١ ـ ١٢؛ مجلّة الحوادث، العدد ١٣٨٢، الجمعة ٢٩ نيسان ـ إبريل ١٩٨٣، ص١٩؛ عمّار نزار، الاستخبارات الإسرائيليّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر (بيروت،١٩٧٦) ص٧٣؛ مجلّة الموقف العربيّ، عدد ١٢٥، الإثنين ٧ - ١٣ آذار - مارس ١٩٨٣، ص٦؛ مجلّة شؤون فلسطينيّة، عدد ١٣٦ ـ ١٣٧، آذار ونيسان - مارس وإبريل ١٩٨٣، ص٥٧.

الأميركيّة والبريطانيّة. وبدأت العمليّات التخريبيّة فعلاً في القاهرة والاسكندريّة، ضدّ مصالح دبلوماسيّة واقتصاديّة بريطانيّة وأميركيّة، لتثبّت إسرائيل أنّ مصر دولة ضعيفة لا تستطيع حماية أمنها ذاتيًّا، ولا بدّ من تكريس الوجود العسكري البريطاني الذي كانت إشارات البدء بمفاوضات سحبه من الأراضي المصريّة قد انطلقت من جانب عبد الناصر. وبالإضافة إلى هذا الهدف، كان لإسرائيل هدف آخر هو منع صبلة الحوار التي بدأت بين مصر والولايات المتّحدة مع انطلاقة ثورة ٢٣ تمّوز ـ يوليو ١٩٥٢. وكان لبن غوريون هدف ثالث أراده على الصعيد الشخصيّ، وهو إسقاط حكومة موشي شاريت في حال كشف هذه العمليّات، تمهيدًا لعودة بن غوريون إلى الحكم. وهذا ما حصل فعلاً بعد عدّة أشهر فقط، عندما كشفت المخابرات المصريّة العمليّة بكاملها بعد حادث حصل صدفة أمام إحدى دور السينما في الاسكندريّة، حيث انفجرت قنبلة حارقة في جيب عميل صهيونيّ، هو "فيليب ناتنسون"، كان مكلّفًا بوضعها أمام الدار نفسها في ذكرى ثورة يوليو.

وتقول الرواية إنّ "صموئيل عازار" كان على رأس فرقة الإسكندريّة للاستخبارات الإسرائيليّة. وهو من مواليد الاسكندريّة عام ١٩٢٩، من والدين ينتميان إلى أصل تركيّ، وكان محبًّا للعمل السياسيّ، يعمل لتهجير اليهود إلى فلسطين، تحت شعار السياحة والسفر إلى الخارج. وقد تعرّف عازار على "إيلي كوهين" في صفّ دروس الهندسة الإلكترونيّة في جامعة فاروق في مصر. وتمّ إلقاء القبض عليه مع ستّة آخرين من أفراد شبكة التجسّس في ٢٣ تمّوز - يوليو ١٩٥٢ أثناء الاحتفالات بعيد الثورة في مصر، بعد أن قبض البوليس أمام سينما "ريّو" على رفيقه "فيليب ماتنسون" الذي انفجرت القنبلة في جيبه، ثمّ قبض على "فيكتور ليفي"، و"الدكتور مرزوك"، و"فيكتور بن نينيو"، و"روبيرت داسا"، كما اعتقل معهم "إيلي كوهين" الذي استطاع تبرئة نفسه

وإقناع المحقّق بأن لا علاقة له بالشبكة فأطلق سراحه. ولكنّ الدور الهام في تلك الشبكة كانت تلعبه "فيكتورين" التي أعطيت إسم "مارسيل".

كانت فيكتورين / مارسيل غانية تعمل في أحد بارات مصر عندما اتّصل بها "غوهين دارلينغ" أو الكولونيل "إبراهيم دار" وجنّدها لصالح المخابرات الإسرائيليّة أثناء لقائه مع الدكتور "فيكتور سعدي". لقد رأى "دارلينغ" أنّ هذه الفتاة مؤهّلة للقيام بمثل هذا العمل التجسّسي، فالتقاها في مقهى كبير، بالقرب من سينما نصر، المتوهّج نورًا بأضواء النيون، وكان الوقت صيفًا، واتّفقا على أساس أن تلعب دور "علبة البريد" تحت اسم مارسيل لكلّ شبكات الجاسوسيّة الإسرائيليّة في مصر، وأعطاها مبلغ ألف جنيه مصري ، ثمّ غادر في العام نفسه (١٩٥٢) إلى إسرائيل. وبالفعل، فقد لعبت مارسيل دورها ببراعة وكانت روح الشبكة وحركتها المندفعة. وقد حاولت الانتحار بعد القبض عليها حتّى لا تتكلّم فلم توفّق.

بعد مغادرة دارلينغ لمصر تولّى إدارة الشبكة التجسّسيّة مكانه ضابط ألمانيّ الجنسيّة برتبة كابتن، إسمه "ماكس بينيت"، وهو من مواليد كولونيا، وكان يمتاز بأنّه لا يختلف عن الآريّين في مظهره، حيث هاجر مع والديه إلى فلسطين وهو دون العشرين من عمره، وانضمّ إلى الهاغاناه فورًا. وبعد أن تدرّب على أعمال الجاسوسيّة تمّ إرساله في مهمّة كبيرة إلى العراق حيث أشرف على عمليّات الهجرة زمنًا طويلاً. وكان يقود خمسة مجنّدين أرسلوا إلى إسرائيل من قبل الكولونيل إبراهيم دار ومارسيل لتعلّم درس مستعجل في مبادئ أعمال الاستخبارات وفنون التخريب، حيث مكثوا ثلاثة أشهر لم يروا في خلالها أحدًا سوى مدرّبيهم، ثمّ أعيدوا إلى مصر حيث خضعوا لقيادة عميل حنّكته التجارب هو "ماكس بينيت". وعندما اعتقل مع فيليب ناتنسون عذّب كثيرًا لكنّه لم ينهَر. وقد أقنع السجّان بعد رشوته بإعطائه موسى حلاقة جرح بها معصميه

جراحًا قاتلة فمات في السجن. كما كان إلى جانب هؤلاء أيضًا أحد الضبّاط السابقين في منظّمة الـ"بالماخ" يدعى "أفني فايزنفلد" أشرف على إعداد ثلاث قنابل بطريقة يدويّة لـ"مجموعة الإسكندريّة".

وتقول الرواية إنّ هؤلاء المعتقلين والمحكومين في هذه القضيّة قد أطلق سراحهم بعد تبادل الأسرى بين مصر وإسرائيل في أعقاب حرب حزيران ـ يونيو ١٩٦٧. وقد ترتّب على هذه القضيّة نتائج هامّة حتّى أنّها عرفت في ما بعد باسم فضيحة لافون، وقد استقال على أثرها موشي شاريت من رئاسة الوزراء، وكذلك بنحاس لافون وزير الدفاع، كما أقصي العقيد بنيامين غيبلي عن رئاسة الاستخبارات العسكريّة وعيّن مكانه لمدّة قصيرة "يوفال نيئمان" العالم الفيزيائي الذي أصبح وزيرًا في حكومة "بيغين"، ثمّ خلفه في هذا المنصب العميد "يهوشفاط حركابي" المتخصّص في شؤون الشرق الأوسط. بالإضافة إلى تحقيق ما عمل له بن غوريون وهو العودة إلى منصب رئاسة الوزارة الإسرائيليّة. ولقد جاءت هذه الفضيحة أيضًا لتعزّز مكانة إيسر هاريل وتزيد من فعاليّته وتأثيره، خاصّة عندما عيّن في عام ١٩٥٣ أثناء محاولة تنظيم أجهزة الأمن رئيسًا للجنة رؤساء الأجهزة ورئيسًا للموساد الذي كان أنشئ حديثًا.

بالإضافة إلى كلّ ذلك، وبنتيجة حرب الاستنزاف اليوميّة جرّاء العمليّات الانتقاميّة العربيّة ضدّ السلطات الإسرائيليّة، أنشئت "الوحدة ١٠١" بقيادة "أرييل شارون" في آب ـ أغسطس ١٩٥٣ بقرار من رئيس شعبة العمليّات في ذلك الحين "موشي دايان" الذي سيتسلّم رئاسة الأركان في كانون الأوّل ـ ديسمبر من السنة نفسها. وكانت الوحدة ١٠١ عصابة محترفة من الإرهابيّين، وبمثابة جيش خاص لشارون.

رواية أخرى تقول إنّ الأراضي الفسيحة لمصر كانت تمثّل أرضًا خصبةً للتجسّس بالنسبة لكلّ من الموساد والخابرات العسكريّة "أمان". وطبقًا للتقسيم التقليديّ للعمل،

كان لوكالة أمان الأسبقيّة في جمع المعلومات عن القوّات المسلّحة للدول المعادية على طول حدود إسرائيل، بينما شملت مسؤوليّات الموساد العمليّات السريّة في كافّة الدول الأجنبيّة. ولكون مصر أكبر الدول العربيّة المجاورة فقد كانت تحظى بالأهميّة الأولى وباهتمام الفرق المزدوجة للمخابرات الإسرائيليّة[1].

وعلى أيّ حال، واجهت الوحدة ١٣١ التابعة للمخابرات العسكريّة مصاعب خطيرة بسبب عمليّة تفتقر إلى التخطيط الجيّد، بدأت بإرسال "أفرهام دار" إلى القاهرة في أيّار - مايو ١٩٥١. وبدأ "دار" عمله بصورة جيّدة، بالرغم ممّا كان يواجهه جرّاء سفره تحت غطاء أنّه بريطانيّ، فقد كان حفيدًا ليهوديّ ولد في عدن، كما أنّ بشرته الداكنة جعلت من الصعب عليه أن يبدو بريطانيًا، إلاّ أنّ لغته الانكليزيّة كانت ممتازة، كما كانت لديه الخبرة بالعمل السريّ كعميل سابق لوكالة الهجرة السريّة. وبوصفه ضابطًا في البالماخ في حرب ١٩٤٨، فقد كان من الضبّاط الذين يعتمد عليهم. إلاّ أنّه لم تكن له سمعة بارزة سواء على مستوى القيادة أو في ما يتعلّق بالخبرة التحليليّة. وفي مصر، اتّخذ "دار" لنفسه إسم "جون دارلينغ"، وتظاهر بأنّه ممثّل شركة إلكترونات بريطانيّة. وقال دار بعد ذلك بأعوام إنّ إسم دارلينغ لم يتمّ اختياره مصادفة، فقد كان إسمًا لأحد ضبّاط الجيش البريطاني في مصر، وكان يمكن للروابط الأسريّة المزعومة معه أن تكون مفيدة للعميل دارلينغ.

بعد أن استقرّ دار تحت هذا الغطاء إلى الدرجة التي اعتقد فيها دارلينغ الحقيقيّ أنهما أقرباء، بدأ في تنفيذ هدفه الحقيقيّ الذي أرسل من أجله إلى مصر وهو: إقامة شبكة من العملاء "الكامنين" الذين يتمّ استدعاؤهم عندما يحين الوقت للقيام بالمهام

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٥٧ وما يليها.

السريّة. وشكّل دارلينغ خليّتين من الشباب اليهود المؤيّدين لدولة إسرائيل، وتمّ إرسالهم سرًّا إلى إسرائيل للتدرّب في عام ١٩٥٢، وكان معظم هؤلاء الصهاينة المصريّين من الهواة، وواجه المدرّبون في الوحدة ١٣١ متاعب في الدروس التي ألقوها عليهم حول وسائل الجاسوسيّة. فالخبر السريّ والنشرات اللاسلكيّة الشيفريّة، ووسائل المراقبة، كانت تماثل في صعوبتها علم الفيزياء النوويّة بالنسبة لعملاء الدرجة الثانية هؤلاء، غير أنّه لا يبدو أنّ أحدًا في مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة قد اعترض عليهم. إلاّ أنّه كانت هناك استثناءات قليلة، فمن بين أكثر طلبة الجاسوسيّة براعة كان "إيل كوهين" الذي اعتبر بعد عشر سنوات أفضل جواسيس الدولة اليهوديّة.

أنشأت "مارسيل نينو" وهي إحدى العميلات من النساء، شركة سياحيّة في مصر بتمويل سرّي إسرائيلي، وعملت كأداة اتّصال بين الخليّتين المصريّتين، وكانت مشهورة بشخصيّتها المفعمة بالحيويّة وبجمالها الصارخ.

كان الضبّاط الوطنيّون في الجيش المصريّ قد أقاموا علاقات سريّة في أوائل ١٩٥٢ مع "كير ميت روزفيلت" و"مايلز كوبلاند" أكبر عميلين لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في الشرق الأوسط، وتآمروا للإطاحة بالملك فاروق ونجحوا في ذلك في شهر تمّوز - يوليو ١٩٥٢. وأعلن زعماء الانقلاب الجمهوريّة، ودعوا رجال وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لتدريبهم. وفي ١٩٥٤ ظهر على السطح رئيسهم الحقيقيّ العقيد جمال عبد الناصر، وأصبح رئيسًا للجمهوريّة، وقدّمت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة المساعدة لحماية أمنه الشخصيّ. وكانت المخابرات الإسرائيليّة واعية تلك العلاقة السريّة الخاصّة، ولم تكن راضية عنها على الإطلاق.

ظلّ المجنّدون الاسرائيليّون "كامنين" لمدّة ثلاث سنوات، غير أنّ كلمة السرّ المتّفق عليها من قبل، تمّ إرسالها لاسلكيًّا من تلّ أبيب إلى القاهرة في حزيران - يونيو ١٩٥٤

للبدء في تنفيذ عمليّة "سوزانا". وأخيرًا بدأت الخلايا السريّة للوحدة ١٣١ في العمل لإفقاد الحكومة الوطنيّة العربيّة الجديدة مصداقيّتها. وعلى أيّ حال، لم يعد دارلينغ ضابط الحالة المسؤول عن العمليّة، بعد أن حلّ مكانه "أفراهام سايد ينفرغ" الذي كان إبنًا لسياسي يهودي في النمسا في معسكر اعتقال نازيّ، انتقل ابنه إلى فلسطين وغيّر اسمه ليصبح "إيفي إلعاد". وأظهر إيفري كفاءة متميّزة في معركة البالماخ حول القدس في عام ١٩٤٨، وأصبح "ميجور" وهو في الثانية والعشرين من عمره، إلاّ أنّ مستقبله العسكريّ انتهى بعد أن نهب ثلاّجة في قرية عربيّة محتلّة وتمّت محاكمته عسكريًّا. وبحلول نهاية ١٩٥١، التقى وهو منبوذ وعاطل عن العمل ومطلّق، أفراهام دار، و"موردخاي بن زور" من الوحدة ١٣١. فوجدا فيه خامة رائعة للقيام بمهمّة خطرة في أرض الأعداء، لأنّه لم يكن لديه ما يفقده، كما أنّ من شأنه أن يشعر بالامتنان تجاه الفرصة التي ستتيح له ردّ اعتباره.

استعارت المخابرات العسكريّة هويّة عضو في الـ"كيبوتز" من أصل ألمانيّ يدعى "بول فرانك" لينتحلها المجنّد الجديد، الذي توجّه إلى ألمانيا الغربيّة لقضاء تسعة أشهر فيها لسدّ أيّ ثغرة في غطائه، حتّى أنّه أجرى هناك عمليّة جراحيّة مؤلمة للغاية ليتخلّص من ختانه... كيلا يمكن الكشف عن هويّته كيهودي إذا تجرّد من ملابسه. وقد أبلغ الجرّاح الألمانيّ أنّه ليس يهوديًّا وأنّه لا يمكنه أن يحتمل أن تعتقد شريكته في المضاجعة أنّه يهوديّ، وتعاطف معه الطبيب تعاطفًا تامًّا.

سافر الجاسوس الإسرائيليّ إلى مصر في كانون الأوّل ـ ديسمبر ١٩٥٣ بوصفه رجل الأعمال الثريّ "بول فرانك"، وانضمّ بسرعة إلى الجالية الألمانيّة المتنامية في مصر، التي كانت تضمّ ذوي الماضي النازي الذين يحاولون الهرب من ماضيهم. وقد ارتكب فرانك بوصفه الضابط المسؤول عن شبكة التجسّس في القاهرة كافّة الأخطاء

التي يمكن تصوّرها، حيث كان يعرف جميع عملائه، وليس فقط القلّة البارزة منهم، وقام بزيارتهم في منازلهم، وكان يمكن لهم ولأسرهم التعرّف عليه إذا ما حدث أمر غير متوقّع، على الرغم من أنّهم كانوا يطلقون عايه اسم "روبرت".

في ٣٠ حزيران - يونيو ١٩٥٣، توجّه فرانك إلى الاسكندريّة ومعه كلمة السرّ التي طال انتظارها وكانت "عمليّة سوزانا"، وكانت تعني التخريب. ولم تكن الأهداف التي ستتعرّض لها القنابل أهدافًا عسكريّة مصريّة، بل دور عرض سينمائيّة، ومكاتب بريد، ومنشآت أميركيّة وبريطانيّة... وذلك بهدف إثارة غضب واشنطن ولندن ضدّ المصريّين، وتصوير الحكومة الجديدة في القاهرة على أنّها حكومة غير مستقرّة ولا يُعتمد عليها.

بدأت العمليّة الشاذّة بتفجير مكتب للبريد في الإسكندريّة بالقنابل. وقام "فيليب ناثانسون"، وهو أصغر العملاء الصهاينة سنًّا، إذ كان عمره ١٩ عامًا، و"فيكتور ليفي"، بحمل الأجهزة الحارقة البدائيّة في أكياس للنظّارات.

لم تحدث عمليّة تفجير مكتب البريد سوى أضرار طفيفة فحسب، وحظّرت الرقابة العسكريّة المصريّة نشر أيّ خبر عن الانفجارات، وبنتيجة ذلك لم يحدث أيّ تشويه لصورة مصر بأيّ شكل من الأشكال.

وبعد أسبوع على العمليّة، وصلت تعليمات أكثر جرأة بالشيفرة السريّة من خلال برنامج لراديو إسرائيل، وأصدر فرانك أوامره لفريقه بوضع القنابل بمكتبتي مركز الاستعلامات الأميركي في القاهرة والاسكندريّة. وفي هذه المرّة نشرت الصحف المحليّة والدوليّة أنباء الانفجارين، وعمّ السرور الوحدة ١٣١ في تلّ أبيب. وفي ٢٢ تمّوز - يوليو انفجرت قنبلتان في القاهرة، وكانت واحدة منهما ما زالت في جيب "فيليب ناثانسوم"، وساعده ضابط بوليس مصريّ في إطفاء الحريق الذي شبّ في

سرواله، ثمّ ألقى القبض عليه، فمثّلت تلك الحادثة نهاية عمليّة سوزانا التي ظلّت تطارد مؤسّسة المخابرات في إسرائيل لسنوات عديدة.

كان ناثانسون أوّل من انهار أثناء التحقيق معه. وكما حدث في العراق، لم تجد سلطات الأمن المصريّة أيّ صعوبة في القبض على شبكة الجاسوسيّة غير المحترفة والمشكّلة من يهود محليّين في الأعمّ الغالب يعرفون بعضهم بعضًا، ولم يقوموا حتّى بحماية أنفسهم عن طريق إخفاء أسمائهم عن بعضهم البعض. وسرعان ما ألقي القبض على نينيو وهي أداة الاتّصال، التي تعمل وكيلة سياحيّة، وأقي القبض أيضًا على عميل سريّ كان يعمل تحت غطاء ماكر، ولم يكن ذلك العميل سوى "مائير بينيت" الذي يعرف أيضًا باسم "ماكس بينيت".

ولد ماكس في المجر عام ١٩١٧ لأسرة يهوديّة تقليديّة من ألمانيا، وفي سنة ١٩٣٥ هاجرت أسرته إلى فلسطين بصورة غير مشروعة، وأصبح عميلاً لوكالة الهجرة، ثمّ جنّده "أفراهام دار" في المخابرات العسكريّة التي أوفدته إلى عديد من الدول في مهامّ متنوّعة بسبب إتقانه لستّ لغات. وعندما أوفد إلى مصر في عام ١٩٥١، كان قد وصل إلى رتبة "ميجور"، ومنح غطاء ألمانيًّا، مثله في ذلك مثل "سايد ينفرغ". وكان اختياره كألمانيّ اختيارًا موفّقًا لسبب بسيط يرجع إلى أنّ إسرائيل كان لديها العديدون ممّن يتحدّثون الألمانيّة، وأنّ أحدًا لم يكن ليتوقّع أنّ ألمانيًّا يعمل من أجل الدولة العبريّة، كما أنّ هناك سببًا أقوى يرجع إلى المساعدة التي كانت تقدّمها مخابرات ألمانيا الغربيّة في تلفيق حكايات التغطية وإمداد العملاء الإسرائيليّين بجوازات سفر ووثائق أخرى.

من المثير للسخرية أنّ مهندس العلاقة الخاصّة بين الدولة اليهوديّة وبين ألمانيا "الجديدة" كان من المتعاطفين في الماضي مع النازيّة، وهو الجنرال "رينهارد غيهلين"،

الرئيس السابق لقوّة المخابرات الألمانيّة الخاصّة التي كانت مسؤولة عن الجبهة السوفياتيّة في خلال الحرب العالميّة الثانية. وبعد هزيمة الرايخ الثالث، ألقى الأميركيّون القبض على غيهلين، إلاّ أنّهم بدلاً من تقديمه للمحاكمة بوصفه مجرم حرب، أفرجوا عنه هو وهيئة العاملين معه. وكانت المخابرات الأميركيّة والبريطانيّة قد علمت ببرنامج العمل الذي وضعه للتواطؤ بين ألمانيا وأميركا للعمل ضدّ روسيا السوفياتيّة. ووضعه آسروه على قمّة الجهاز الجديد للمخابرات الألمانيّة الغربيّة.

أقام الجنرال السابق في جيش هتلر علاقات عمل عميقة مع إسرائيل. واعتقد بعض العاملين في المخابرات الإسرائيليّة أنّهم يستغلّون بنجاح الشعور بالذنب لدى الألمان بعد إبادة ستّة ملايين يهودي في المحرقة (كما يزعمون) إلاّ أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة كانت لها وجهة نظر تتّسم بالشكّ في ما يتعلّق بتقييم رجال المخابرات المحترفين مثل غيهلين وفي علاقته بإسرائيل. بحيث اعتقد الأميركيّون أنّ مهنة العمل السرّي في المخابرات تتطلّب فصلاً تامًّا بين العواطف وبين التقدير المنطقي للمصالح. ووصلت وكالة الخابرات المركزيّة الأميركيّة إلى استنتاج مفاده أنّ المخابرات الإسرائيليّة حصلت على مكاسب ملموسة، سلبًا وإيجابًا، من جرّاء تعاملها مع الألمان الغربيّين، إذ كان هناك مبدأ العصا والجزرة، أي الترهيب والترغيب. وفي تقدير الأميركيّين فإنّ الجزرة كانت تتمثّل في تدفّق المعلومات السريّة التي يحصل عليها الاسرائيليّون من الآلاف العديدة من المهاجرين الذين يصلون من الاتّحاد السوفياتيّ وأوروبّا الشرقيّة. فوكالات المخابرات الاسرائيليّة كانت لديها خبرة عميقة في استخدام أيّ معلومة مفيدة حتّى ولو بدت وكأنّها ذات قيمة مباشرة ضئيلة في ما يتعلّق بالصراع في الشرق الأوسط، وعندما تكون المعلومة ذات فائدة للألمان الغربيّين عن طريق إلقائها الضوء على الأوضاع

العسكريّة والدبلوماسيّة للكتلة السوفياتيّة، فإنّ الإسرائيليّين يعقدون صفقة مع الألمان الغربيّين.

واعتقد الجواسيس الأميركيون أيضًا أنّ هناك عصا أو ترهيبًا يتمثّل في قيام المخابرات الاسرائيليّة بجمع معلومات مشينة حول النشاط النازيّ السابق لكبار الساسة في ألمانيا الغربيّة، وأنّ الاسرائيليّين أوضحوا بطريقة لا لبس فيها أنّه يمكن تسريب ما لديهم من فضائح إلى المجال العامّ إذا لم يتعاون معهم الألمان تعاونًا كاملاً. وقد أشار العملاء الأميركيّون في تقاريرهم إلى أنّ مثل هذا الابتزاز مقدّر له النجاح وبخاصّة في ما يتعلّق بالألمان الغربيّين الذين ينتابهم الفزع من وجود هياكل عظميّة في خزائنهم حتّى ولو كان الاسرائيليّون لا يملكون في واقع الأمر ذخيرة كافية. وهكذا يظلّ التهديد قائمًا. وسواء كان "ماكس بينيت" واعيًا أم غير واع بتلك العلاقة السرّيّة الواسعة النطاق والدوافع المختلطة وراءها، إلاّ أنّه استفاد منها وهو في طريقه إلى مصر.

ووفقًا لرواية تغطيته فقد تظاهر بوصفه نازيًّا سابقًا يعمل وكيلاً لشركة ألمانيّة لإنتاج الأطراف الاصطناعيّة، ثمّ أصبح بعد ذلك كبيرًا للمهندسين في شركة فورد للسيّارات في مصر. ووراء الستار كان بينيت رجل مخابرات بارعًا، وكان أهمّ عميل لشركة فورد لدى الجيش المصري، ما أتاح له فرصة كبيرة للتعرّف على العسكريّين ودخول القواعد العسكريّة. وكان من المفروض ألاّ تعرف زوجته المقيمة في إسرائيل مكان وجوده. وأخذ يبعث برسائل إلى إسرائيل عبر لندن، إلاّ أنّ أحد العاملين معه أخطأ ذات مرّة ووضع طوابع بريديّة مصريّة على ظرف الرسالة الداخليّ الموضوع داخل الرسالة المرسلة إلى لندن، وهكذا علمت زوجته "جين بينيت" بمكان إقامته فجأة، وآمنت بأنّ الأمر كلّه يفتقر إلى البراعة. على أيّ حال، نفّذ بينيت المهام الموكلة إليه

في مصر بإتقان، وكانت إحدى هذه المهامّ قاتلة كما ذكر "أفراهام دار" بعد ذلك بسنوات. ويقول دار:

لقد ارتكب العاملون معه خطأ غبيًّا، فبعد أن انقطع الاتّصال بينهم وبين شبكة فرانك اختاروا أسهل الطرق لتقديم الأموال إليهم، وهكذا التقى بينيت بمارسيل نينيو وبفرانك وسلّمهما النقود، على الرغم من أنّ قواعد العمل في المخابرات تقضي بحظر أيّ اتّصالات بين شبكتين مختلفتَين. وقد ذكرت نينيو في التحقيق ما تعرفه عن بينيت واقتحم المصريّون منزله وجرّدوه من ملابسه، وعندما اكتشفوا ختانه ضربوه بقسوة. وفي ٢١ كانون الأوّل ديسمبر ١٩٥٤، قطع ماكس بينيت رسغيه في زنزانة السجن بالقاهرة ومات قبل يوم واحد من تقديمه للمحاكمة. فلا بدّ من أنّه كان قد تحقّق من أنّه محكوم عليه بالموت بوصفه أكبر جاسوس إسرائيليّ وفضّل ألاّ يتعرّض للإذلال والمهانة. ومع مواصلة إسرائيل إنكار تورّطها في العمليّة نقل جثمان بينيت إلى ألمانيا الغربيّة لدفنه، غير أنّه أعيد إلى إسرائيل جوّا وبصورة سريّة في عام ١٩٥٩، حيث أعيد دفنه من جديد ولم توضع أيّ علامة على قبره توضّح هويّته كما لم تبلّغ السلطات أرملته بمسألة إعادة دفنه إلاّ قبيل وصول جثمانه بيوم واحد، ورفضت مؤسّسة المخابرات كافّة الطلبات التي قُدّمت من قبل أسرته لمعرفة ملابسات وفاته، ولم تعترف إسرائيل رسميًّا بأنّ بينيت كان عميلاً لها إلاّ في عام ١٩٨٨، في خلال الحفل الذي أقيم في مكتب وزير الدفاع في تلّ أبيب، ومنح فيه بينيت رتبة "ليفتنانت كولونيل".

لم تقدّم السلطات الإسرائيليّة أيّ مساعدة للعملاء الآخرين الذين ألقي القبض عليهم في عمليّة "لافون"، حيث شنق اثنان من اليهود المصريّين عام ١٩٥٥، وحكم على أربعة آخرين بالسجن لمدد طويلة. ورفضت إسرائيل حتّى قبول العرض المصريّ بمبادلتهم بأسرى الحرب المصريّين في خلال حملة السويس عام ١٩٥٦. وقد عارض

رئيس الأركان موشي دايان الصفقة خشية أن تتسبّب في إحراج إسرائيل. وفي عام ١٩٦٨ وبعد حرب الأيّام الستّة، تمّت مبادلة مارسيل نينيو وفيليب ناثانسون وروبيرت داسا وفيكتور ليفي بالآلاف من أسرى الحرب المصريّين. وظلّ الأربعة بعد مرور أكثر من عشرين عامًا يشكون من أنّه جرى التخلّي عنهم، وثارت مناقشات علنيّة حامية في الصحافة الإسرائيليّة جرى في خلالها تبادل الاتّهامات والمزاعم المتناقضة.

كان العضو الوحيد الذي تمكّن من الإفلات من القبض عليه هو بول فرانك، الذي وصل به الأمر إلى حدّ التجاسر على البقاء في مصر لمدّة أسبوعين آخرين، وعند عودته إلى إسرائيل اتّخذ فرانك لنفسه إسم "إيفري ألعاد" من جديد، وأرسلته أمان في مهمّة جديدة للتجسّس العسكريّ في أوروبّا. وكان إيسر هاريل وحده الذي اعترض على ذلك بسبب شكوكه في أنّ يكون إيفري ألعاد قد أصبح عميلاً مزدوجًا مثلما حدث لديفين ماغن منذ بضع سنوات. فقد أثار هروب ألعاد السهل من مصر الشكوك. وبالنسبة إلى إيسر هاريل فإنّ القدرة على اكتشاف عدم الولاء كانت مجرّد حاسّة شمّ تقريبًا لا أكثر.

إثر ذلك، أرغم غيلبي على التخلّي عن رئاسة أمان بسبب عمليّة لافون، لكنّ الميجور جنرال "يهوشافات هاركابي" الذي حلّ محلّه، ظلّ مؤمنًا بقدرة إيفري ألعاد. غير أنّ هاريل العنيد الذي واصل الاعتماد بإصرار على مواهبه الطبيعيّة، أرسل برجاله من شين بيت إلى أوروبّا لمتابعة ألعاد دون إبلاغ هاركابي، وقدّم رجال شين بيت تقريرًا يفيد بأنّ ألعاد اتّصل بضابط من مكتب الملحق العسكري المصري في بون، وأعطاه وثائق سريّة عن المخابرات الاسرائيليّة. واستنتج هاريل من ذلك أنّ عميل أمان خائن. واستمرّ رجال شين بيت في التحقيق معه لمدّة تسعة شهور، ثمّ قدّم للمحاكمة في تمّوز - يوليو ١٩٥٩، بتهمة التجسّس لحساب مصر. وفي محاولة لكي

ينجو بجلده، رجع ألعاد إلى الوراء قليلاً ليتحدّث عن تاريخ مؤسّسة المخابرات، واعترف بأنّه ساعد على إخفاء الحقيقة حول عمليّة لافون وقال إنّ ضبّاط الوحدة ١٣١ تآمروا لإلقاء اللوم على لافون، وزير الدفاع، بسبب فشل عمليّة سوزانا في مصر. ولكن لم تؤدّ تبرئة ساحة إيفري ألعاد بشأن أمور غير متعلّقة بقضيّته إلى مساعدته في المحكمة، وصدر عليه الحكم بالسجن لمدّة عشر سنوات في واحدة من أكبر المحاكمات سريّة في تاريخ إسرائيل، وحظّرت الرقابة العسكريّة على الصحافة نشر تفاصيل القضيّة، أمّا أسماء الأشخاص المتورّطين فيها فكانت مثل الفاكهة المحرّمة. وأشارت الصحافة إلى مجمل العمليّة بأنّها "إيسيك بيش" أي "مهنة عفنة"، وإلى "غيلبي" بوصفه "الضابط الكبير"، وإلى "بن زور" بوصفه ضابط الاحتياط، وإلى "إيفري ألعاد" بوصفه "الرجل الثالث" في إشارة غامضة إلى الفيلم المثير الذي يحمل الاسم نفسه، ومع كلّ هذا، لم يتمكّن المحقّقون في شين بيت من تحطيم معنويّات ألعاد وإجباره على الاعتراف بأنّه ساعد المخابرات المصريّة، أو إقراره بأنّه خان ولاءه في القاهرة والاسكندريّة. وعقب الإفراج عنه، سافر إلى كاليفورنيا ونشر كتابًا اتّهم فيه هاريل بالتشهير به.

وتختم هذه الرواية عن عمليّة لافون / سوزان وذيولها بالقول:

كان لعمليّة لافون ردود فعل تخطّت مجرّد الفشل في عمليّة سريّة واحدة، أو القبض على خليّة للجاسوسيّة، فقد تحقّق ساسة إسرائيل، للمرّة الأولى، من أنّ وضع الأمن على رأس الأولويّات القوميّة يمكن أن يكون بالغ الخطورة. وبعد أن تركوا الأمن والديموقراطيّة ليحقّقا بنفسيهما التوازن بينهما، اكتشفوا أنّه لا توجد قوّة طبيعيّة يمكنها تحقيق التوازن دون تحرّكهم الإيجابيّ في الموضوع، وأنّهم بوصفهم قادة لدولة ديموقراطيّة، يتعيّن عليهم أن يصلوا إلى الحلّ قبل أن تميل كفّة الميزان نهائيًّا لصالح

الأمن. وقد أشارت العمليّة بصورة مقلقة إلى أنّه قد تمّ وضع سلطات واسعة بين أيدي قادة شباب وجسورين، لا يمكن السيطرة عليهم، وجرى النظر في "المهمّة العفنة" على مدى عشرات السنين بعد ذلك، على أنّها عمليّة تحذير. ولم يقَل للرأي العام الإسرائيلي عمّا كان عفناً بالضبط في مؤسّسة الاستخبارات، وفي الوقت الذي ساد فيه الاضطّراب مؤسّسة المخابرات والحكومة، تمكّن هاريل من الافلات لا بل من تعزيز مواقعه، فقد كان القوّة التي يعتمد عليها لاجتثاث التخريب في الداخل وحماية مصالح إسرائيل في الخارج.

لقد أدّى استخدام وسائل الاستفزاز الشاذّة، وبصفة خاصّة في مصر، في محاولة لتحويل قوى الغرب ضدّ العرب، إلى نتائج عكسيّة تقريبًا، وذلك عندما تكشّف تورّط إسرائيل فيها.

وقد رأى باحثون[1] أنّ فضيحة عمليّة لافون جاءت لتعزّز مكانة إيسر هاريل ولتزيد من فعاليّته وتأثيره.

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٧٦.

العُدوَانُ الثُّلاثيُّ والمشرُوع النوَويُّ الاسرَائيليّ

العُدوَانُ الثُّلاثيّ

لم تكن عمليّة تورّط الاستخبارات العسكريّة الإسرائيليّة "أمان" في عمليّة "لافون / سوزانا" العامل الوحيد الذي عزّز مواقع إيسر هاريل على رأس الهرم الاستخباراتيّ الإسرائيلي، بل كان هناك عوامل أخرى عديدة، أبرزها: توجيهه عام ١٩٦١ عمليّة هدفت إلى جلب آلاف اليهود المغاربة إلى إسرائيل؛ وبعدها بعام كان رئيس الموساد النشيط في جنوب السودان يساعد الثوّار الموالين لإسرائيل في حربهم ضدّ النظام. وفي العام نفسه، كان يساعد الأمبراطور الحبشي هيلاسيلاسي، حليف إسرائيل، على سحق المحاولة الانقلابيّة لإطاحته. وقد كان لهاريل دور ربّما ثانويّ في عمليّة العدوان الثلاثي على قناة السويس في مصر عام ١٩٥٦.

عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن تأميم الشركة العالميّة لقناة السويس البحريّة بتاريخ ٢٦ تمّوز - يوليو ١٩٥٦، استغلّت الدول الغربيّة والصهاينة عمليّة

التأميم ذريعة لتسديد حساباتهم مع مصر. في وقت كان حلف بغداد يسعى لمدّ ظلاله على المشرق العربيّ، وكان الاحتلال الفرنسيّ يواجه ثورة الجزائر، واتّسعت العمليّات الفدائيّة ضدّ الأهداف الإسرائيليّة، ورسمت فرنسا وإنكلترا خطط العدوان ونسّقتها مع إسرائيل، حيث كان بن غوريون وإيسر هاريل ويهوشافاط حركابي الصهاينة يلعبون الدور الرئيسيّ في التنسيق مع رئيس المخابرات الفرنسيّة في ذلك التاريخ "بيار بورسيكو".

ففي ٢٢ تشرين الأوّل ـ أوكتوبر ١٩٥٦ عقد اجتماع في فيلاّ خاصّة في "سيفر" من ضواحي باريس، ضمّت حوالى ١٢ رجلاً، من بينهم إسرائيليّان شهيران: "ديفيد بن غوريون" بوصفه رئيسًا للوزراء ووزيرًا للدفاع، و"موشي دايان" رئيس هيئة الأركان العامّة للجيش الإسرائيلي وعصابة عينه السوداء تذكار دائم لخسارته عينه اليسرى عام ١٩٤٢ بينما كان يعمل لحساب المخابرات البريطانيّة ضدّ قوّات فيشي الفرنسيّة الموالية للنازيّين في سوريا. وكان هناك إسرائيليًّا آخر هو "آشر بن ناثان" الجاسوس الإسرائيلي السابق في أوروبّا، والذي كان قد أصبح المدير العام لشركة تملكها حكومته في جيبوتي، والذي كان المدير العام لوزارة الدفاع "شيمون بيريز" قد استدعاه قبل ذلك بأيّام قليلة من جيبوتي إلى إسرائيل حيث كلّفه بمهمّة جديدة قائلاً له: "إنّ الرجل العجوز "بن غوريون" يريدك أن تتوجّه بسرعة إلى باريس لتجديد اتّصالاتك من أيّان "القسم السياسيّ"، ولتخدم كممثّل خاصّ لوزارة الدفاع في أوروبّا بأسرها، ومن الأفضل ألاّ توجّه أسئلة كثيرة... فكلّ شيء سيتّضح خلال وقت قصير للغاية". وقد اتّضح لبن ناثان كلّ شيء في ذلك الاجتماع الذي ضمّ إلى الإسرائيليّين الثلاثة: "غي موليه" رئيس الوزراء الفرنسيّ، و"موريس بورغ مونوريه" وزير الدفاع"، و"كريستيان بينو" وزير الخارجيّة، وعدد من المساعدين والمستشارين. وكان يرتدي لباسًا عسكريًّا والآخرون

بملابس مدنيّة. وفي مواجهتهم "سلفين لويد" وزير الخارجيّة البريطانيّة، ويحيط به مستشاروه... فقد كان هؤلاء الرجال الكبار يخطّطون لحرب، سوف تُعرف في إسرائيل باسم "حملة سيناء"، وفي أنحاء العالم باسم "حرب السويس"، وفي العالم العربيّ باسم "العدوان الثلاثيّ".

وفي ٢٩ تشرين الأوّل ـ أوكتوبر ١٩٥٦، بدأت قوّات المظلاّت والقوّات البريّة الإسرائيليّة التحرّك داخل مصر، عبر سيناء، وصوب قناة السويس. ووفقًا لخطّة "سيفر"، أصدرت فرنسا وبريطانيا إنذارًا لجيشي مصر وإسرائيل يقضي بتجميد مواقع قوّاتهما في أماكنها على مسافة عدّة أميال من ضفّتي قناة السويس. ووفقًا لما تمّ ترتيبه مسبقًا، فإنّ إسرائيل وافقت، ولكنّ مصر رفضت. وقد استخدم الفرنسيّون والبريطانيّون الرفض المصريّ ذريعة لإسقاط قوّات مظليّة في منطقة القناة في الخامس من تشرين الثاني ـ نوفمبر، واستولوا على قناة السويس، الممرّ المائي الاستراتيجي. وفي الوقت نفسه استكمل الجيش الإسرائيليّ غزو سيناء في غضون أربعة أيّام.

اشترك في العمليّة التي سمّيت رمزيًا عمليّة "حامل البندقيّة" قوّات إنكليزيّة وفرنسيّة ضخمة: ٢٢٩ ألفًا من الجنود والضبّاط، و٦٥٠ طائرة، وأكثر من ١٣٠ سفينة بينها ستّ حاملات طائرات. أمّا الجيش الاسرائيلي الذي اقتحم أرض مصر فكان قوامه ١٠٠ ألف جنديّ[١].

كانت الولايات المتّحدة تراقب صحراء سيناء عبر طائراتها التجسّسية من نوع U-2، وقد غضب الرئيس دوأيت أيزنهاور والمحيطون به ومن بينهم جون فوستر دالس وزير الخارجيّة، وشقيقه ألن مدير الـ CIA، لمحاولة إسرائيل إخفاء قوّاتها

---

١ ـ زهر الدين، ملف الاستخبارات الاسرائيليّة، ص٧١ ـ ٧٢.

العسكريّة قبل اجتياح السويس[1]. وهذا ما سوف يؤدّي إلى التدخّل الأميركيّ لوقف العدوان الثلاثيّ عن طريق التهديد.

وبدا أنّ هدف مؤتمر "سيفر" قد تحقّق وأنّ غايات الشهور العديدة التي أمضاها رجال الجيش والمخابرات في التخطيط قد تمّت.

يقول باحثون[2] إنّ أهداف إسرائيل من تلك الحرب كانت تدمير الجيش المصريّ المزوّد بأسلحة سوفياتيّة، وكسر الحصار الذي أعلنه الرئيس عبد الناصر على الطريق إلى إيلات عبر البحر الأحمر. وكان هناك أيضًا الهدف المصرّح به علنًا وهو وقف هجمات الفدائيّين الفلسطينيّين انطلاقًا من قطاع غزّة التابع لمصر.

وأمل أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا الذي حرّكته كراهيّته العميقة لجمال عبد الناصر في استعادة سيطرة بريطانيا على القناة، التي كان الزعيم المصريّ قد أمّمها. وتوقّع إيدن أنّ الإذلال سيطيح بعبد الناصر الذي كان يركب موجة الراديكاليّة والتطرّف في الشرق الأوسط الموجّهة ضدّ المصالح الغربيّة.

أمّا فرنسا فقد اهتمّت أساسًا بوقف "الناصريّة" لأنّها كانت تقدّم الإلهام لجبهة التحرير الوطنيّة في الجزائر، والتي كانت تقاتل قوّات الاحتلال الفرنسيّ هناك. وحتّى قبل مؤتمر "سيفر"، فإنّ فرنسا كانت قد بدأت بتسليح إسرائيل للحرب المقبلة. فمنذ نيسان - إبريل ١٩٥٦، وصلت طائرات النقل والسفن الفرنسيّة إلى الموانئ الإسرائيليّة في ظلمة الليل وقامت بتفريغ كميّات ضخمة من الأسلحة بما فيها الدبّابات والطائرات المقاتلة والمدافع والذخائر...

---

١ - هيرش سيمور م.، خيّار شمشوم، الترجمة العربيّة، مكتبة بيسان (بيروت،١٩٩٢) ص٥٠.

٢ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٧١.

ذلك المشروع، تطلّب تعاونا مخابراتيًا وثيقا. فقام البروفيسور "يهو شافاط حركابي"، الذي كان قد عيّن رئيسا للمخابرات للعسكريّة أمان برتبة ميجر جنرال، بالتوجّه إلى فرنسا بصورة متكرّرة لإجراء مباحثات مع نظرائه في المخابرات العسكريّة والمدنيّة الفرنسيّة. ولتنظيم الاتّصال، تمركز ممثّل دائم للمخابرات العسكريّة الاسرائيليّة في فرنسا، ومع أنّ إيسر هاريل حاول الإصرار على أنّ الموساد ينبغي أن يحتكر على الأقلّ الاتّصالات مع وكالة المخابرات المدنيّة في الخارج، إلاّ أنّه اضطرّ للابتعاد عن الصورة في خلال إعداد مخطّط الحرب. وكان الدور الاستخباراتي الاسرائيلي الذي لعبه حركابي دورًا رئيسيًّا، وقد عيّن مستشارًا لرئيس مجلس الوزراء الاسرائيلي إسحق رابين لشؤون الأمن، حيث يعتبر حركابي من المتخصّصين الأوائل في شؤون الشرق الأوسط والقضيّة الفلسطينيّة بصورة خاصّة. وقد أصبحت الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة في عهده (١٩٥٥ ـ ١٩٥٩) أهمّ جهاز استخبارات إسرائيليّ. فقد قفزت الأبحاث في ذلك الجهاز قفزة ملحوظة. وحدث التطوّر الثاني المهمّ عندما ألقيت على رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة مهمّة إعداد تقويم المعلومات على المستوى القوميّ وتقديمه إلى كلّ من رئيس الحكومة ووزير الدفاع. ومن هنا اكتسب أهميّته الفاعلة والمؤثّرة عل صعيد التخطيط والتنسيق مع المخابرات الأخرى الأجنبيّة كما حصل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦[١].

وعلى الرغم من أنّ إيسر هاريل قد احتجّ على إبعاد الموساد عن العمليّات المخابراتيّة في فرنسا عام ١٩٥٦، فقد كان على اتّفاق تام مع حركابي، وبقي هاريل

---

١ ـ حركابي يهوشافاط، الاستراتيجيّات العربيّة وردود الفعل الاسرائيليّة، ترجمة أحمد الشهابي: منشورات مكتب الدراسات الفلسطينيّة في حركة فتح (بيروت،١٩٧٧) ص٥.

معتبرًا مهندس الاستخبارات الاسرائيليّة، وقد ضمّ الرجلان جهودهما لمنع إعادة تعيين العقيد بنيامين غيبلي بعد فضيحة لافون في جهاز الاستخبارات العسكريّة. وهكذا عملا على تشويه سمعته لشطب اسمه من لائحة المرشّحين للمنصب[١].

ومن قادة الاستخبارات الاسرائيليّة الذين شاركوا بصورة عمليّة في العمليّات الانتقاميّة وحرب العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، "دوف تاماري"، الذي ولد في كيبوتز "عين حارود" سنة ١٩٣٦، وتجنّد في الجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٤، وقد شارك مخابراتيًّا في حرب ١٩٥٦، وكذلك في حرب حزيران ـ يونيو ١٩٧٦، وفي حرب الغفران سنة ١٩٧٣، حتّى وصل عام ١٩٧٦ إلى أن يتبوّأ مركز قيادة سلاح الاستخبارات الذي كان قد أنشئ حديثًا. كما عيّن قائدًا لمدرسة القيادة والأركان في أوّل أيلول ـ سبتمبر ١٩٧٧[٢].

كما شارك من جانب الاستخبارات الاسرائيليّة في ذلك العدوان الثلاثي "يتسحاق حوفي"، وهو الذي سيصبح رئيسًا لمؤسّسة للاستخبارات والمهمّات الخاصّة "الموساد" خلفًا لـ"تسيفي زامير" إعتبارًا من أوّل أيلول ـ سبتمبر ١٩٧٤، لكنّ هويّته لم تكشف آنذاك، وقد أحيل على التقاعد يوم الأحد الواقع فيه ١٢ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٢، حيث خلفه الجنرال "يهوشاع ساغي" الذي برز اسمه من خلال التحقيق في مجزرة صبرا وشاتيلا، ولولا ذلك لبقي اسمه سرًّا. وقد أقيل من منصبه بعد تحقيق لجنة "كاهان"[٣].

---

١ ـ زهر الدين، الوطن العربي والموساد، ص٨٠.

٢ ـ الأشقر رياض، قيادة الجيش الإسرائيلي، مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة (بيروت،١٩٨١) ص٦٤.

٣ ـ الأشقر رياض، قيادة الجيش الإسرائيلي، ص٦٦ ـ ٦٧.

ويخلص باحثون إلى أنّ حملة سيناء، قد تمّ تنفيذها، عسكريًا، بطريقة مدهشة خاصّة من جانب إسرائيل، غير أنّها قد فشلت سياسيًا فشلاً ذريعًا. ذلك أنّ المخابرات الإسرائيليّة والفرنسيّة والبريطانيّة قد اعتقدت أن جمال عبد الناصر سيخضع للضغط الدوليّ المتزايد، ويرجع ذلك جزئيًا إلى اعتقادها بأنّ التحالف الثلاثيّ الجديد سيمتدّ بطبيعة الحال ليضمّ الولايات المتّحدة. وبدلاً من أن يحصل ذلك، فإنّ الولايات المتّحدة قد أظهرت ازدراء كاملا لغزو السويس وأجبرت الدول المعتدية الثلاث على الانسحاب، مبرهنة أنّها قوّة عظمى، بينما لم تعد فرنسا وبريطانيا مؤهّلتين للقبيهما القديم كقوّتين عظميين. كما لحق ضرر بالغ بصورة إسرائيل كدولة تقدّميّة، إشتراكيّة، تسعى للسلام... واقتنع العالم بأنّ إسرائيل اشتركت في مؤامرة استعماريّة سيّئة التقدير.

تَحقيقُ الحُلم النَّوَويّ الإسرَائيلي، ودَور جِهَازُ لاكَام

في السنوات الأخيرة، صدرت عدّة مواقف في العالم تخوّفت من دخول إسرائيل في نادي الدول النوويّة، كان من أحدثها الموقف الصادر عن المدير العام للوكالة الدوليّة للطاقة الذريّة محمّد البرادعي، الذي اعتبر في مقابلة نشرتها له صحيفة "هآرتس" الإسرائيليّة بتاريخ الثاني عشر من كانون الأول ـ ديسمبر ٢٠٠٣ أنّ حيازة إسرائيل قدرات نوويّة، تسرّع في السباق نحو التسلّح وتشكّل خطرًا على المنطقة.

وقال: حاولت التوصّل إلى اتّفاق حول منطقة منزوعة السلاح النوويّ في الشرق الأوسط لكن مع الأسف لم أنجح في الدفع بهذه الفكرة. وتابع يقول إنّ إسرائيل تؤكّد أنّ المسألة لا يمكن أن تناقش إلاّ في إطار شامل ولا يمكن أن يتمّ ذلك إلاّ عندما يُعترف بها كجزء من المنطقة، بينما يقول العرب من جهتهم إنّ المناقشات حول هذه القضيّة قد تساهم في إعادة الثقة ممّا قد يساعد على إرساء السلام. وشدّد البرادعي على أنّ "الوضع الراهن ليس جيّدًا وتتولّد عنه إحباطات لأنّ إسرائيل تملك ترسانة نوويّة أو قدرات على سلاح نوويّ بينما وقّعت بقيّة بلدان الشرق الأوسط على معاهدة الحدّ من انتشار الأسلحة النوويّة". وأضاف: "لا يمكنني أن أقول إنّ إسرائيل تملك السلاح النوويّ بكلّ تأكيد، لكنّني أقرأ الصحف والوثائق في هذا الصدد ويبدو أنّه يمكننا أن نعتبر ذلك واقعًا. نعمل على أساس فرضيّة أنّ إسرائيل تملك القدرات النوويّة".

في الواقع، لقد كان الاسرائيليّون يعرفون بـالضبط مـا يفعلـون، فلقـد انضمّـوا إلـى مؤامرة السويس الثلاثيّة، قبل أيّ شيء، لأنّ بن غوريون كان يحترق شوقًا لأن تصبـح إسرائيل دولة نوويّة. فقيمة العلاقات العامّة كانت صفرًا، لكن كانت هنـاك قيمـة كبيـرة للأهداف الاستراتيجيّة لرئيس الوزراء في دعم تحالف قويّ مع فرنسا تحت اسم "جسر فوق البحر الأبيض المتوسّط". وقد مكّن هذا الجسر الاسرائيليّين من الحصول على كلّ ما يحتاجونه تقريبًا لإنتاج قنبلة نوويّة.

كانت القوّة النوويّة هدفًا تعلّق به بن غوريون منذ بداية إنشـاء الدولـة. فهـي برأيـه الدولة التي ستمثّل الاستقلال الحقيقيّ في العالم المعاصر. فتوليد الكهرباء دون الاعتماد على الفحم والبترول المستورد يمكن أن يكون نافعًا، لكنّ تنمية إمكانيّة عسكريّة نوويّـة كـان أكثر أهميّـة، فمـن شـأنه أن يجعـل إسـرائيل قـوّة لا يمكـن منافسـتها فـي الشــرق الأوسط. ويمكن أن يكون الضمان النهائيّ للوجود المستمرّ للدولة العبريّة.

يقول باحثون إنّ "ج. روبرت أوبنهايمر" هو أبو القنبلة الذريّة؛ وكذلك هو "إرنست ديفيد برغمان" الهزيل، والباهت اللون والعالِم الذي يدخّن السيجارة تلو السيجارة وابـن الحاخام الذي كان لاجئًا من ألمانيا، أبو القنبلة الذريّة الإسرائيليّة.

ويضيف هؤلاء الباحثون أنّ الأوساط العلميّة الدوليّة عرفت برغمـان إثـر انتصـار إسـرائيل فـي "حـرب اسـتقلالها" عـام ١٩٤٨، وهـي أوّل حـرب عربيّـة أسـرائيليّة، كعالِم بارع في الكيميـاء العضويّـة وكمديـر لقسم الكيميـاء فـي معهد وايزمـن للعلـوم، أهمّ مركـز أبحـاث فـي إسرائيل. كـان رئيسًا للجنـة الإسرائيليّة للطاقـة الذريّـة التـي أنشـئت عـام ١٩٥٢، وداعيـة إجـراء الأبحـاث النوويّـة لأغـراض سـلميّة. كــان برغمان الذي لا تفارق السيجارة يـده، رمزًا للطـف والذكـاء فـي المؤتمـرات الدوليّـة، حول العلوم الذريّة.

كان ذكاؤه المتوقّد واضحًا للجميع، وكذلك كانت حاجة إسرائيل للطاقة النوويّة، إذ لن يمكون النفط متوفّرًا لتشتريه من جيرانها العرب.

بحلول عام ١٩٤٧، كان برغمان يخبر زملاءه عن وجود حقول فوسفات ضخمة في صحراء النقب، وهي تحوي آثارًا شحيحة لكن يمكن استخراجها من اليورانيوم الطبيعيّ.

لم تمضِ سنتان إلاّ وأُنشئ قسم للأبحاث حول النظائر في معهد وايزمان، كما أُرسل علماء إسرائيليّون شبّان إلى الخارج لدراسة جديد الطاقة النوويّة والكيمياء النوويّة. كما بدأ العمل في مشروع مشترك مع اللجنة الفرنسيّة للطاقة النوويّة، الحديثة العهد. وبحلول ١٩٥٣ كان البحّاثة الإسرائيليّون في معهد وايزمان الروّاد في استنباط عمليّة جديدة لإنتاج الماء الثقيل الضروريّ لإطلاق متسلسل، وفي تطوير أكثر فعاليّة لاستخراج اليورانيوم من حقول الفوسفات.

وفي تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٤، عرّف برغمان عن نفسه للمواطنين الإسرائيليّين عبر الإذاعة وأطلعهم على برنامج إسرائيل للأبحاث النوويّة السلميّة. وأُعلن عن تأسيس اللجنة الإسرائيليّة للطاقة النوويّة.

بعد عامين من إنشائها، وقّعت إسرائيل مع الولايات المتّحدة في عهد دوايت أيزنهاور "برنامج الذرّة للسلام"، للتعاون في الاستخدام المدنيّ للطاقة الذريّة. وقد ساهمت واشنطن في تمويل مفاعل نوويّ صغير للأبحاث في "ناحال سوارق"، جنوبي تلّ أبيب. ومُنحت الولايات المتّحدة بموجب الاتّفاق حقّ معاينة المفاعل الصغير طبقًا لقانون الطاقة النوويّة الذي اعتُمد عام ١٩٥٤، والذي يقضي بالتحقّق من الضمانة الإسرائيليّة عبر معاينة ميدانيّة للمفاعل النوويّ الصغير للتأكّد من أنّه لم يحوّل لإجراء أبحاث ذات طابع عسكريّ.

ولكن بعد عامين، قال برغمان في رسالة كتبها: "أنا مقتنع بأنّ دولة إسرائيل تحتاج إلى برنامج أبحاث دفاعيّ خاصّ بها، لئلاّ نصبح مرّة أخرى كخرفان تُساق إلى الذبح".

كان بن غوريون وشيمون بيريز وإرنست برغمان يؤمنون بأنّ ترسانة إسرائيليّة مستقلّة قادرة على تأمين ما لم يكن الرئيس أيزنهاور قادرًا على تأمينه: المظلّة النوويّة.

لم تتمكّن أيّ جهة خارجيّة، لا الأوساط العلميّة الدوليّة، ولا عامّة الشعب الإسرائيليّ، ولا الاستخبارات الأميركيّة، من أن تفهم مغزى شغْل برغمان منصبَين حكوميّين آخرين في أوائل خمسينات القرن العشرين: مستشار علمي لوزير الدفاع، ومدير الأبحاث والتخطيط في وزارة الدفاع. عرف الإسرائيليّون الذين شغلوا هذين المنصبين برغمان محبّذًا قويًّا وناشطًا لفكرة الأسلحة النوويّة، فهو الرجل المسؤول مباشرة، إلى جانب الفرنسيّين كما سيأتي، عن المكانة التي ستلعبها إسرائيل كدولة تمتلك أسلحة نوويّة في نهاية ستّينات القرن العشرين. فلم ينجز برغمان والفرنسيّون مهمّتهم في صحراء النقب فقط، لا بل أبقوا عملهم في الكتمان، تمامًا كما فعل "ج. روبرت أوبنهايمر" وزملاؤه بمشروع مانهاتن الذي بقي مجهولاً في صحراء "لوس ألاموس".

دخل برغمان الشاب عالم الذرّة في أوائل عشرينات القرن العشرين كطالب كيمياء عضويّة في معهد إميل فيشر في جامعة برلين. عاش في عصر يعجّ بألمع العلماء مثل "إرنست روثفود" في إنكلترا، و"ماري كوري" في فرنسا، اللذين كانا في سباق دوليّ محموم في سنوات ما قبل الحرب لكشف سرّ الانشطار النوويّ.

وكان من بين زملاء برغمان في برلين أيضًا النمساوي "هرمان ف. مارك" الذي سيصبح في ما بعد كيميائيًّا لامعًا وعميدًا للمعهد المتعدّد الفنون في جو بروكلين.

إبن هرمان مارك، واسمه "هانس"، شغل منصب وزير سلاح الجوّ في إدارة جيمي كارتر، كان منزله في "أوستن" بولاية تكساس. ولم يكن هانس مارك نفسه الذي كان مستشار جامعة تكساس، غريبًا عن عالم الاستخبارات والأسلحة النوويّة. فبصفته وزير سلاح الجوّ، اعتمر ما يُعرف في الحكومة بـ"القبّعة السوداء"، إذ كان رئيس اللجنة التنفيذيّة للمكتب الوطنيّ للاستطلاع، وهي وحدة في غاية السريّة هدفها تطوير الأقمار الاصطناعيّة الأميركيّة للاستخبارات، وتصميمها وتوجيهها. وقد عمل هانس مارك بصفته عالم فيزياء نوويّة طوال ١٢ علمًا، ابتداء من العام ١٩٥٥، في مختبر "لورانس لايغرمور" في كاليفورنيا، وهو أحد أهمّ المنشآن الأميركيّة للأسلحة النوويّة. وقد عُيّن لأربعة أعوام من تلك الحقبة رئيس قسم في الفيزياء الاختباريّة...

هرمان مارك الذي نشر خلال حياته المهنيّة ٢٠ كتابًا وأكثر من ٥٠٠ ورقة حول علم "البوليمر"، وهو قسم من الكيمياء يعالج الموادّ المركّبة المضاعفة الأصل أو المؤلّفة من عدّة أجزاء متماثلة، يتذكّر فيقول: "كنّا نهتمّ بصنع الأشياء. كان أهمّ شيء بالنسبة إلينا هو صنع موادّ بوسئل كيميائيّة. فعليك أوّلاً أن تصنع شيئًا لم يسبقك أحد إلى صنعه، ومن ثمّ يمكنك استخدامه". وبينما كان برغمان ومارك في برلين، عملا سويّة وأصدرا دراسات مشتركة حول البنية الكيمائيّة للمطّاط والطلاء والموادّ اللاصقة.

كان والد برغمان أحد أبرز الحاخامين في برلين وصديقًا حميمًا لـ"حاييم وايزمان" اليهوديّ الروسيّ العالم بالكيمياء الحيويّة، والصهيونيّ الذي كان يعيش في إنكلترا في ذلك الوقت. وعندما أصبح من المستحيل عام ١٩٣٣ لبرغمان أو لأيّ يهوديّ آخر الاستمرار في مزاولة عمل أكاديميّ في ألمانيا نتيجة سلسلة من المراسيم النازيّة التي سُنّت في هذا الشأن، تمكّن وايزمان من استدعاء برغمان الشاب للحاق به في كليّة

جامعة "مانشستر" في إنكلترا حيث تابع أبحاثه حول التركيب الكيميائيّ، واختلاطه بالعلماء الذين كانوا يتسابقون لشطر الذرّة. وكما كانت الحال بالنسبة إلى وايزمان، لفت برغمان انتباه "غريديريك أ. ليندمان" الذي سيصبح في ما بعد "اللورد تشيرويل"، وهو عالم من أكسفورد ألمانيّ الأصل شغل منصب المستشار العلميّ الأوّل لـ"ونستون تشوتشل" في الأعوام التي سبقت الحرب العالميّة الثانية.

ليس معروفًا الكثير عن العمل الذي أدّاه برغمان للبريطانيّين قبل الحرب. إلاّ أنّه التزم في تلك السنوات الدفاع عن فلسطين. وقد ورد في أحد التقارير عن سيرة وايزمان أنّ الهاغاناه سألت وايزمان عام ١٩٣٦ عن كيميائيّ يساعدها في صنع شحنات شديدة الانفجار لاستخدامها في الحرب السريّة ضدّ العرب والبريطانيّين. كان الديناميت أخطر من أن يُستعمل في ذلك الجوّ الذي كان يسود الشرق الأوسط. وقد أوكل وايزمان المهمّة لبرغمان الذي قام بها ووقّع بعد ذلك على عضويّة اللجنة الفنيّة للهاغاناه. وفي عام ١٩٣٩، سافر برغمان إلى باريس مفوّضًا من قبل الهاغاناه وأطلع الفرنسيّين الذين كان جيشهم في أفريقيا الشماليّة، على آخر اكتشافاته.

غادر برغمان إنكلترا بُعيد اجتياح ألمانيا لبولونيا في خريف ١٩٣٩. فتدخّل وايزمان مرّة أخرى وأوجد له عملاً مع أصدقاء قدامى يملكون مختبرًا كيميائيًّا في فيلاديلفيا. لكنّه لم يسرّ بإقامته هناك، فتدخّل صديق قديم آخر من ألمانيا، هو هرمان مارك الذي أتى لنجدته... إذ "لم يكن لديه مكان يقيم فيه، فدعاه ليأتي إلى بروكلين".

تهجّر مارك من أوروبّا عام ١٩٣٨، وها هو يقوم بأبحاث في شركة ورق كنديّة في "أونتاريو". وتمكّن بحلول العام ١٩٤٠ من تشغيل مختبر في معهد بروكلين المتعدّد الفنون. وبعد عامين أصبح عميد كليّة وحوّل الكليّة إلى مأوى للاجئين اليهود بمن فيهم حاييم وايزمان. قال مارك، وهو الوحيد المعروف الذي كان لا يزال على قيد الحياة

وعايش تلك الحقبة عندما قابله "سيمور هيرش" واضع كتاب "خيار شمشوم": كانت كلّ الشلّة هناك".

بهزيمة هتلر، بقي أمام برغمان هجرة واحدة وأخيرة: إلى فلسطين للمساعدة في إنشاء ما سيُعرف في ما بعد بمؤسّسة وايزمن للعلوم في "ريجفوت"، جنوب تلّ أبيب.

بدت الطموحات الاسرائيليّة من دون حدود. حاول وايزمان، عبثًا، منذ عام ١٩٤٧ التقرّب من أوبنهايمر وزملائه في مشروع منهاتن، ومن بينهم عالم الرياضيّات وأوّل المنظّرين في الكومبيوتر "جون فون نيومان"، وعرض عليهم مرّات عدّة القيام ببعض الأبحاث في فلسطين...

كان برغمان أوّل من وقع عليه اختيار وايزمان ليصبح مدير المعهد، إلاّ أنّ زوجة وايزمان "فيرا"، نجحت في الحؤول دون ذلك متذرّعة بحجّة قديمة، وهي العلاقة المشينة القديمة العهد بين برغمان و"هاني"، سكرتيرة زوجها الخاصّة، وهي التي تزوّجها برغمان في نهاية المطاف. فعُيّن عوض ذلك رئيسًا لقسم الكيمياء العضويّة. وكانت تعزيته الوحيدة وجوده إلى جانب زملاء لا معين مثل "عاموس دزخاليط" رئيس قسم الفيزياء الذي اعتُبر في ما بعد بحّاثةً من طينة مختلفة في مصافّ أوبنهايمر و"نيلز بور" الدانماركي الذي حاز جائزة نوبل. أمّا مدير قسم الكيمياء غير العضويّة فكان أهارون "كاتشالسكي" الذي عُرف في ما بعد باسم "أهارون كاتزير"، الأخصّائي في التحليل الكهربائي للتفاعل المتسلسل، والرائد في مجال تكنولوجيا الإنسان الآلي التي تعمل بقوّة دفع العضلات. ومثله مثل برغمان، كان لكاتزير حياة سريّة. فعند وفاته سنة ١٩٧٢، كان أحد أبرز العاملين حينئذ في برنامج الأسلحة النوويّة الإسرائيليّة...

تغيّر منصب برغمان للمرّة الأخيرة بطلب من بن غوريون بعد استقلال إسرائيل عام ١٩٤٨، فأُحيل إلى العمل في وزارة الدفاع، حيث أنشأ تحت إشراف بيريز أوّل معهد للأبحاث الدفاعيّة في البلاد.

بعد مضيّ أكثر من أربعين عامًا قال بيريز إلى مراسل صحافيّ إسرائيليّ إنّ برغمان كان يتكلّم دائمًا منذ العام ١٩٤٨ عن قدرة إسرائيل في الصواريخ، وقال: "يمكنني أن أتحدّث عنه طوال مئة عام ربّما. لقد عملنا سويّة، وأعتقد أنّها كانت أفضل سني حياتي".

يصرّ هرمان مارك على القول إنّه من دون برغمان لما كانت هناك قنبلة إسرائيليّة، "كان مسؤولاً عن كلّ النشاطات النوويّة في إسرائيل، وكان الرجل الذي يعلم كلّ شيء عن الانشطار النوويّ، وهو الذي شرحه للناس".

أصبح مارك صلة وصل دائمة بين بروكلين وإسرائيل بعد الحرب العالميّة الثانية، فأسّس مجالس معهد وايزمان وعمل فيه كمستشار علميّ. بقي مقرّبًا من برغمان وشاطره الرأي بحتميّة البدء بأبحاث إسرائيليّة لصنع أسلحة نوويّة. ويقول: "كنّا متّفقين على أنّه يجب على إسرائيل أن تكون على بيّنة تامّة من كلّ ما يجري في حقل الفيزياء النوويّة. ها إنّ نمطًا جديدًا من التفاعل المتسلسل قد اكتُشف في "لوس ألاموس". وسواء استُخدم هذا النمط الجديد في تحلية المياه المالحة، أم في معمل لتوليد الطاقة، أم لصنع قنبلة، فالأمر سيّان: فهو ناتج عن انشطار الذرّة".

وقد عبّر برغمان عن وجهة النظر نفسها في مقابلة أجراها معه صحافيّ إسرائيليّ عام ١٩٦٦، بعد أن أُحيل إلى التقاعد من العمل لدى الحكومة، بقوله: "من المهمّ جدًّا أن نفهم أنّ العمل على تطوير الطاقة الذريّة لأغراض سلميّة سيؤدّي لا محالة إلى بلوغ الخيار النوويّ، إذ لا توجد ذرّيّتان". كانت هذه المقابلة التي أُجريت معه قبل

وفاته بتسعة أعوام كانت المقابلة الأكثر صراحة التي يناقش فيها مسألة القنبلة بشكل علنيّ. وقال مارك: "كان قلق برغمان في محلّه. لم يكُن من الواجب الإسهاب في الحديث عن هذا الموضوع، فهو مشروع سرّيّ للغاية تمامًا كمشروع مانهاتن".

إلاّ أنّ برغمان صادف مناسبة لم يتمكّن فيها من مقاومة الإفصاح عمّا يعرفه. كان "أبراهام فينبيرغ" رجل أعمال ثريًّا من نيو يورك ومن أشدّ المدافعين عن إنشاء إسرائيل، وأحد أهمّ حلفاء بن غوريون وأكثرهم موضعًا للثقة في الولايات المتّحدة. في عام ١٩٤٧ كان فينبيرغ يلعب دورًا كبيرًا وراء الكواليس في جمع الأموال والضغط على البيت الأبيض لحساب إسرائيل والحزب الديمقراطيّ. وسوف يقوم بأدوار على أعلى المستويات بين واشنطن وتلّ أبيب في العقدين التاليين. كان برغمان في نيو يورك في ذلك الخريف، واشترك، كما جرت العادة، مع أبراهام فينبيرغ وعائلته في الصلاة في الكنيس مساء الجمعة. ثمّ عاد الجميع بعد انتهاء الخدمة إلى منزل فينبيرغ الذي تذكّر قائلا: "كان برغمان دائم الجوع وكان يحبّ البيض المخفوق الذي تعدّه زوجتي". وأضاف فينبيرغ: "في إحدى الأمسيات ونحن جالسون إلى مائدة العشاء، لمعت عينا برغمان وقال: في الصحراء يورانيوم". ما من شكّ في أنّ الرسالة واضحة: أصبحت الطريق مفتوحة الآن أمام إسرائيل لتطوير القنبلة الذريّة. صُعق فينبيرغ لهذا الحديث المتهوّر فأسكته على الفور.

لا يزال الدور الذي لعبه برغمان في تطوير الترسانة النوويّة الإسرائيليّة سرًّا من أسرار الدولة حتّى اليوم. وفي السنوات التي تلت وفاته، وبعد أن ترسّخت أسس الترسانة النوويّة الإسرائيليّة، لم يعد أحد يشعر أنّ برغمان كان موجودًا. فقد محت الرقابة الصارمة التي فرضتها أجهزة الأمن الإسرائيليّة كلّ أثر له. وفي كتاب وضعه شيمون بيريز، نُشر في الولايات المتّحدة عام ١٩٧٩، أشاد ببرغمان الذي عمل معه

طوال ١٣ عامًا، واعتبره أحد مؤسّسي دولة إسرائيل السبعة. لم يأتِ بيريز بالطبع على ذكر الأسلحة النوويّة، إلاّ أنّه كتب أنّ حاييم وايزمان كان يعتبر برغمان "مرشحًا مستقبليًا لرئاسة إسرائيل". لكن مع ذلك، لم يُذكر حتّى اسم برغمان في سيرة لبيريز نُشرت عام ١٩٨٢، كتبها "ماتي غولان"، وهو مسؤول حكوميّ استطاع الوصول إلى أوراق بيريز، كما لم يُذكر اسمه في الطبعة الانكليزيّة لسيرة بن غوريون التي أصدرها "مايكل بار زوهار"[١].

***

في تلك السنوات، وبعد مرور سبعة شهور فقط على الاستقلال سنة ١٩٤٨، استدعى رئيس الوزراء بن غوريون خبيرًا من فرنسا يدعى "موريس سوردان" ووصفه بن غوريون في يوميّاته في ٢٠ كانون الأوّل ديسمبر ١٩٤٨ بأنّه باني الفرن النوويّ الفرنسيّ. وكان سوردان يهوديًا ولد في القرم الروسيّة سنة ١٩١٣، انتقل إلى فلسطين تحت إسم "موشي سوردان" لكنّه استقرّ في وقت لاحق في فرنسا، حيث درس الفيزياء، وعمل بعد الحرب العالميّة الثانية مع لجنة الطاقة النوويّة في باريس والتي كانت تقوم بإنتاج القنبلة النوويّة الفرنسيّة. ويعيد سوردان للأذهان أنّ بن غوريون كان مهتمًا جدًا بموضوع الذرّة، وأنّه اهتمّ للغاية بالتفاصيل. بيد أنّ اجتماع بن غوريون ـ سوردان لم يسفر عن شيء، ولم يمنع هذا بن غوريون ومستشاريه الشبّان من عدم التخلّي عن الفكرة، فقد شعروا أنّ امتلاك طاقة نوويّة سيعوّض حجم إسرائيل الصغير ومواردها البشريّة الضئيلة. وبالنسبة لقنبلة نوويّة إسرائيليّة فإنّ الجنرال ديان كان متحمّسًا بالطبع. فقد رأى في الترسانة النوويّة رادعًا ضدّ هجوم عربيّ شامل، دون

---

١ ـ هيرش سيمور م.، خيّار شمشوم، ص٢٤ ـ ٢٥، ٢٨ ـ ٣١، ٤٥.

الحاجة إلى تمركز دبّابة في كلّ ساحة إسرائيليّة. فقد اقتنع رئيس الأركان بأنّ الاحتفاظ بجيش دائم ضخم، سيؤدّي إلى إفلاس الدولة. ومن أقوال ديان: "نحن نحتاج إلى أن يكون لدينا جيش صغير كفؤ، ورخيص، ومحترف، للأمن المستمرّ وللاشتباكات المحدودة، مع أسلحة نوويّة للمواجهة العامّة. وإلاّ فسوف نواجه الركود الاقتصاديّ"[١].

شكّل مجلس وزراء إسرائيل لجنة الطاقة النوويّة الاسرائيليّة في عام ١٩٥٢، وكان رئيسها "إرنست ديفيد بيرغمان"، وهو كيميائيّ لامع، ولد في ألمانيا عام ١٩٠٣، ثمّ انتقل إلى فلسطين في أوائل ثلاثينات القرن العشرين، وأسّس الفيلق العلميّ لجيش إسرائيل. وبينما كان يجري أبحاثًا عن السرطان وأمور أخرى، كان بيرغمان مدير القسم العلميّ لوزارة الدفاع ومؤيدًا بارزًا للخيار النوويّ.

كان بن غوريون يتحيّن الفرص لتحقيق الخطوة الأولى على طريق تحقيق الحلم النوويّ. وسنحت له الفرصة سنة ١٩٥٥ عندما وفّر له برنامج "الذرّة من أجل السلام" الذي تبنّاه الرئيس الأميركي "دوايت أيزنهاور" مفاعلاً نوويًّا صغيرًا للأبحاث في إسرائيل طاقته خمسة ميغاوات، وأقيم في "ناحال سوريك" على مسافة عشرة أميال جنوبي تلّ أبيب. وكانت المنشأة عرضة لعمليّات تفتيش أميركيّة، وعلى أيّ حال، فقد كانت صغيرة جدًّا إلى درجة لا يمكنها معها إنتاج أيّ شيء للاستخدام العسكريّ. وفي نفس ذلك العام، اقتنص شيمون بيريز فرصة للحصول على شيء أكبر يمكن أن يأتي من فرنسا، حيث تولّت حكومة غي موليه الاشتراكيّة مقاليد السلطة في نيسان - إبريل ١٩٥٥. وقد اتّخذ موليه خطًّا متشدّدًا تجاه الجزائر. وهكذا كان لديه الكثير ممّا يتّفق مع وجهات نظر إسرائيل المعادية للناصريّة. وقد أسهم في ذلك أيضًا حقيقة أنّ

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٧٤.

إسرائيل لديها إدارة اشتراكيّة. وكلّما ذهب بيريز إلى فرنسا، وقد كان ذلك معتادًا، فإنّه كان يثير إمكانيّة شراء مفاعل نوويّ. وكان يتصرّف كدبلوماسيّ، وكضابط في المخابرات، ومشتري أسلحة.

غير أنّ وزيرة الخارجيّة "غولدا مائير" كانت تشكو من أنّ بيريز يحوّل وزارة الدفاع إلى وزارة خارجيّة مستقلّة، إنّما السبب الحقيقيّ لشكواها كان أنّها والحرس القديم لحزب الماباي الحاكم لا يريدون أن تصبح إسرائيل دولة نوويّة. غير أنّ بيريز كان يتمتّع بمساندة قويّة من بن غوريون، ولهذا كان قادرًا على التصميم والمثابرة في جهوده. ومن نيسان ـ إبريل ١٩٥٦ حتّى حملة سيناء في تشرين الأوّل ـ أوكتوبر من العام نفسه، أصبحت مطالبة بيريز فرنسا بمفاعل نوويّ جزءًا متمّمًا للتواطؤ السريّ بين الدولتين. وجاءت نقطة التحوّل في ٢١ أيلول ـ سبتمبر ١٩٥٦ في فيلاّ ريفيّة على مسافة ما يقرب من مائة ميل جنوبي باريس، تقع بين مزارع فرنسيّة، حيث اجتمع بيريز مع "بروغ مونوريه" وزير الدفاع الفرنسي الذي كان مشغولاً بالتخطيط للهجوم على مصر. وكان الفرنسيّون مخدوعين بفكرة أنّ إسرائيل ستشارك بفعاليّة، ويأملون في أنّ القوّات الإسرائيليّة ستقوم بالمهمّة الشاقّة لحسابهم وتكتسح الجيش المصريّ بعيدًا عن السويس. وفي ذلك اليوم سعى مونوريه لضمان المشاركة الاسرائيليّة عن طريق الاستسلام في النهاية لمطالب بيريز المتكرّرة في المجال النوويّ. وباسم الحكومة الفرنسيّة، عرض وزير الدفاع الفرنسيّ على الاسرائيليّين "قطعة حلوى"، في صورة مفاعل نوويّ. وللمرّة الأولى في التاريخ الإنسانيّ، وافقت دولة على تقديم الخبرة الفنيّة النوويّة إلى دولة أخرى بدون الحاجة إلى ضمانات أو شرط القيام بعمليّات تفتيش. والآن فقط، فهم بن ناثان لماذا تمّ استدعاؤه من أفريقيا وأعيد تعيينه في وزارة الدفاع كممثّل أوروبيّ: لم يتمّ إرساله إلى باريس للمساعدة في الاستعدادات

لغزو السويس، إنّما للاسهام في امتلاك مفاعل نووي إسرائيليّ ثان. ولتعزيز حجج بيريز حاول بن ناثان التأثير على وزارات فرنسيّة متعدّدة للحصول على مفاعل كبير، وليس مجرّد منشأة صغيرة مثلما قد يكون في ذهن الفرنسيّين.

وبعد مخاض عسير، وفي الثالث من تشرين الأول - أوكتوبر ١٩٥٧، وقّع بورغ مونوريه مع وزير الخارجيّة الفرنسيّ "بينو" وثيقتين بالغتي السريّة مع شيمون بيريز وبن ناثان، تنصّان على حلف سياسيّ يحدّد إطار التعاون بين الدولتين، وعلى اتّفاق فنّيّ لتوريد مفاعل نوويّ كبير طاقته ٢٤ ميغاوات إلى جانب الفنيّين والخبراء اللازمين، وأبرق بيريز بهذه الأنباء إلى بن غوريون في رسالة شيفريّة من السفارة الإسرائيليّة في باريس. وردّ رئيس الوزراء ببرقيّة إلى بيريز يقول فيها: "تهانيّ على إنجازك الهام"[1].

يروي الباحثان المحقّقان " دان رافيف" و"يوسي ميلمان" في كتابهما المترجم إلى العربيّة بعنوان "أمراء الموساد"، بقيّة تفاصيل المشروع النوويّ الإسرائيليّ على الشكل التالي:

بعد الحصول على المفاعل النوويّ الكبير الحجم، كان هناك قلق متنام بين العلماء الإسرائيليّين وبعض كبار الساسة من أنّ سباق تسلّح نوويًّا خطيرًا يمكن أن يتبع ذلك. وعندما ناقش مجلس الوزراء حكومة بن غوريون المسألة، فإنّه فعل ذلك بممانعة كبيرة ومن دون أيّ حماس تقريبًا من جانب الوزراء الذين أحسّوا أنّ المشروع سيكون باهظًا للغاية، وينطوي على مخاطر من الناحية الدبلوماسيّة. واستقال سبعة من الأعضاء الثمانية في لجنة الطاقة النوويّة الاسرائيليّة احتجاجًا في نهاية عام ١٩٥٧،

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٧٧.

وادّعوا أنّ هناك تأكيدًا مبالغًا فيه على الجانب العسكريّ في الإمكانيّة النوويّة الناشئة في إسرائيل، وقاموا بتشكيل "لجنة عدم إضفاء الصفة النوويّة على صراع الشرق الأوسط". وجرت مناقشات ساخنة خلف الأبواب المغلقة، لكن الموضوع غلّفته السريّة إلى درجة أنّ المجادلات لم تنفجر أبدًا في العلن. ولم يبدُ أنّ استقالة الأعضاء السبعة من لجنة الطاقة النوويّة الاسرائيليّة قد أزعج بن غوريون وبيريز، فقد كان ما زال لديهما البروفيسور بيرغمان كعضو وحيد في اللجنة، فجعلاه مسؤولاً عن مشروع المفاعل. وعلى أيّ حال، فقد كانا مسرورين لأنّ عددًا أقلّ من الناس هم الذين ستكون لهم الآن ميزة معرفة ما تفعله إسرائيل، وقد اعتُبر ذلك سرّ أسرار الدولة اليهوديّة. وتعرّض البرنامج النوويّ لإجراءات أمن أكثر من أيّ شيء آخر في تاريخ دولة تنتشر فيها السريّة بالفعل. ولعلمه "أنّ المعرفة هي السلطة"، أصرّ بيريز على إبعاد البرنامج النوويّ عن أيدي الآخرين. فقد كان هذا مشروعه الخاص. لذلك لم يطلب من مؤسّسة المخابرات القائمة، كما كان متوقّعًا، أن تهتمّ بالأمن والجوانب السريّة للمفاعل. وبدلاً من ذلك، اعتقد أنّ إسرائيل القوّة النوويّة تحتاج إلى وكالة مخابرات نوويّة خاصّة. فحتّى ذلك التاريخ، كانت مسؤوليّة الحصول على المعلومات الفنيّة والعلميّة من الخارج من اختصاص وكالة المخابرات العسكريّة والموساد. غير أنّ بيريز قد أنشأ وكالة سريّة جديدة للموضوعات النوويّة في عام ١٩٥٧، وجعل المسؤول عنها "بنيامين بلومبيرغ"، الذي كان ضابطًا متمرّسًا، بعد أن غادر الكيبوتز في شمالي إسرائيل ليخدم في الهاغاناه، ثمّ انضمّ إلى جهاز شين بيت الذي كلّفه بأن يكون كبير ضبّاط الأمن في وزارة الدفاع. واقترح "عاموس مانور" مدير شين بيت بعد عام ١٩٥٣ أن يحصل بلومبيرغ على مرتّبه من وزارة الدفاع، غير أنّ بلومبيرغ فضّل أن يبقى على جدول شين بيت. ومن الواضح أنّه رغب في أن يشعر بسحر الانتماء إلى

البوليس السرّي بـدلاً مـن العاديّـة النسـبيّة لوظيفـة فـي وزارة. وعلـى أيّ حـال، كـانت واجبات بلومبيرغ الحفاظ على الأمن داخل وزارة الدفـاع، وفـي المصـانع العاملـة فـي مشروعات العتـاد الحربـيّ. وكـان المفـاعل الكبـير الجديـد هـو كذلـك بـالضبط: منشـأة دفاعيّة. وقد بدا بلومبيرغ الرجـل المناسـب لضمـان أنّـه سـيظلّ سرًّا، ولمراقبـة مـدى جدارة العاملين فيه بالثقة والاعتماد. وبالنسبة لمراقبة الثرثارين، فإنّ بلومبيرغ لم يكـن يحتاج أبدًا لمحاضرات أو لإرشادات حول كيفيّة الالتزام بالصمت، فقد كـان هـو نفسـه "الكاهن الأعلى للسريّة". وعندما بدأ وظيفته الجديدة، بدعوة من بيريز، انتقل إلى مكتب متواضع في وزارة الدفاع. ولإخفاء عمله، أطلق على وحدته الجديدة اسم "مكتب المهامّ الخاصّة". وبعد بضعة أعوام غيّر الإسم إلى "مكتب الاتّصال العلميّ SLB"، وقد أطلـق المطّلعون القليلون الذين يعرفون الوكالة عليها إسم "لاكام Lakam"، وهي كلمـة مركّبـة من الأحرف الأولى للكلمات التي تكوّن اسمها باللغة العبريّة. وقد نُقلت لاكام بعـد ذلـك من مبنى وزارة الدفاع إلى موقع سرّي في قلب تلّ أبيب، وهو مبنى مكاتب في شـارع "كارلباخ".

بدعم تام من جانب بـيريز، سعى بلومبـيرغ إلـى إخفـاء وجـود الوكالـة حتّـى عـن الفروع الأخرى لمؤسّسة الاستخبارات. حتّى عن إيسر هاريل الذي يتذكّـر ذلـك قـائلاً بغضب:

> لقد أنشئت لاكام مـن وراء ظهري وبـدون علمـي... كـانت لـديّ شـكوك، وكنـت أعلـم أنّ شـخصًا مـا يـدور حـول وزارة الدفـاع متعـاملاً فـي موضوعات عديدة، وأنّـه عندمـا كـان يـرى أحـدًا مـن الموسـاد يعمـد إلـى العبور إلى الناحية الأخرى من الشارع... لقد كانت لاكام جهـازًا غامضًـا يشكّل بأسلوب تآمريّ... وقد بلغ الخداع إلى حدّ أنّه حتّى بن غوريـون لـم يكن يعلم عن إنشاء الوحدة التجريبيّة التي نمت منها لاكام.

لقد شعر بيريز أنّه لا يحتاج إلى إذن من هاريل لإنشاء الوكالة الخاصّة للأمن النوويّ، حتّى ولو كان هاريل رئيس الأجهزة الأمنيّة الموثوق فيه من جانب بن غوريون. وأهمّ من كلّ هذا، فإنّ المفاعل الجديد المستورد من فرنسا كان أكثر سريّة من أيّ موضوعات سابقة بالغة السريّة. ومهما كان الأمر، فمن الصعب الاعتقاد بأنّ رئيس الوزراء لم يكن يعلم شيئًا عن لاكام، لأنّ بن غوريون كان القوّة المرشدة خلف المشروع النوويّ، وقد اهتمّ اهتمامًا شخصيًّا بالصناعات الأخرى بالمشاريع المتعلّقة بالدفاع في إسرائيل. وقد استخدمت لاكام في نهاية المطاف لمساعدة هذه الصناعات أيضًا.

لم ينزعج بلومبيرغ من حسد الآخرين أو شكواهم، وكان همّه الوحيد أن ينأى بمشروع المفاعل عن أيّ عمليّات لتسريب المعلومات. ولم تكن تلك المهمّة سهلة مع وجود مئات الفنيّين ومستشاري الانشاءات الفرنسيّين العاملين في إسرائيل لبناء المنشأة الجديدة. وقد كان الموقع المختار لها في صحراء النقب، وسط التيه، في منتصف الطريق بين البحر الميت وبير سبع، عاصمة النقب، التي أشارت إليها التوراة بوصفها واحة استمتع بالعيش فيها النبيّ إبراهيم.

تحدّثت عقود العمل الفرنسيّة عن مناخ دافئ وظروف صحراويّة، الأمر الذي لم يفد إلاّ قليلاً في إخفاء موقع المشروع النوويّ. ولم يكن بلومبيرغ وحده الذي أصبح قلقًا بشأن الأمن في النقب، بل أيضًا المخابرات الفرنسيّة. فلم يثق الفرنسيّون ثقة كاملة في الاسرائيليّين المعروفين بطبيعتهم لحبّ الثرثرة، فبعثوا بعملائهم الخاصّين إلى إسرائيل للحفاظ على السريّة ولاصطياد أيّ تسرّب محتمل للمعلومات. وقد تظاهر جاسوس من باريس بأنّه قسّ، واختبر عمدة بير سبع بسؤاله عن التطوّر الجاري في النقب، وأبلغ العمدة القسّ الزائر، وهو فخور بالازدهار الجاري في صحرائه بأكثر من

طريقة، عن المفاعل النوويّ الفرنسيّ الذي يجري بناؤه على مقربة من بير سبع. وبعث القسّ الجاسوس ببرقيّة خطيرة جدًا إلى مقرّ قيادته. ولإخفاء ثلاثة أعوام من الانشاءات الكبيرة بالقرب من "ديمونة"، وهي بلدة للمهاجرين، استخدمت إسرائيل رواية للتغطية اقترحها بلومبيرغ ومفادها أنّ مصنعًا للنسيج يجري بناؤه هناك.

وبينما حمى رئيس لاكام السرّ على الأرض، فإنّ عاصفة متجمّعة نشأت عن طريق الجو. ففي خلال مهمّة استطلاعيّة على ارتفاع عال في عام ١٩٦٠، صوّرت طائرة أميركيّة نفّاثة من طراز U-2 المنشأة. ولم يجد محلّلو المخابرات الأميركيّة أيّ صعوبة في التعرّف على غرضها الحقيقيّ. ومنذ تلك اللحظة، تتسّم جواسيس أميركيّون الاخبار حول ديمونة. وأصبح زعماء الولايات المتّحدة السياسيّون قلقين. واستنادًا لى معلومات سريّة من مصادر في واشنطن، ذكرت الصحافة الأميركيّة والبريطانيّة أنّ إسرائيل تنتج قنبلة نوويّة. وطالبت الحكومة الأميركيّة الاسرائيليّين بالحقيقة كاملة.

كان أمام "جون هادين" رئيس مركز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA في تلّ أبيب طبقًا ممتلئًا، فقد تحدّدت مهمّته في الحفاظ على علاقة اتّصال مفيدة للجانبين مع المخابرات الإسرائيليّة، وفي الوقت نفسه مراقبة الأحداث الكثيرة التي تبذل السلطات الإسرائيليّة أقصى ما في وسعها لإخفائها. وبالطبع، فإنّ هادين كان نشطًا بصفة خاصّة في محاولة متابعة أكثر المشروعات سريّة في إسرائيل. فقد وعى هادين أنّ الإسرائيليّين لم يكونوا يقولون الحقيقة حتّى له، في ما يتعلّق بالمسألة النوويّة، وهو صديقهم المحلّي الرسمي. وهو مثل أيّ محترف في مجاله لم يتوقّع منهم الوضوح. فوكالات المخابرات، مثل الدول، ليس لها أصدقاء وإنّما مصالح محدّدة. ولم تجتمع أبدًا كلمتا "الحقيقة" و"النشاط النوويّ" في إسرائيل.

في العام ١٩٦٠، أبلغ بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيليّ الرئيس الأميركيّ جون ف. كنيدي في البيت الأبيض أنّ الدولة اليهوديّة تعكف على استخدام الطاقة النوويّة وليس على إنتاج قنبلة نوويّة، لكنّ واشنطن لم تبتلع هذه الرواية. وفي نيسان ـ إبريل ١٩٦٣، استدعى الرئيس كندي شيمون بيريز إلى المكتب البيضاوي في البيت الأبيض، وضغط عليه للحصول على معلومات. قال له كندي:

"أنت تعلم أنّنا نتابع باهتمام كبير أيّ تطوّر للإمكانيّة النوويّة في المنطقة، وأنّ مثل هذا التطوّر يخلق موقفاً بالغ الخطورة، ولهذا السبب فقد كنّا نتابع عن كثب جهدكم في المجال النوويّ، فماذا يمكنك أن تقوله لي في هذا الشأن؟"

وردّ بيريز بالعبارة التي ستتكرّر على نحو موصول بالنسبة للموقف السياسيّ لإسرائيل على مدى عقود، قال:

"نحن لن نكون البادئين بإدخال الأسلحة النوويّة إلى المنطقة. لن نكون أوّل من يفعل ذلك".

لكنّ رئيس مركز وكالة الـ CIA في تلّ أبيب سمع نغمة جديدة عندما أخفى "ليفي أشكول" رئيس الوزراء، معارضته بالكاد، كوزير ماليّة سابق، لإنفاق أموال على إنتاج أسلحة نوويّة. وخلال زيارته إلى واشنطن توصّل أشكول إلى اتّفاق ضمنيّ مع إدارة الرئيس جونسون مفاده أن تتلقّى إسرائيل مساعدات عسكريّة تقليديّة متزايدة في مقابل أن تبطئ من برنامجها النوويّ. وبالفعل، تلقّى الإسرائيليّون للمرّة الأولى طائرات حربيّة متطوّرة من طرازي "فانتوم" و"سكاي هوك"، وحلّ الأميركيّون تمامًا محلّ الفرنسيّين في ما يتعلّق بتوريد الأسلحة إلى إسرائيل.

واصل هادين مساعيه لاكتشاف الخداع من جانب الاسرائيليّين. وكان أكثر تقاريره إزعاجًا إلى مقرّ قيادة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في لانغلي تتعلّق بموقف

موشي دايان تجاه قنبلة إسرائيل في "البدروم". وفي تقييم المخابرات الأميركيّة أنّ دايان اتّخذ مسلكًا يتّسم برباطة الجأش وعدم الاكتراث تجاه المشروع السرّي مشيرًا إليه على أنّه "مجرّد سلاح آخر".

بدأت الأضواء الحمراء تبرق عندما تردّد أنّ خبراء الاستراتيجيّة الاسرائيليّين يشيرون إلى أنّ القنبلة النوويّة على أنّها يمكن أن تكون السلاح الذي ينهي جميع الحروب في الشرق الأوسط.

وعندما انتقل جون هادين إلى صحراء النقب، مثلما فعل هو وغيره من عملاء وكالة المخابرات المركزيّة في سعيهم لمراقبة ديمونة بعناية، تبعه جهاز شين بيت... كظلّه. وفي إحدى المرّات، عندما كان الأميركيّ، الذي يعدّ رسميًّا دبلوماسيًّا في السفارة، يسير في سيّارته على طريق بالقرب من المنشأة النوويّة، هبطت طائرة مروحيّة عسكريّة بالقرب من سيّارته وطلب رجال الأمن الاطّلاع على هويّته، وبعد أن أطلعهم على جوازه الدبلوماسيّ الأميركيّ اضطرّ للابتعاد بسيّارته وهو ما زال مقتنعًا بأنّ ما يجري في مفاعل ديمونة أكبر بكثير ممّا تعترف به إسرائيل. واكتشفت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة علامات على وجود استراتيجيّة نوويّة إسرائيليّة تدعو إلى إنتاج أسلحة من مختلف الأنواع وجميع الأحجام، ليتوفّر لها أقصى حدّ من المرونة عند استخدامها في نهاية الأمر. ويمكن أن تتراوح هذه الأسلحة بين القنابل النوويّة التي يمكن إسقاطها من الطائرات إلى القنابل الهيدروجينيّة التي يمكن أن تصبح رؤوسًا حربيّة للصواريخ. وكان من المعتقد أنّ العلماء يبحثون كلّ شيء تقريبًا، واستنتجت وكالة CIA أنّ إسرائيل تريد امتلاك أنظمة عديدة لنقل الأسلحة النوويّة، وبصفة خاصّة أنظمة يمكن حمايتها. ويبدو أنّ مفاعل ديمونة يتمتّع بحماية مشدّدة، وتحيط به بطّاريّات الصواريخ المضادّة للطائرات التي تختفي في التلال الصحراويّة

المحيطة به. وقد قامت هذه البطّاريّات بإسقاط طائرة حربيّة إسرائيليّة ضلّت طريقها، وحلّقت بالقرب من المفاعل بطريق الخطأ، وهي في طريق عودتها من مهمّة قتاليّة ضدّ الأردن خلال حرب حزيران - يونيو ١٩٦٧.

يقول باحثون غربيّون أنّ الإسرائيليّين قد اكتشفوا أنّه سواء احتفظت إسرائيل بترسانتها النوويّة السريّة في ديمونة أو نشرتها مع سلاح الطيران الاسرائيليّ، فإنّ ذلك لن يوفّر لها الأمان الذي ينبغي لها. وقد صاغت إسرائيل، رغم صغرها، استراتيجيّتها النوويّة بما يواكب نفس المفاهيم التي تبنّتها القوى العظمى، وهي: منع الحرب كهدف رئيسيّ، وأيضًا تصميم قدرة على توجيه ضربة ثانية ناجحة في حالة قيام العدوّ بالهجوم أوّلاً.

اكتشفت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة رغبة إسرائيليّة قويّة في نشر جزء على الأقلّ من ترسانتها النوويّة في عرض البحر. واستنادًا إلى المعلومات التي تمّ جمعها من داخل إسرائيل وفي أماكن أخرى، استنتج محلّلو وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أنّ الإسرائيليّين يقومون بإنتاج قوّة ضاربة نوويّة أساسها الغوّاصات. وعلى الرغم من أنّ ذلك طموح بالغ بالنسبة لدولة صغيرة، إلاّ أنّه بلغة استراتيجيّة كان أمرًا طبيعيًّا، فمن المعروف أنّ الغوّاصات هي أكثر منصّات الصواريخ أمنًا، حيث يكون من الصعب تمامًا على العدوّ العربيّ تحديد مواقعها، وتكون منشآت تخزين آمنة نسبيًّا للترسانة السريّة. فبينما قد تتعرّض ديمونة أو قواعد سلاح الطيران للقصف أو الضرب بالصواريخ، أو حتّى للاجتياح من جانب العرب، فإنّ الغوّاصات ستكون بعيدة في البحر، ومستعدّة للردّ. واعتقدت وكالة المخابرات المركزيّة أنّ إسرائيل عمدت في نهاية المطاف إلى تطوير هذه القدرة على نصب أسلحة نوويّة صغيرة لكن قويّة على متن الغوّاصات الثلاث البريطانيّة الصنع التي يملكها سلاح البحريّة. وكانت هذه

الغوّاصات تقوم بصفة عامّة بدوريّات في البحر الأبيض المتوسّط. وربّما اعتبر ذلك من الناحية الفنيّة طريقًا لتجنّب انتهاك السياسة الرسميّة المعلنة ومفادها أنّ إسرائيل لن تكون أوّل من يدخل الأسلحة النوويّة إلى الشرق الأوسط...

وعلى أيّ حال، فإنّ مثل هذه الوعود تتعلّق بالسياسيّين، وليس بوكالات المخابرات ولا بالعلماء النوويّين، فهم يثابرون في عملهم في صمت[1].

نعود إلى المراحل الأولى للمشروع النوويّ الإسرائيليّ لنشير أنّه في الوقت الذي كان الرئيس كندي يضغط على شيمون بيريز لاستكشاف نوايا إسرائيل النوويّة، جاءت في الوقت نفسه ضغوط من الرئيس الفرنسيّ الجنرال "ديغول" الذي كان قد أصبح رئيسًا للجمهوريّة الفرنسيّة، فكان الموقف الفرنسيّ تجاه الشرق الأوسط قد بدأ يتغيّر منذ تولّى ديغول مقاليد السلطة. وهدف ديغول إلى التصالح مع العرب حتّى أنّه عرض الاستقلال على الجزائر، وهي تغييرات في السياسة تمّت على حساب إسرائيل. وبالإضافة إلى ذلك، شكّ ديغول في أنّ مفاعل ديمونة موجّه للاستخدامات العسكريّة، وقد ضايق ذلك الرئيس الفرنسيّ إلى أقصى حد. فأمر وزير خارجيّته في أيّار ـ مايو ١٩٦٠ بإبلاغ السفير الاسرائيليّ لدى باريس بأنّ فرنسا لن تورد مزيدًا من اليورانيوم إلى ديمونة. ذلك أنّ الرئيس الفرنسيّ لم يكن يريد أن تنتج إسرائيل البلوتونيوم في مفاعلها، لأنّ ذلك يمثّل خطوة نحو تصنيع قنبلة نوويّة. إلاّ أنّ شيمون بيريز المحبّ لفرنسا استمرّ متفائلاً، وعلى مدى أسابيع عديدة رفض التصريح بأنّ "الجسر فوق البحر الأبيض المتوسّط" قد أصبح مزعزعًا جدًّا. وأخيرًا تمّ الاعتراف بالخطر الذي يواجهه أكثر مشروعات الدفاع الإسرائيليّ سريّة في إسرائيل، وطار بن غوريون إلى

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٢٦٩ ـ ٢٧٣.

باريس، دون مهلة كافية للاستعداد، ليقابل ديغول في ١٣ حزيران ـ يونيو ١٩٦٠. وفي قصر الإليزيه، سأله الرئيس الفرنسيّ بفظاظة: "لماذا تحتاج إسرائيل إلى مفاعل نوويّ على الإطلاق؟" ووعد بن غوريون بأنّه سيكون فقط للاستخدامات السلميّة، وأنّه لن يتمّ إضافة أيّ منشأة إلى ديمونة لاستخلاص البلوتونيوم الذي يصلح لصنع أسلحة نوويّة. وعاد بن غوريون إلى إسرائيل ليكشف أنّ الضغط من فرنسا، والولايات المتّحدة الأميركيّة، والصحافة الأجنبيّة، ما زال يتنامى. فأعدّ رئيس الوزراء الاسرائيليّ أوّل تأكيد علنيّ على أنّ إسرائيل قد لحقت بالعصر النوويّ. ومن على منصّة الكنيست في ٢١ أيلول ـ ديسمبر ١٩٦٠، أعلن أنّ إسرائيل تبني مفاعل أبحاث نوويًّا ثانويًّا، وأكّد لبرلمان إسرائيل أنّه للأغراض السلميّة فقط.

كان ذلك هو الإعلان الذي سعى ديغول للحصول عليه. وهكذا وافق الفرنسيّون على إرسال الاجزاء الأخيرة المطلوبة لاستكمال عمليّة إنشاء المفاعل في ديمونة.

فقد كان الإسرائيليّون مستعدّين لفعل حتّى ما لا يمكن أن تفعله أيّ مخابرات إلاّ نادرًا، من أجل الحفاظ على العلاقة الهشّة مع فرنسا، حتّى ولو كان هذا الفعل "حرق" مصدر سريّ. ففي ١٦ آذار ـ مارس ١٩٦١ علم الكولونيل "عوزي ناركيس" الملحق العسكري بسفارة إسرائيل لدى باريس بمؤامرة لقتل الرئيس ديغول. وكان "المصدر السريّ" لهذه المعلومة "كلود آرنود"، وهو ينتمي إلى طائفة "الجيزويت"، وكولونيل سابق في المقاومة الفرنسيّة ضدّ النازيّين. وبعد الحرب، أصبح ضابطًا في وكالة المخابرات الخارجيّة لفرنسا لكنّه استاء من سياسة ديغول في الجزائر. استقال آرنود من المخابرات، وانضمّ إلى طائفة كاثوليكيّة غامضة تقوم بخدمات التجسّس لصالح الفاتيكان. وبما أنّه معروف بأنّه "الرجل ذو الألف وجه"، تصادق آرنود مع الكولونيل "ناركيس" وبدأ يتبادل المعلومات مع الإسرائيليّين. ولم يتّضح أبدًا تمامًا للإسرائيليّين

دافع آرنود لإعطاء ناركيس معلومات سريّة حول مؤامرة تحاك ضدّ ديغول. فقد خان آرنود رفاقه أعضاء طائفته الكاثوليكيّة السريّة عندما ذكر أنّهم يحاولون تجنيد مسلّح عربيّ لقتل الرئيس الفرنسيّ. وكان آرنود وزملاؤه اليمينيّون يعارضون انسحاب القوّات الفرنسيّة من الجزائر، اكنّه من الواضح أنّه اعتبر الاغتيال مسألة محظور الخوض فيها. ومن المحتمل أنّه كان من الملائم بدرجة كافية بالنسبة له أن يتمّ الإمساك بالقاتل المزعوم، وهكذا يتمّ توجيه اللوم إلى الجزائريّين. وقد أحبطت المؤامرة في وقت جدّ مبكّر، ولم يتمكّن آرنود من حماية سريّته.

كان ناركيس سريعًا في نقل المعلومات بواسطة برقيّة مشفّرة عاجلة إلى وزارة الدفاع الاسرائيليّة في تلّ أبيب، وكانت مهمّة وكالة الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة أمان تحليل مثل هذه التقارير. وتناقش رؤساء المخابرات والساسة الاسرائيليّون حول ماذا ينبغي عمله. ويتذكّر إيسر هاريل أنّ شيمون بيريز والجنرال "زيفي تسور" رئيس أركان الجيش وافقا على توصية ناركيس بألاّ تحذّر إسرائيل ديغول لأنّه لا يوجد أيّ تأكيد على صحّة المعلومات. وفي تطوّر غريب بعث ناركيس ببرقيّة أخرى لاحقة لحثّ زملائه على عدم التصرّف مثل "يهوذا الاسخريوطي" الذي خان المسيح، وهي فكرة شاذّة في الفكر اليهوديّ... واضعًا في الاعتبار أنّ القاتل المزعوم سيكون من الصعب عليه أن يصبح صديقًا لإسرائيل. وكان هاريل قد ضاق ذرعًا منذ زمن بعيد جرّاء سيطرة وكالة المخابرات العسكريّة أمان على العلاقة برمّتها مع فرنسا، وكان ذلك أحد الأسباب التي جعلته يتّخذ موقفًا معارضًا للجيش. فأصرّ هاريل على أنّه يتعيّن إخطار الفرنسيّين بالمؤامرة. وحسم بن غوريون المسألة لصالحه، وتمّ إبلاغ ديغول بخطّة اغتياله، وإن كان ذلك قد أرجئ لمدّة أسبوعين، لكنّ ديغول عندما علم طالب بمعرفة مصدر المعلومات. ومن أجل الحفاظ على العلاقات الطيّبة، وافقت إسرائيل

على أن تقول كلّ شيء. وألقى الفرنسيّون القبض على الكولونيل آرنود واستجوبوه، لكنّهم عجزوا عن إثبات أيّ تهمة ضدّه، وهكذا تمّ إطلاق سراحه. وقد غضب آرنود من الإسرائيليّين وفقدت أمان بائعًا ثمينًا للمعلومات السريّة، فالعلاقة السريّة بين الحكومتين الفرنسيّة والاسرائيليّة كانت أكثر أهميّة بكثير.

مع تعهّد الفرنسيّين بشكل محدود بتوريد الموادّ المتبقّية اللازمة لاستكمال مفاعل ديمونة، فإنّ الأمر كان كما هو معتاد بالنسبة لإسرائيل على الجبهة النوويّة، مجرّد علاقة عمل. أو لأنّها ستصبح علاقة أكثر سريّة كما هو معتاد.

يمكن لمفاعل الماء الثقيل في ديمونة، وطاقته ٢٤ ميغاوات، أن ينتج كميّة من البلوتونيوم على الأقلّ لصنع قنبلة نوويّة واحدة سنويًّا بحجم قنبلة هيروشيما. وتبلغ قوّة هذه القنبلة ٢٠ كيلوطنّ. لكنّ السؤال الحاسم تحدّد في عمّا إذا كان الفرنسيّون سيساعدون إسرائيل أيضًا في الحصول على مصنع لإعادة التخصيب قادر على استخراج البلوتونيوم من قضبان الوقود المستخدم في المفاعل أم لا. وقد أشار "فرنسوا بيران" إبن عالم حاصل على جائزة نوبل ورئيس لجنة الطاقة النوويّة الفرنسيّة من ١٩٥١ إلى ١٩٧٠ إلى أنّ إعادة التخصيب كانت جزءًا غير مباشر من الاتّفاق الأصليّ عام ١٩٥٧. ورفضت لجنته، في ظلّ السياسة الجديدة لديغول، تزويد إسرائيل بمصنع لإعادة التخصيب. لكنّها لم تعرقل محاولات إسرائيل للحصول على مصنع من أيّ مكان آخر. وسمحت لجنة "بيران" أيضًا لشركة اسمها "سان جوان" تورّد تلك المصانع إلى المفاعلات العسكريّة في فرنسا، ببيع تكنولوجيّتها وخططها لمشروع ديمونة. وقد قصدت رئاسة ديغول، بصفة عامّة، أن تواجه إسرائيل مهمّة أكثر صعوبة في الحصول على ما تحتاجه التقنية النوويّة. وقد قبلت لاكام التي يرأسها بلومبيرغ التحدّي بتوسيع نطاق نشاطاتها. فلم تعد مهمّة لاكام أمن المشروع النووي فقط، بل

أصبحت لاكام مشتركة في تحديد الأجزاء والمواد اللازمة وشرائها لحساب ديمونة. وقد زادت السريّة التي تغلّف هذه الصفقات والمعاملات من التعاون بين لاكام والوكالات السريّة الأخرى في إسرائيل.

أدخل بلومبيرغ "مهمّات العمل الخاصّة" بوكالته السريّة المحترفة. وعلى الرغم من أنّه لم يكن عضوًا في لجنة فاراش التي تضمّ رؤساء أجهزة المخابرات الإسرائيليّة، إلاّ أنّ وكالته لاكام كانت بالطبع جزءًا من مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة. وكان الغطاء الذي اختارته لاكام واقعيًّا وليس خيالاً علميًّا، حيث تمّ إرسال العاملين في الوكالة بوصفهم ملحقين علميّين في السفارات الإسرائيليّة الكبيرة في أوروبّا والولايات المتّحدة، يقدّمون تقاريرهم مباشرة إلى مقرّه الرئيسيّ في تلّ أبيب، وليس من خلال وزارة الخارجيّة كما هو معتاد بالنسبة للدبلوماسيّين. وطلب من المستشارين العلميّين شراء كلّ مطبوعة متاحة في هذا المجال، وإقامة علاقات اجتماعيّة ومهنيّة مع العلماء في الدول التي يعملون فيها. وطلب من العلماء الاسرائيليّين الذين يسافرون إلى الخارج في إجازات أو مشروعات بحثيّة، أن يقدّموا خدمات لوكالة لاكام على الرغم من أنّهم لم يعرفوا عادة الجهة الطالبة بالتحديد. غير أنّهم من أجل حكومتهم كانوا يفتحون عيونهم على أحدث التطوّرات في مجالاتهم، ويحصلون على الكتيّبات والخطط والمطبوعات التي تعنى بالأبحاث المطلوبة. ولم تكن هناك حاجة لممارسة الضغط على العلماء من أجل إقناعهم، فمؤسّساتهم تتبع الحكومة الإسرائيليّة، والجامعات مرتبطة على نحو وثيق بمؤسّسة الدفاع أو تتمتّع بتمويل حكوميّ. وفي حالات قليلة طلب من إسرائيليّين يقومون بأبحاث في الخارج أن يسرقوا موادّ علميّة. وقد حدث هذا في الغالب بأسلوب يتّسم بالهواية، الأمر الذي كان يعرّض كلاً من العلماء وأولئك الذين يعملون كـ"ضبّاط حالة" للخطر. و"ضبّاط الحالة" هم بصفة عامّة الملحقون

العلميّون الذين يتمتّعون بحصانة دبلوماسيّة تحول دون مقاضاتهم. ويروي عالم إسرائيليّ كبير، كان يدرس في معهد أوروبيّ غربي له مكانته، إنّه قام سرًّا بتصوير وثائق عديدة، وبأرسالها إلى إسرائيل مرّة كلّ أسبوع، وكان الملحق العلميّ في السفارة الاسرائيليّة يأتي إليه لأخذ الوثائق. وعلى أيّ حال، فإنّ الملحق، وهو على ما يبدو أحد رجال لاكام، أظهر عدم إحساسه بالمسؤوليّة إلى حدّ غير مقبول. فقد كان يأتي متأخّرًا عن مواعيد اللقاءات وفي بعض الأحيان لا يظهر مطلقًا، وكان الاسرائيليّون محظوظين لأنّ الدولة المضيفة لم تشكّ في شيء. وكان من المهمّ ألاّ يتمّ اكتشاف النطاق العريض لمثل هذا التجسّس، لأنّ إسرائيل كانت تركّز كثيرًا من طاقتها على صنع أصدقاء في الخارج.

لقد جعلت حملة سيناء في عام ١٩٥٦ إسرائيل موضعًا للخوف... وعلى الرغم من أنّ همسات القوّة النوويّة وغزو السويس قد أدّت إلى تدمير الصورة الطيّبة لإسرائيل وسط الدول النامية، فقد أدّت أيضًا إلى الحقيقة التي مفادها أنّ الدولة اليهوديّة أصبحت قوّة عظمى إقليميّة، أي إلى تحويل إسرائيل إلى قوّة يحسب حسابها، فهي شريك يتعيّن التودّد إليه، وصديق مرغوب فيه في منطقة استراتيجيّة... لكنّها غير مستقرّة إلى حدّ سيّء السمعة.

هدفت إسرائيل إلى إقامة صداقات دوليّة في العلن، كلّما كان ذلك ممكنًا، لكنّه أصبح من الواضح بسرعة أنّ الأجانب يفضّلون الروابط السريّة مع إسرائيل. وهكذا فإنّ معظم العمل الدبلوماسي بالنسبة للتعاطي مع إسرائيل يتّسم بالدقّة والحرج، ولا يمكن اعتماد العمل العلنيّ العاديّ عبر الخارجيّة الإسرائيليّة. وقد تولّت مؤسّسات المخابرات المهمّة السريّة لتشكيل تحالفات للإسهام في ضمان الأمن القومي لإسرائيل.

بالعودة إلى موضوع المفاعل النوويّ الاسرائيليّ، فبعد ثلاثة أشهر من تركيبه، ظهرت شركة صغيرة لمعالجة المواد النوويّة في مصنع للفولاذ جرى تحويله بعد الحرب العالميّة الثانية يقوم في بلدة "أبولو" في بنسلفانيا. كانت الشركة تدعى "شركة المعدّات والموارد النوويّة ـ نومك"، وكان مديرها التنفيذي الدكتور "سلمان شابيرو". وكان شابيرو، وفقًا لملفّات لاكام، من اليهود الأميركيّين العاملين في حقل العلوم، كما كان يصنّف جامع تبرّعات متحمّسًا لإسرائيل. وعرف الرئيس الجديد للاكام، "رافي إيتان"، أنّه عثر على حلّ لمشكلة إمداد مفاعل ديمونة بمواد قابلة للانشطار. فأمر بإجراء تحقيق في وضع شابيرو وكلّ موظّف من موظّفي شركته. وعهد بإجراء التحقيق إلى ضابط الموساد المقيم في واشنطن. ومع بدء التحقيق، استمرّ إيتان بحشر نفسه في قصّة انتقلت به من حرّ ديمونة الصحراويّ إلى ممرّات البيت الأبيض الباردة.

بين الوثائق التي توافرت لدى عميل الموساد، نسخة من مذكّرة أرسلتها إلى شابيرو في ٢٠ شباط ـ فبراير ١٩٦٢ لجنة الطاقة النوويّة الأميركيّة حذّرته صراحة من "عدم التزام الشركة بإجراءات الأمن، ما قد يعرّض الشركة للعقوبات التي ينصّ عليها القانون بما في ذلك قانون الطاقة النوويّة لعام ١٩٥٤ وقوانين التجسّس". فقوّى هذا التهديد شعور رافي إيتان بأنّه قد عثر على السبيل إلى قلب الصناعة النوويّة الأميركيّة. وبدا أنّ "نومك" شركة سائبة من الناحية الأمنيّة وتعاني من مسك دفاتر خامل وإدارة لم تنل رضى الوكالة التي تتولّى مراقبة المواد النوويّة في الولايات المتحدة. وهذه الثغرات بالذات هي ما جعل الشركة، بنظر إيتان، هدفًا جذّابًا. وكان سلمان شابيرو إبن حاخام يهودي حرفي أظهر ذكاء وحقّق نجاحًا. ففي جامعة "جون هوبكنز" حصل على درجة دكتوراه في الكيمياء وهو في سنّ الثامنة والعشرين.

وساعدته طاقته على العمل الشاقّ على أن يصبح عضوًا بارزًا في مختبر الأبحاث والتطوير النووي في "وستنغهاوس"، وهي الشركة التي تعاقدت معها البحريّة الأميركيّة على تطوير مفاعلات غوّاصة. وأظهرت التحقيقات في أوضاع شابيرو الشخصيّة أنّ بعض أقاربه من ضحايا "المحرقة النازيّة"، وأنّ شابيرو، بوسائله الحذرة النموذجيّة، قد قدّم عدّة ملايين من الدولارات إلى معهد "تكنيون" في حيفا الذي يقوم بأعمال التدريب في العلوم والهندسة.

في عام ١٩٥٧ ترك شابيرو عمله في وستنغهاوس وأنشأ شركة "تومك". وكان عدد حملة الأسهم في الشركة خمسة وعشرين، جميعهم من المجاهرين بتعاطفهم مع إسرائيل. وقد وجد شابيرو نفسه رئيسًا لشركة صغيرة في صناعة عدوانيّة لا ترحم. وبالرغم من ذلك فقد تمكّنت "تومك" من الحصول على عدد من العقود لاستخراج اليورانيوم المخصّب، وهي عمليّة تفضي عادة إلى خسارة كميّة من اليورانيوم خلال عمليّة الإنقاذ. وما كان ممكنًا معرفة حجم الخسارة ولا وقت حصولها. وكان ردّ فعل إيتان على هذه المعلومات الترقّب باهتمام.

تابع رافي إيتان قراءة قصّة سوء وضع العلاقات بين إسرائيل والولايات المتّحدة بسبب رغبة الدولة اليهوديّة في امتلاك السلاح النوويّ، وكيف تفاقم الوضع عندما زار بن غوريون واشنطن عام ١٩٦٠. فقد حضر سلسلة من الاجتماعات مع المسؤولين في وزارة الخارجيّة الأميركيّة الذين قالوا له صراحة أنّ امتلاك إسرائيل أسلحة نوويّة سيؤثّر على ميزان القوى في الشرق الأوسط. وفي شباط ـ فبراير ١٩٦١، كتب الرئيس جون ف. كينيدي إلى بن غوريون مقترحًا أن تخضع ديمونة للتفتيش المنتظم الذي تتولاّه وكالة الطاقة النوويّة الدوليّة. فأصيب بن غوريون بالذعر، وطار إلى نيو يورك للقاء كينيدي في فندق "والدورف أستوريا"، وكان الزعيم الاسرائيليّ قلقًا جدًّا

إزاء ما اعتبره ضغوطًا أميركيّة لا تلين. لكنّ كينيدي كان حازمًا: لا بدّ من التفتيش. فأذعن بن غوريون وهو يحاول إنقاذ بعض ماء الوجه، وعاد إلى إسرائيل وهو مقتنع بأنّ وجود كاثوليكيّ في البيت الأبيض لا يتّفق ومصلحة إسرائيل. ولجأ رئيس الوزراء الاسرائيليّ إلى الشخص الوحيد محلّ ثقته في واشنطن، وهو "أبراهام فاينبرغ" الصهيوني المساند لطموحات إسرائيل النوويّة.

كان فاينبرغ إبن نيو يورك وأهمّ جامعي التبرعات اليهود لصالح الحزب الديمقرادي. ولم يخفِ فاينبرغ أسباب جمعه ملايين الدولارات كتبرّعات، فكلّ دولار يضمن مساندة الحزب لإسرائيل في الكونغرس. كما قدّم سرًّا أيضًا ملايين الدولارات الأخرى لإنشاء مفاعل ديمونة النوويّ. وكان المال يأتي على شكل صكوك مصرفيّة إلى بنك إسرائيل المركزي في تلّ أبيب. فتجنّب بذلك خضوعه امحاسبة أجهزة مراقبة القطع الأجنبي في إسرائيل. وطلب بن غوريون من فاينبرغ "أن يقنع الصبيّ... دع هذا المغفّل يفهم واقع الحياة".

كان أسلوب فاينبرغ ممارسة الضغط السياسيّ الصريح، ومثل هذا الضغط كان قد أثار غيظ كينيدي عندما رشّح نفسه للرئاسة. وقتها قال له فاينبرغ بصراحة: "إنّنا مستعدّون لدفع أكلاف حملتك إذا تركت لنا أمر إدارة سياستك في الشرق الأوسط". فوعد كينيدي بأن "يريح إسرائيل بقدر ما يستطيع". ووافق فاينبرغ على مدّه بمساهمة لدعم حملته مقدارها خمسمائة ألف دولار "كمقدّمة". أمّا الآن، فعاد فاينبرغ إلى استخدام الأسلوب نفسه: إذا أصرّ الرئيس كينيدي على تفتيش ديمونة، فلا يعتمدنّ على الدعم اليهوديّ في الانتخابات المقبلة. وقد أبلغ روبرت ماكنمارا وزير خارجيّة كينيدي رئيسه أنّه "يستطيع تفهّم طلب إسرائيل أن تحوز على قنبلة نوويّة". وعلى رغم ذلك، كان كينيدي موطّد العزم، واضطرّت إسرائيل إلى قبول التفتيش. لكنّ الرئيس قدّم

تنازلين في آخر لحظة، فمقابل تفتيش ديمونة تبيع الولايات المتّحدة إلى إسرائيل صواريخ أرض ـ جو من طراز "هوك"، وكانت آنئذ أكثر الأسلحة الدفاعيّة تطوّرًا في العالم، كما لا تتولّى التفتيش وكالة الطاقة الذريَّة الدوليّة بل فريق أميركيّ يعلن عن برنامج زيارته قبل أسابيع من بدئها.

ويستطيب رافي إيتان سرد تفاصيل قصّة خداع إسرائيل للمفتّشين الأميركيّين:

جرى تشييد مركز مراقبة مزيّف فوق المركز الحقيقيّ في ديمونة، وزوّد بلوحات مراقبة مزيّفة وأدوات قياس مربوطة بكومبيوتر تقدّم صورة قابلة للتصديق عن قياس إنتاج مفاعل يشارك في خطّة ريّ لتحويل صحراء النقب إلى أرض خصبة. وجُعلت المنطقة التي يحفظ فيها "الماء الثقيل" الذي جرى تهريبه من فرنسا والنروج خارج نطاق عمل المفتّشين "لأسباب أمنيّة". ذلك أنّ الحجم الفعليّ للماء الثقيل كان سيقدّم الدليل على أنّ المفاعل يتهيّأ للاستخدام في أغراض مختلفة تمامًا.

عندما وصل الأميركيّون ارتاح الاسرائيليّون لكون أيّ منهم لا يتكلّم العبريّة، لأنّ ذلك قد أضعف اكتشاف المفتّشين للغرض الحقيقيّ من مفاعل ديمونة. وهكذا مرّت مسألة التفتيش من دون مشاكل.

استمرّ رافي إيتان في محاولاته للتوصّل إلى الحصول على مبتغاه من مصنع "نومك". وكان الحصول على إذن لزيارة ذلك المصنع سهلاً نسبيًّا. فقد طلبت سفارة إسرائيل في واشنطن الإذن من لجنة الطاقة النوويّة الأميركيّة "لقيام نفر من علمائنا بزيارة المنشأة لزيادة فهمهم لأسباب قلق مفتّشيكم إزاء إعادة معالجة النفايات النوويّة". ومُنح الفريق الإذن على رغم أنّ وكالة الـ CIA كانت بدأت إجراء وقاية شاملة لمعرفة ما إذا كانت إسرائيل قد جنّدت شابيرو كعميل لها. وفي الواقع، لم تكن إسرائيل قد جنّدت شابيرو كعميل لها وهي لن تجنّده لاحقًا. فقد اقتنع رافي إيتان بأنّ شابيرو

مخلص وصهيونيّ للعظم. ولم يكن شابيرو يتمتّع بثروة شخصيّة تراكمت من أموال أصابها من عائداته وأخرى من استثمارات ذكيّة في سوق الأسهم فحسب، بل إنّ ثروته الشخصيّة تضخّمت بسرعة جرّاء الأرباح الهائلة التي حقّقتها "نومك" حتّى ذلك الوقت. كذلك لم يكن شابيرو خائنًا، فحبّه لأميركا كان ظاهرًا للعيان، وقد أدرك إيتان أنّ سعيه لتجنيد شابيرو كجاسوس سيعود بنتائج عكسيّة. لذلك كان ينبغي إبقاء شابيرو بعيدًا عن العمليّة التي بدأت تتكوّن ملامحها في ذهن رافي إيتان. وعلى الرغم من ذلك، فما كان ممكنًا تجنّب بعض المخاطر. فقد أرسل رافي إيتان عميلين سريّين من لاكام إلى "أبولو" للحصول على مزيد من المعلومات عن "نومك". والعميلان هما "أفرام حرموني" الذي كان يعمل بغطاء دبلوماسيّ في السفارة الاسرائيليّة في واشنطن بصفته "المستشار العلمي"، و"غريهام كفكافي" وهو عميل استخبارات يعمل في الولايات المتحدة بصفته كاتبًا علميًّا مستقلاً. وقام العميلان بجولة في مصنع إعادة المعالجة لكن لم يُسمح لهما بالتصوير. وأشار شابيرو إلى أنّ ذلك يخرق أنظمة لجنة الطاقة النوويّة. وقد أظهر شابيرو حسن ضيافته لكنّه كان حسب تعبير حرموني شديد الارتباك.

وقرّر رافي إيتان أنّه قد حان الوقت ليزور أبولو. فجمع مجموعة من "المفتّشين" تضمّ عالمَين من ديمونة خبيرين بإعادة معالجة النفايات النوويّة، كما ضمّت المجموعة عضوًا سمّي مديرًا لقسم الإلكترونيّات في جامعة تلّ أبيب. ولم يكن في الجامعة مثل هذا المنصب، فالرجل لم يكن سوى مسؤول أمنيّ في لاكام، كلّف العثور على طريقة لسرقة النفايات القابلة للانشطار من المصنع. كما كان حرموني في الفريق وكانت مهمّته لفت النظر إلى الثغرات الأمنيّة التي كان قد لاحظها في خلال زيارته السابقة لأبولو. أمّا رافي إيتان، فكان يحتفظ باسمه ومعه صفة "مستشار علمي لمكتب رئيس وزراء إسرائيل". وقد وافقت السفارة الأميركيّة في تلّ أبيب على أعضاء الوفد

ومنحتهم تأشيرات. وكان إيتان قد حذّر أعضاء الوفد من أنّهم سيكونون تحت رقابة مكتب الـ FBI حال هبوطهم في نيو يورك، ولكنّه فوجئ بعدم وجود أيّ دليل على ذلك. وصادف وصول الاسرائيليّن إلى أبولو عودة شابيرو من جولة أخرى للبحث عن مواهب مميّزة في أحرام الجامعات الأميركيّة وإقناع العلماء المؤيّدين لإسرائيل بالذهاب إليها للمساعدة في حلّ مشاكلها التقنية والعلميّة. وكان يتعهّد بتسديد كامل نفقاتهم وتعويضهم عن أيّ نقص في رواتبهم.

تجنّب رافي إيتان وفريقه الأضواء أثناء إقامتهم في أبولو. فنزلوا في موتيل وأمضوا معظم أوقاتهم في مصنع "تومك" يتعلّمون الدقائق التقنيّة لإنتاج اليورانيوم العالي التخصيب من غاز فلوريد اليورانيوم السداسيّ. وأوضح شابيرو أنّ قوانين لجنة الطاقة النوويّة تقضي بإلزام "تومك" بدفع غرامات عن الموادّ المخصّبة المفقودة بمعدّل عشرة دولارات للغرام الواحد. وغادر رافي إيتان وجواسيسه أبولو بهدوء كما وصلوها.

يفيد تقرير لمكتب الـ FBI وضع بعد شهر من مغادرة الإسرائيليّين أنّ "تومك" دخلت في شراكة تجاريّة مع الحكومة الاسرائيليّة تتعلّق بتعقيم الأطعمة والعيّنات الطبيّة بتعريضها للإشعاعات الراديوميّة. ويشكو تقرير آخر للمكتب نفسه من أنّه "نظرًا لوجود تحذير على كلّ مستوعب بأنّه يحتوي على موادّ مشعّة لم تكن تفتح لتفحّصها ولا كان أحد ليسمح لنا بذلك". ويعود عدم السماح إلى أنّ السفارة الاسرائيليّة في واشنطن أفهمت وزارة الخارجيّة الأميركيّة أنّه إذا خضعت المستوعبات للفحص فستضعها تحت الحصانة الدبلوماسيّة. واتّصلت وزارة الخارجيّة بوزارة العدل وحذّرتها من العواقب الدبلوماسيّة الخطيرة لأيّ خرق لتلك الحصانة. ولم يكن بوسع عملاء مكتب الـ FBI سوى مراقبة عمليّة تحميل المستوعبات على طائرات الشحن

التابعة لشركة "العال" الإسرائيليّة في مطار "أيدلوارد". وعلى رغم بذل مدير فرع الـ CIA في تلّ أبيب "جون هادن" أقصى الجهد فلم يستطع، كما قال، أن يؤكّد أنّ المستوعبات نقلت إلى ديمونة. وسجّل مكتب الـ FBI قيام تسع شحنات في الأشهر الستّة التي أعقبت زيارة رافي إيتان. ولاحظ المكتب أنّ المستوعبات كانت تصل عند الغسق وتشحن قبل الفجر، وأنّها كانت جميعًا مغلّفة بالرصاص المستخدم في نقل اليورانيوم المخصّب، وأُلصق على كلّ مستوعب منها تمغة من صفيحة رقيقة وضع عليها عنوان المكان بالعبريّة وعيّنت حيفا وجهته الأخيرة. ورأى عملاء المكتب في مناسبات عدّة "أنابيب موقد"، أي مستوعبات خزن لليورانيوم المخصّب، وقد وضعت في حجرات فولاذيّة عند رصيف التحميل في مصنع "تومك". وكان على كلّ "أنبوب موقد" رقم يشير إلى أنّه جاء من خزّان الشركة ذات السريّة العالية. ومع ذلك فلم يكن بمقدور مكتب الـ FBI التدخّل. ووفقًا لمذكّرة للمكتب كان هناك ضغط سياسيّ مارسته وزارة الخارجيّة لمنع وقوع أيّ حادث دبلوماسيّ.

بعد مرور عشرة أشهر، توقّفت الشحنات فجأة. ولم يسَع مكتب الـ FBI إلاّ الافتراض بأنّ ديمونة تلقّت ما يكفي من الوادّ القابلة للانشطار. وقد أجرت الوكالة عقب ذلك مقابلات مع شيبارو أنكر خلالها تزويده إسرائيل بمواد لصنع قنبلة نوويّة. وقال مكتب الـ FBI أنّ تدقيقه في سجلاّت الشركة أظهر تناقضًا في احتساب كميّة المواد التي أعيدت معالجتها. وأصرّ شيبارو على أنّ التفسير المقنع لأيّ خسارة في كميّات اليورانيوم هو أنّها تسرّبت في الأرض أو انتشرت في الهواء. وفي الحساب النهائيّ بلغ حجم الموادّ المفقودة مائة رطل. ولم توجّه لشيبارو أيّ تهمة إجراميّة[1].

---

١ ـ طوماس غوردون، إنحطاط الموساد، ص١٠٧ ـ ١١٤.

يقول باحثون في هذا المجال إنّ محقّقي لجنة الطاقة النوويّة الأميركيّة قد عجزوا عن الحصول على دليل واضح بأنّ اليورانيوم المخصّب قد تمّ إرساله إلى جهة معيّنة أو أنّ شركة نومك قد اقترفت أيّ جريمة، لكن في إطار التحقيقات الرسميّة التي دامت خمسة عشر يومًا، ذكرت لجنة الطاقة النوويّة أنّ ما مجموعه ٥٨٧ رطلا من اليورانيوم قد اختفت، وهي كميّة تكفي من الناحية النظريّة لصنع ١٨ قنبلة نوويّة. وقام مكتب التحقيقات الفيدراليّ الأميركي أيضًا بالتحقيق في الأمر، مركّزًا على روابط شابيرو مع إسرائيل، لكنّه لم يتوصّل إلى أيّ نتيجة واضحة. وبحثت سلطات فيدراليّة أميركيّة أخرى قضيّة شابيرو، لكنّها أصدرت حكمًا بأنّ روابطه المحدودة مع إسرائيل لا تتطلّب منه تسجيل نفسه كعميل أجنبيّ...

ويقول الباحثون أنفسهم إنّ الشكوك تصاعدت إلى ما يقارب اليقين بحلول عام ١٩٦٨، بأنّ اليورانيوم المفقود تمّ بيعه أو شحنه بطريقة ما إلى إسرائيل. وبدأت مؤسّسة المخابرات الأميركيّة بالعمل نتيجة اعتقادها بأنّ إسرائيل قد حصلت على كميّة كبيرة من اليورانيوم المخصّب. فتحرّكت وكالة المخابرات المركزيّة ومكتب التحقيقات الفدراليّ وبدأا في إجراء تحقيق أكثر دقّة، وتمّ وضع شابيرو تحت المراقبة، وجرى التنصّت على أجهزته الهاتفيّة وتمّ استجوابه. ومن أهمّ الروايات التي ذكرها شابيرو ما تعلّق باجتماعاته مع "أفراهام هرموني" المستشار العلمي في السفارة الاسرائيليّة لدى واشنطن، وهو بكلمات أخرى رئيس مركز لاكام الاسرائيلي هناك.

شعرت إسرائيل بالقلق بشأن الموقف الأميركيّ الجديد تجاه المسائل النوويّة. ففي الأعوام السابقة، وإلى حدّ كبير بفضل نفوذ أفضل صديق للموساد "جيمس أنغلتون" في وكالة المخابرات المركزيّة، قنعت السلطات الأميركيّة بأنّ تترك الاسرائيليّين يفعلون ما يريدون، وفي واقع الأمر، فإنّ جيمس أنغلتون قد قام بحماية أسرار إسرائيل النوويّة،

لكن بحلول عام ١٩٦٨، تضاءل نفوذ أنغلتون. كما أنّ "ريتشارد هيلمز"، المدير الجديد لوكالة المخابرات المركزيّة، كان أكثر تشكّكًا في ما يتعلّق بالتحرّكات والدوافع الاسرائيليّة.

ويقول هؤلاء الباحثون إنّه لاستكشاف الموقف في واشنطن، قام أربعة من الإسرائيليّين، من بينهم "هرموني" و"رافي إيتان" من الموساد، و"أفراهام بندور" من شين بيت، بزيارة مفاجئة وغير متوقّعة لمصنع نومك الذي يمتلكه شابيرو في العاشر من أيلول ـ سبتمبر ١٩٦٨. ووقّع إيتان وبندور في سجلّ الزيارات بوصفهما إثنين من الكيميائيّين ويعملان لحساب وزارة الدفاع الإسرائيليّة، لكنّهما، في واقع الأمر، كانا يقومان بمهمّة خاصّة لحساب لاكام بعد أن نجح بلومبيرغ في إصلاح علاقاته مع الوكالات السريّة الإسرائيليّة الأخرى. وعندما عاد الاثنان من مهمّتهما الخاصّة بتقدير الأضرار التي لحقت بالعلاقات الأميركيّة ـ الإسرائيليّة وتأثيرها على البرنامج النوويّ الإسرائيليّ، ذُكر أنّ إسرائيل ستواصل الاستفادة من الشكوك التي تحيط بها في واشنطن، وأنّه لا داعي لأن توقف نشاطاتها غير القانونيّة في ما يتعلّق بالحصول على اليورانيوم المخصّب بطريقة غير مشروعة.

وفي تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٦٨، وفي إطار عمليّة مشتركة مع الموساد، تمكّن عملاء لاكام، أو بمعنى أدقّ "بلومبيرغ"، من سرقة مائتي طنّ من أُكسيد اليورانيوم من على سطح سفينة شحن بضائع. واستنادًا إلى اعترافات "دان إيرت" في النروج عام ١٩٧٣، تأكّد المحقّقون من أنّ شركة كيماويّات ألمانيّة تدعى "أسمرا"، قامت، من خلال فروعها، بشراء اليورانيوم من شركة بلجيكيّة إسمها "الشركة العامّة للمعادن". وقد تمّ شحن اليورانيوم عبر ميناء "أنتويرب" البلجيكي على متن سفينة إسمها "شيرزبيرغ إيه" تحمل علم ليبيريا، وقد أعلن ربّانها أنّه متّجه إلى ميناء "جنوا" الإيطالي، لكنّ شحنة

اليورانيوم لـم تصـل أبـدًا إلـى إيطاليـا، وبـدلاً مـن ذلـك اختفـت السـفينة مـن السـجلاّت البحريّة. ذلك أنّه بعد أن دخلت السفينة مياه البحر الأبيض المتوسّط، أبحرت شرقًا بدلاً من أن تتّجه شمالاً، كما كان مفروضًا أن تتّجه، حسبما أعلن ربّانها. وفي مكان ما بيـن قبرص وتركيا، التقت مع سفينة شـحن بضـائع إسـرائيليّة... وفـي بدايـة شـهر كـانون الأوّل - ديسمبر، بعد أيّام من اختفائهـا القصـير، ألقـت "شـيرزبيرغ إيـه" بمراسيها فـي ميناء الإسكندرونة التركيّ ولم يكن على متنها أيّ يورانيوم. وفي واقع الأمر، فإنّ هـذه السفينة كانت مملوكة مـن الموسـاد، ومـن وسـط هـذه المجموعـة المشوّشـة مـن الـدول والشركات، دبّرت إسرائيل أمـر الحصـول علـى الوقـود النـوويّ الـلازم لمفاعلهـا فـي ديمونة.

ويفيد الباحثون أنّ وكالات الطاقة النوويّة في دول السوق الأوروبيّة المشـتركة قد ذُهلت وأُصيبت بالارتباك من جرّاء هذا الحادث إلى درجة أنّهـا قـرّرت عـدم الإعـلان عنه.

على صعيد آخر، مكّنت ضربة موفّقة غير متوقّعة إسـرائيل مـن إنتـاج اليورانيـوم في مفاعلها النوويّ، وهو اليورانيوم المستخرج من احتياطيّاتها الهائلـة مـن الفوسـفات. وقد أدّى امتلاك إسرائيل لكـلّ هـذه المـوارد، بالإضافـة إلـى قيامهـا بشـراء اليورانيـوم مباشرة من جنوب أفريقيا، إلى أن يصبح مـن الواضـح أنّ إسـرائيل تنشـئ شيئًا سـريًّا للغاية في ديمونة، وهو ترسانة من الأسلحة النوويّـة. وسـتصبح جنـوب أفريقيـا شـريكًا لإسـرائيل فـي مشـروعاتها السـريّة ومـن بينهـا الأبحـاث النوويّـة وأبحـاث الصواريـخ. وبحلول تلك الحقبة، لم يعد هناك أدنى شكّ في أنّ إسرائيل قد أصبحت الدولة السادسـة التي تنضمّ إلى النادي الذرّي بعد الولايـات المتّحـدة، والاتّحـاد السـوفياتي، وبريطانيـا، وفرنسا، والصين.

لم تعلن إسرائيل عن هذه الحقيقة مطلقًا، لكنّ الأمر كان واضحًا تمامًا بالنسبة للولايات المتّحدة. فمنذ أواخر ستّينات القرن العشرين، قامت مؤسّسات المخابرات الأميركيّة بفرض رقابة صارمة على كلّ عالم من إسرائيل يقوم بزيارة الولايات المتّحدة الأميركيّة. وإنّ البروفيسور "يوفال نعمان"، الذي قام بتطوير مجموعة من الأدوات والأساليب الفنيّة للمخابرات العسكريّة الإسرائيليّة، قد وجد نفسه محاطًا بالشكوك لدى وصوله إلى "باسادينيا" بولاية كاليفورنيا لحضور فصل دراسيّ في أبحاث الفيزياء، إذ سرعان ما سمع صوتًا غير مألوف على الهاتف يقول له:

"بروفيسور، أنا من الوزارة، هل يمكننا أن نلتقي؟".

كان المتحدّث يقول له بالإنكليزيّة: I am From the Department، وتصوّر البروفيسور نعمان أنّ المتحدّث عضو في أحد الأقسام الأكاديميّة بجامعة كاليفورنيا، خاصّة وأنّ كلمة Department تعني وزارة كما تعني قسمًا. وقد أصيب البروفيسور بالذعر عندما وصل الرجل في الموعد المحدّد، وقدّم نفسه بوصفه محقّقًا يعمل لحساب وزارة العدل الأميركيّة. وقد بادر البروفيسور بسؤاله: "هل أنت الكولونيل نعمان؟". وردّ نعمان بالإيجاب وهو مندهش إلى حدّ ما، لأن يخاطبه الأميركيّ مشيرًا إلى رتبته العسكريّة، وتبيّن أنّ المحقّق هو في الواقع رجل من رجال مكتب التحقيقات الفيدراليّة. وأوضح الإسرائيليّ أنّه حتّى بداية ستّينات القرن العشرين كان بالفعل ضابطًا برتبة كولونيل في جهاز المخابرات العسكريّة في بلاده، لكنّه تقاعد ويعمل الآن في جامعة تلّ أبيب . فقال الأميركي: "لكنّنا نعلم أنّك ما زلت متورّطًا في التجسّس. وأنصحك بالتوقّف عن ذلك فورًا". ونفى نعمان هذا الزعم على نحو محموم، وانتهت المحادثة على الفور.

من الواضح أنّ تلك كانت محاولة لتهديده، ومن المحتمل أنّها جاءت ردًا على زيارة نعمان للمعامل الاتّحاديّة في "ليفرمور" قرب سان فرانسيسكو. وبالنظر إلى ما بدأت الولايات المتّحدة في رصده في ما يتعلّق بمنشآت ديمونة، فإنّ زيارة المعامل في ليفرمور بدت هامّة، خاصّة وأنّ الأبحاث النوويّة تجري في هذا المكان.

بعد بضعة أسابيع، انتقل نعمان إلى جامعة تكساس في "أوستن" حيث زاره مسؤول آخر من وزارة العدل مطالبًا إيّاه هذه المرّة بأن يسجّل نفسه كعميل أجنبيّ... أي من عملاء الحكومة الإسرائيليّة. وبالطبع، فإنّ قيام نعمان بذلك كان من شأنه أن يلحق الضرر بسمعته وبقدرته على اللقاء بزملائه كعالم فيزياء. كما أنّه لو كان عميلاً رسميًّا لحكومة أجنبيّة فإنّه يمكن أن يتمّ تقييد تحرّكاته من جانب السلطات الأميركيّة.

حاول البروفيسور نعمان تعبئة كلّ علاقاته الأميركيّة لتجنّب عمليّة تسجيل نفسه كعميل أجنبيّ، وسعى إلى أصدقائه القدامى، من أمثال البروفيسور "إدوارد تيلّر" أبي القنبلة الهيدروجينيّة الأميركيّة، والسيناتور "جون تاور" صاحب النفوذ، وهو من ولاية تكساس، طالبًا منهم المساعدة. وفي النهاية كانت العلاقات والرابطة بين المخابرات الأميركيّة والإسرائيليّة هي التي ساعدت نعمان. فقد وجّه ضابط الاتّصال الخاص بالموساد في واشنطن نداء سريًّا ومباشرًا إلى وكالة المخابرات المركزيّة، فترتّب على ذلك إلغاء الشرط المطلوب من نعمان، وهو تسجيل نفسه كعميل[1].

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٢٧٤ ـ ٢٧٩.

ريتشارد سميث واختفؤه

في ذلك الوقت، كانت السلطات الأميركيّة تواصل البحث عن خبير أميركيّ أدين قبل أعوام لتهريبه تكنولوجيا متقدمّة إلى إسرائيل، وكان الخبير "ريتشارد سميث" قد استغلّ عمله في شركة "ميكو انترناشيونال" التي أُسّست في كاليفورنيا لشراء معدّات لها استخدامات عسكريّة، من بينها أحد مشتقّات اليورانيوم الذي يمكن أن يُستخدم عسكريًّا لصالح الحكومة الإسرائيلية.

أُدين سميث بتهمة القيام بتهريب ٨١٠ من وحدات التوقيت الإلكتروني المعروفة باسم "كراتيرون" إلى إسرائيل، لكنّه اختفى مع زوجته بعد ثلاثة أشهر من إدانته. ويعتقد أنه جرى تهريبه إلى إسرائيل، وأعطي هويّة جديدة، حيث أنّه شوهد في تلّ أبيب. ولم تطلب الولايات المتّحدة تسليمه بالرغم من أنّ هناك اتّفاقية لتبادل المجرمين موقّعة بين أميركا وإسرائيل[١].

لاكام والصّواريخ وسَرِقَة تصاميم الميراج

إستطاع إسرائيليّون آخرون جمع المعلومات لحساب بلدهم أثناء زياراتهم للولايات المتّحدة، وعندما كانت المعلومات تتعلّق بالشؤون العلميّة، فإنّ "مكتب الاتّصال العلميّ"، أي وكالة لاكام، كانت هي التي تتولّى المسؤوليّة عادة. والجانب المدهش في تاريخ لاكام، هو أنّه على الرغم من كافّة نشاطاتها في مجال التجسّس، فإنّ وكالات

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص٢٨١ ـ ٢٨٢.

المخابرات الأجنبيّة لم تكن واعية وجودها. وقد أشار تقرير سرّي لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA في عام ١٩٧٦، استهدف إجراء مسح شامل لجميع أجهزة المخابرات في إسرائيل إلى الاهتمام الكبير لمؤسّسة المخابرات الاسرائيليّة بالعلم والتكنولوجيا، لكنّ التقرير لم يشر إلى لاكام ولا إلى وجود "مكتب اتّصال علميّ".

إقترح "بلومبيرغ" مدير لاكام أن تقوم وكالته بدعم سريّ، ليس فقط للمشروع النوويّ الإسرائيليّ، بل أيضًا لصناعة الدفاع الإسرائيليّة بأسرها. وتمّت الموافقة على هذا الاقتراح، وتقرّر زيادة ميزانيّة لاكام على الفور بمساهمات من زبائنها... ومن بينها "شركة إسرائيل لصناعة الطائرات"، و"شركة تطوير الأسلحة ـ رافاييل"، و"شركة إسرائيل للصناعات العسكريّة". هذه الشركات جميعًا إمّا مملوكة من قبل الحكومة أو أنّ الحكومة تسيطر عليها. لكنّ مسؤولي هذه الشركات لم يكونوا يعرفون بالضرورة كيف يحصلون على التصميمات والمخطّطات الفنيّة من الخارج. ولم يكونوا يعرفون بالتأكيد إسم لاكام.

من بين تلك الأهداف المحدّدة بالنسبة لإسرائيل كان قيامها بامتلاك التكنولوجيا والمعدّات الثقيلة اللازمة لتصنيع صواريخ أرض ـ أرض بعيدة المدى، في الوقت الذي تعكف فيه على تطوير إمكاناتها النوويّة.

لم يكن ذلك مجرّد مصادفة، لأنّه لا معنى لإنتاج الأسلحة النوويّة بدون وجود وسيلة يعتمد عليها لنقل هذه الأسلحة إلى أهدافها. فلا فائدة من امتلاك دولة ما لأسلحة نوويّة ما دامت لا تمتلك وسائل إيصالها إلى أهدافها المحدّدة. فكما قال عازر وايزمن ذات مرّة في اجتماع سرّي عندما كان وزيرًا للدفاع الإسرائيليّ: "كلّ الصواريخ بمقدورها أن تحمل رأسًا نوويّة، وكلّ الصواريخ بمقدورها أن تحمل رأسًا تقليديّة، فالصواريخ تحمل كافّة أنواع الرؤوس العاديّة

وغير العاديّة". وترسانة إسرائيل المصنوعة محليًّا يمكن استخدامها إمّا للأغراض النوويّة أو التقليديّة.

عمد رجال بلومبيرغ إلى الحصول على الخبرة الفنيّة المتعلّقة بالصواريخ من مصادر متعدّدة، وحافظوا على متابعة أحدث التطوّرات التكنولوجيّة لكي يمكنهم معرفة الأشياء الجديرة بالشراء. وقد تحقّقت خطوة كبيرة عندما وافقت فرنسا على بيع صواريخ أرض ـ أرض إلى إسرائيل. وتخصّصت إسرائيل في تطوير اختراعات الآخرين، ولم يقتصر الأمر على حدود تقليدها، وذلك بهدف تمكّنها من اصطناع إنجازاتها الخاصّة والتي تناسبها. ويقول وايزمن في ذلك مشيرًا إلى الفرنسيّين: "لقد قمنا بتطوير معدّاتهم". وهكذا فإنّ صاروخ MD 660 الذي قدّمته فرنسا إلى إسرائيل، أدّى إلى توليد مجموعة من الصواريخ الإسرائيليّة أوّلها صاروخ "لوتس"، ثمّ صاروخ "أريحا".

بالإضافة إلى ذلك تحدّث وايزمن سرًّا عن "مشروع الزهرة" الذي يهدف إلى إنتاج صاروخ بحر ـ بحر بعيد المدى.

شكّلت حرب الأيّام الستّة نقطة تحوّل بالنسبة لوكالة لاكام، مثلها في ذلك مثل أيّ مؤسّسة تقريبًا في إسرائيل.

فبفضل نجاح لاكام في الحصول سرًّا على الموادّ النوويّة اللازمة، امتدّت مهامّها إلى مجالات أخرى في ميدان العلم والتكنولوجيا.

كان هناك تحدّ جديد تمثّل في الحظر الذي فرضه الرئيس الفرنسيّ شارل ديغول على الأسلحة بعد حرب ١٩٦٧. بل إنّه رفض حتّى الموافقة على تزويد إسرائيل بالذخائر والزوارق والطائرات التي سبق للدولة اليهوديّة أن دفعت ثمنها. وقد ذكرنا في مكان آخر، تحت عنوان "شيربورغ"، كيف تمكّنت إسرائيل من خلال الخداع من

الحصول على تلك الزوارق عن طريق خطّة شارك في وضعها وتنفيذها الجيش الإسرائيليّ والموساد معًا.

يعتبر باحثون أنّ الموساد قد شعر بأنّه حقّق نجاحًا عن طريق تمكنّه من تهريب الزوارق ذات الصنع القرنسيّ من شيربورغ إلى إسرائيل، ومع سيادة شعور عام مؤيّد لأن تأخذ إسرائيل ما تشعر أنّها بحاجة إليه، ولا يمكن الحصول عليه بالطرق المشروعة، ازدهرت أعمال لاكام. وتمّ اللجوء إلى السرقة، والرشوة، وغيرها من المخطّطات غير القانونيّة للحصول على كنوز ثمينة ليس أصحابها على استعداد لبيعها. وقد تحقّقت بذلك ضربة ناجحة، إسرائيليًّا، وغير متوقّعة، عندما تمكّن الإسرائيليّون من اختراق شركة تقوم بتصنيع محرّكات طائرات ميراج الحربيّة المقاتلة الفرنسيّة.

فقد تمّ التخطيط لعمليّة مشتركة بين لاكام والجيش الاسرائيليّ وسلاح الطيران استندت إلى استغلال نقاط الضعف في شخصيّة مهندس سويسريّ يدعى "ألفريد فراوينكنخت". وتحدّدت نقاط الضعف هذه في عدم رضا المهندس السويسريّ عن عمله في الشركة، وفي حاجته إلى المال للإنفاق على عشيقته، وفي تعاطفه مع إسرائيل بعد حرب الأيّام الستّة.

إتّخذ الخطوة الأولى في هذه العمليّة الكولونيل "دوف سيون" الملحق العسكري الاسرائيلي لدى باريس، والذي صدف أن يكون زوج ابنته "موشي ديان"، قد التقى الكولونيل "دوف" مرارًا مع المهندس السويسريّ فراوينكنخت ودعاه للعشاء وقام باصطياده وتجنيده. وتمكّن عملاء لاكام من إقناع المهندس السويسريّ بأن يمدّهم بمجموعة كاملة تضمّ تصاميم طائرة الميراج. ووافق السويسريّ على قبول مبالغ ماليّة، لكنّه أصرّ على أنّه لا يتواطأ مع الاسرائيليّين مقابل المال فقط، ولكن لأسباب أيديولوجيّة أيضًا! علمًا بأنّ فراوينكنخت لم يكن يهوديًّا، وهكذا فإنّ تجنيده لم يكن مثيرًا

للشكوك. وكانت المخابرات الإسرائيليّة قد استوعبت الدرس الذي تلقّنته بعد الإخفاق التام الذي وقعت به في العراق ومصر، وهو عدم تجنيد يهود أجانب للتجسّس لحسابها ضدّ وطنهم الأمّ.

في بداية الطريق، التقى المهندس السويسريّ فراوينكنخت مع عملاء إسرائيليّين في فنادق ومطاعم ليقوم بتسليمهم صورًا فوتوغرافيّة لتصاميم طائرة الميراج. وللإسراع في سير العمليّة، لجأ فراوينكنخت إلى الاستعانة بابن أخيه لمساعدته في تصوير المستندات المطلوبة، ووضعها في صناديق وتسليمها للعملاء الإسرائيليّين الذين قاموا بنقل هذه الوثائق إلى ألمانيا.

في النهاية، اكتشفت السلطات السويسريّة هذه النشاطات، وتمكّنت من إلقاء القبض بسرعة على فراوينكنخت وانتزعت منه اعترافًا سريعًا.

إعترف فراوينكنخت بأنّ المخابرات الإسرائيليّة وعدته بمنحه مليون دولار، في مقابل تصاميم الميراج، وبأنّه حتّى ذلك الوقت كان قد حصل على ٢٠٠ ألف دولار من الإسرائيليّين. وفي ٢٣ نيسان – إبريل ١٩٧١، أدانته محكمة سويسريّة بتهمة التجسّس، لكن يبدو أنّ القضاة تعاطفوا معه إلى حدّ كبير، فلم يحكموا عليه سوى بقضاء عام واحد في السجن.

في غضون ستّة أشهر، قامت إسرائيل بتجربة طائرة حربيّة جديدة من طراز "نيشير"، تتمتّع ببعض المزايا التكنولوجيّة التي لطائرة الميراج الفرنسيّة.

وفي ٢٩ نيسان – إبريل ١٩٧٥، كشفت إسرائيل عن أحدث طائرة مقاتلة من صنعها، وهي طائرة "كفير" التي تعتبر النسخة الإسرائيليّة عن طائرة الميراج الفرنسيّة، ويعود الفضل في ذلك للمهندس السويسري فراوينكنخت الذي حضر بالفعل

التجربة الأولى للطائرة الإسرائيليّة المقاتلة. ذلك أنّه كان قد أمضى مدّة العقوبة وخرج من سجون سويسرا وتوجّه إلى إسرائيل في أوّل زيارة له للدولة اليهوديّة، ليشهد ولادة شارك هو فيها بنصيب الأسد. لكنّ الغريب، أنّ الرجل واجه استقبالاً فاترًا في إسرائيل... فمديرو وكالات المخابرات الاسرائيليّة شعروا بالامتعاض لوجوده، خاصّة وأنّه يذكّرهم بالجوانب السلبيّة في عمليّة ناجحة، فهو قد تعرّض لإلقاء القبض عليه والسجن بسبب تجسّسه لحساب إسرائيل. كذلك فإنّ الحكومة الإسرائيليّة لم تكلّف نفسها مشقّة دفع ثمن رحلته الجويّة من سويسرا إلى إسرائيل، بل ورفضت إقامة حفل رسميّ للترحيب به، وباختصار شعر المهندس السويسريّ بأنّه كمّ مهمل وشيء منسيّ في عيون المخابرات الإسرائيليّة. وفي الوقت الذي شعر فيه فراوينكنخت بالمرارة وخيبة الأمل، فإنّ شهرة وسمعة بنيامين بلومبيرغ مدير لاكام تدعّمت داخل مؤسّسة المخابرات الإسرائيليّة، وتصاعدت بشكل أسطوريّ.

كان القليل من الإسرائيليّين هم الذين يعرفون ما فعله بلومبيرغ بالضبط، وهم كبار عملاء المخابرات وأعضاء هيئة أركان الجيش الإسرائيليّ، وكان هؤلاء يعرفون أن بلومبيرغ عن طريق الخداع والجاسوسيّة التي تبرّر الوسيلة أمام الغاية، قد أدّى مهمّته بامتياز. وتحدّد أبرز ما حقّقه في ما قام به من أجل مفاعل ديمونة النوويّ، ومسؤوليّته وإسهامه في البرنامج النوويّ الإسرائيليّ بالغ السريّة، بالإضافة إلى سرقة تصاميم طائرة الميراج[1].

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٢٨٢ ـ ٢٨٥.

شَعلتيل بِن بير أو فرانسوا ريناكير

كان شعتليل بن بير واحدًا من الجواسيس الناجحين للموساد. وقد عاش في مصر تحت غطاء محكم بين ١٩٥٨ و١٩٦٢. وهو مولود لعائلة يهوديّة على الحدود الفلسطينيّة اللبنانيّة، تعلّم منذ صباه أن يبدو كما لو كان عربيًّا. وفي نهاية الثلاثينات عندما كان لا يزال مجرّد مراهق صغير، انضمّ إلى منظّمة "إرغون" السريّة المتطرّفة التابعة لمناحيم بيغن، وأُرسل في مهمّات بدا فيها كما لو كان شابًّا عربيًّا يعمل في تجارة الماشية والأغنام. وأحسّ والد بن بير بالمخاطر التي كانت تحدق بابنه، فأرسله إلى مدرسة بحريّة في فرنسا معتقدًا أنّ أوروبّا ستكون أكثر أمنًا، إلاّ أنّه لم يمض وقت طويل قبل أن يهجر بن بير اليافع المدرسة ويهرب مع امرأة أكبر منه سنًّا، غير أنّه تعلّم الفرنسيّة بامتياز، وعند عودته إلى فلسطين التحق بمدرسة اسكتلنديّة وتعلّم التحدّث باللغة الانكليزيّة كما لو كان اسكتلنديًّا. وفي خلال الحرب العالميّة الثانية، حارب مع وحدة كوماندوس بريطانيّة في مصر، ثمّ مع عصابة شتيرن التبعة لإسحاق شامير ضدّ البريطانيّين، وذلك قبل أن يلتحق بالجيش الإسرائيلي للاشتراك في حرب سنة ١٩٤٨.

وفي العام ١٩٥٥، وكان عاطلاً عن العمل يتسكّع في حانات تلّ أبيب، سمع بن بير أنّ شامير والأصدقاء الآخرين في العصابة السريّة الصهيونيّة الذين كانوا معه قبل قيام الدولة اليهوديّة قد انضمّوا إلى الموساد. وقد أسعد بن بير الانضمام هو أيضًا إلى تلك الوكالة. وقد تخفّى دون أيّ مصاعب في شخصيّة "فرانسوا ريناكير" بوصفه مواطنًا بلجيكيًّا يعمل خبيرًا عالميًّا في الماشية. وتمكّن من الحصول على دعوة من الحكومة المصريّة للحضور إلى القاهرة كمستشار في تربية الماشية. وذات يوم في نهاية خمسينات القرن العشرين، دقّ جرس الهاتف في شقّة الكاتب الإسرائيلي "آموس

كينان" في باريس، وانطلق صوت لم يسمعه كينان منذ سنوات وقال: "إيسي شارلي". وكان الاسم واحدًا من أسماء بن بير الحركيّة. وظلّ كينان يستمع لدقائق معدودة ثمّ هرع خارجًا للقاء صديقه القديم في عصابة شتيرن على ظهر قارب سياحيّ في نهر السين. ولفرط دهشته وجد الكاتب الاسرائيلي أنّ بن بير رفض الحديث بأيّ لغة سوى الفرنسيّة. وأسرّ إلى كينان قائلاً: "أنا الآن خبير في الماشية ويجب أن تناديني باسم فرانسوا. إنّني أحضر إلى باريس مرّة في الشهر لقضاء ليلة واحدة، على أن أتوجّه إلى بروكسيل في اليوم التالي، ومن هناك أتوجّه إلى القاهرة، وليس هناك من أتحدّث معه. إنّ عملي صعب وقد تدرّبت عليه، وحتّى ولو ناديتني في منتصف الليل بالعبريّة فلن أستيقظ من نومي... ولا أحد في مصر يمكنه أن يتخيّل أنّني أفهم العبريّة... وفي بلجيكا يعتقدون أنّني بلجيكيّ... فلهجة أهل جنوب فرنسا تماثل لهجتهم... ومن أجل دواعي الأمن، فإنّني أقول للناس أيضًا إنّني قضيت زمنًا من الحرب في جنوب فرنسا".

في مصر، كان فرانسوا رينانكير واحدًا من أكثر العملاء جسارة، فقد كان مسؤولاً عن رسم الخرائط للمطارات المصريّة، وعن تقديم معلومات تفصيليّة عن المنشآت العسكريّة، وكان الأمر محفوفًا بالمخاطر، إلاّ أنّه كان واحدًا من العملاء الإسرائيليّين الذين أدّوا مهمّتهم وعادوا إلى إسرائيل. فلم يُقبض عليه أبدًا، ولم يتسبّب في أيّ فضائح، وكانت ميزته الخاصّة أنّه كان بالفطرة "ذئبًا وحيدًا"، وكان يشكّل شبكة جاسوسيّة من رجل واحد. إلاّ أنّه في الوقت نفسه لم يكن قادرًا على المحافظة على توحّده المطلق، فانتهك محاذير الأمن بالتحدّث إلى كينان. وعند عودته إلى إسرائيل في عام ١٩٦٢، وجد أنّ الحياة العلنيّة مملّة، فقد أصبح شخصًا بلا فائدة مع عملاء ميدان سابقين يفتقرون لأيّ نوع من الإثارة، وانتقل إلى كندا بعد أن غيّر اسمه[١].

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٨١ ـ ١٨٣.

إختطَافُ النَّازي أدُولف أيخمَان في الأرجَنتِين

يتفاخر جهاز الموساد بنجاحه في تنفيذ عمليّة اختطاف الزعيم النازي "أدولف أيخمان"، ويطلق العنان لأقسام الحرب السيكولوجيّة في الموساد لتغذية وسائل الإعلام بروايات خياليّة مثيرة حول هذه القضيّة كلما تعرّض جهاز الموساد لهزّة من جراء فشله في عمليّاته، أو إعدام أحد عملائه، أو في عدم قدرته على مواكبة أجهزة المخابرات العربيّة التي حقّقت عليه كثيرًا من الانتصارات، حيث أصبحت عمليّة تكرار ذكر موضوع خطف "أيخمان" تذكيرًا بأن للموساد قدرات فائقة. فقد كانت العمليّة تتلخّص في البحث عن انتصار معنويّ يعظّم من شأن جهاز الموساد الصهيونيّ وسط أجهزة المخابرات المتقدّمة في العالم. فوُضعت الخطّة لتحقيق انتصار على هدف حيويّ يحقّق نصرًا إعلاميًّا، على أن يكون بدون غطاء يحميه سواء كان ذلك الغطاء دولة أو منظّمات شعبيّة في مجالات حقوق الإنسان، فحُدّد الهدف بأن يكون تعقّب وملاحقة النازيّ الألماني "أدولف أيخمان" الذي هرب من ألمانيا النازيّة بعد هزيمتها، ولم يتمكن الناجون من المحرقة النازيّة من القبض عليه، خصوصًا وأنّ الموساد قد يحصل على معلومات تؤكد بأن أدولف أيخمان موجود في بوينس أيرس بالأرجنتين.

ووضعت خطة لتنفيذ عملية اختطافه من الأرجنتين وإحضاره إلى إسرائيل، وتمّت العمليّة بنجاح. وفي إسرائيل تمت محاكمة أيخمان في تل أبيب، ونفّذ فيه حكم الإعدام

في ٣١ أيّار ـ مايو ١٩٦٢ وتمّ حرق جثّته ونثر رمادها على ساحة واسعة فوق البحر المتوسط[١].

وبالعودة إلى بدايات العمليّة وتفاصيلها، فقد أراد إيسر هاريل أن يكون الأمر الإستخباراتيّ الإسرائيليّ برمّته للموساد. وفي النهاية، تمّ التوصّل إلى اتّفاق يقضي بأن تبقى مسؤوليّات العمليّات في البلاد العربيّة في أيدي المخابرات العسكريّة، على أن يُسمح لهاريل بأن يمدّ نطاق عمل قسم العمليّات الصغير الخاصّ به ليصبح مسؤولاً عن بقيّة العالم. وقد أسّس هاريل وحدة العمليّات بحماسه العنيد المعروف، وبوصفه مسؤولاً، من الناحية العمليّة، عنّ كلّ من شين بيت والموساد، فقد أصرّ على أن تكون الوحدة الجديدة متاحة لكلّ من الوكالتين، وبأن تستخدم أفضل العناصر البشريّة في كلتيهما. وقد قاد هذا القسم "رافي إيتان"، و"أفراهام شالوم"، الذي كان يطلق عليه من قبل إسم "بندور"، واللذين سيظهر كلّ منهما بعد ذلك في عمليّات متعدّدة تثير الفضيحة.

في الأعوام التالية، استمتع هاريل في استخدام لعبته الجديدة. فعندما بدأ قسم العمليّات نشاطه، كان هاريل يظهر غالبًا على المسرح ليفحص الخرائط والخطط، وليشرف على التغييرات التي تحدث في الدقائق الأخيرة، ويتمتع بالإثارة. وبدأ عملاؤه يتحرّكون في جميع أنحاء العالم، في لندن وباريس وجنيف وروما وإنتويرب وجوهانسبورغ ونيو يورك...

والآن، وقد أصبح إيتان وشالوم وغيرهما من العملاء الميدانيّين رهن إشارة هاريل، فقد أصبح بإمكان الأخير أن يتابع هدفًا يقع بعيدًا عن موارده المتاحة... ولكونه يتوق إلى الكمال، فقد أزعجته حقيقة أنّ أسوأ أعداء الشعب اليهوديّ ما زالوا طليقي

---

١ ـ صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، ص٢٨١.

السراح، فعلى الرغم من أنّ عددًا قليلاً من مجرمي الحرب النازيّين قد مثلوا كمتّهمين أمام محكمة "نورمبورغ" في عام ١٩٤٦، إلاّ أنّ آلافًا غيرهم قد هربوا من العدالة... وسمحت المخابرات الغربيّة لبعضهم بالتعاون معها في الحرب الباردة ضدّ الشيوعيّة. واعتقد هاريل بأنّه ينبغي على إسرائيل أن تقدّم أسوأ النازيّين للعدالة... وكان من المعروف أنّ اثنين منهم، على وجه الخصوص، قد تمكّنا من الإفلات بعيدًا، هما: "أدولف أيخمان"، الذي أدار "الحلّ النهائيّ" لهتلر، الذي ضمن مصرع ملايين اليهود بكفاءة نادرة؛ والدكتور "جوزيف مينغل" المعروف بتجاربه الطبيّة الوحشيّة في معسكر الموت في "أوشفيتز". وأوضح هاريل لمصادر معلوماته في المخابرات الألمانيّة الغربيّة أنّ أيّ معلومات بشأن إيخمان ومينغل ستكون موضع ترحيب بالغ.

في أواخر سنة ١٩٥٧، بدت المعلومات السريّة التي وردت من اليهودي "فريتز بوير" المدّعي العام لولاية "هيس"، مقنعة حيث ذكرت أنّ أيخمان يعيش في الأرجنتين. وبعث هاريل عددًا من عناصر قسم عمليّاته الجديد إلى الأرجنتين للقيام بعمليّات بحث ببطء ومثابرة عن مهندس عمليّات القتل الجماعي النازيّة. وكانت تلك هي أبعد نقطة سافر إليها رجال المخابرات الاسرائيليّة حتّى ذلك التاريخ. وكان فرق عملاء المخابرات الاسرائيليّة في بوينس أيرس وغيرها من الأماكن في أميركا الجنوبيّة باهظ التكاليف... لكنّ هاريل كانت لديه ميزانيّة لوحدة عمليّاته وكان ذلك هو المكان الذي ينفقها فيه.

في بداية عام ١٩٦٠، عثر رجال هاريل على أيخمان بناء على معلومات جديدة من بوير في ألمانيا. وقد كان النازي السابق يعيش مع زوجته وأبنائه الأربعة في بوينس أيرس تحت اسم "ريكاردو كليمنت". وأبلغ هاريل بن غوريون الذي عاد مرّة أخرى رئيسًا للوزراء، وحصل على موافقته بسرعة على اختطاف أيخمان لكي يمكن

تقديمه للمحاكمة في إسرائيل. وتمّ اختيار أكثر من عشرين رجلاً بالإضافة إلى امرأة واحدة على الأقلّ من كلّ من الموساد وشين بيت كـ"فريق اختطاف" والقيام بأدوار المراقبة والمساندة، ولم يُفرض على أيّ منهم الاشتراك في هذه العمليّة، فجميعهم ينبغي أن يكونوا من المتطوّعين. فكان أكثرهم قد فقد أقارب له في عمليّات الإبادة، وهم يكرهون أيخمان. وقد حذّرهم هاريل بأنّ عليهم التحكّم في عواطفهم. وبسبب التعقيدات التنفيذيّة والسياسيّة وحتّى الشخصيّة للعمليّة. فقد طار هاريل بنفسه إلى باريس لإقامة مركز تجميع وإعداد لعمليّة الاختطاف، ثمّ توجّه إلى الأرجنتين ليتحمّل المسؤوليّة الكاملة والشخصيّة للعمليّة. وتوجّه أمهر مزيّف للموساد إلى أوروبّا حيث أعدّ الجوازات والوثائق الأخرى المزيّفة لجميع العملاء حتّى يمكنهم التوجّه إلى بوينس أيرس على رحلات جويّة متفرّقة وتحت أسماء لن تستخدم بعد ذلك مطلقًا. وكيلا يتركوا أيّ أثر خلفهم، توجّه المزيّف أيضًا إلى الأرجنتين ومعه عدّته الكاملة من أقلام وأوراق خاصّة وأختام لتزويد كافّة الاسرائيليّين القائمين بالعمليّة بهويّات جديدة، وإعداد هويّة أو جواز سفر كذلك لأيخمان نفسه حتّى يمكن تهريبه إلى الخارج.

في بوينس أيرس، تمّ استئجار عدد من "المنازل الآمنة" والسيّارات، كما تمّ تخصيص امرأة عميلة للقيام بالدور التقليديّ كربّة بيت لطهو الطعام وترتيب مقرّ الإقامة الذي سيتمّ فيه احتجاز المختطف النازيّ. وقد حظي إيتان وشالوم وزميلهما "زفي مالكين" بشرف اختطاف أيخمان بالقوّة. فقد أمسكوا به في ١١ أيّار ـ مايو ١٩٦٠، بالقرب من منزله، ودفعوا به إلى المقعد الخلفيّ للسيّارة... ولم يبدِ "كليمنت" أيّ مقاومة، واعترف على الفور بأنّه "أدولف إيخمان".

لقد تمّ توقيت عمليّة الاختطاف لتتوافق مع زيارة رسميّة لوفد إسرائيليّ للأرجنتين، حيث شارك العديد من الضيوف الأجانب في الاحتفالات بمرور ١٥٠ عامًا على

استقلال الأرجنتين. وكانت طائرة شركة "العال" الإسرائيليّة قد نقلت أعضاء الوفد إلى الأرجنتين في ١٩ أيّار ـ مايو على أن تعود إلى تلّ أبيب في وقت متأخّر من الليلة التالية. وذكر هاريل وبعض رجاله بعد ذلك أنّ أكثر مهمّاتهم صعوبة تمثّلت في إطعام أيخمان والعناية به لمدّة تزيد على تسعة أيّام في انتظار وجود رحلة جويّة إلى إسرائيل للعودة. وقد قاموا باستجواب سجينهم، وكانوا يحدّقون في وجهه بدهشة لاكتشافهم كيف يمكن أن يبدو الشخص الذي يجسّد الشرّ كما لو كان شخصًا عاديًّا. ووقّع الرجل الأصلع، الذي يعتمد على نظّاراته في القراءة، بخضوع، على بيان يوافق فيه على محاكمته أمام محكمة إسرائيليّة. ثمّ راح ينتقل من الحديث بالألمانيّة إلى ترتيل صلاة "شيما" بالعبريّة، وهي الصلاة التي كان اليهود يرتّلونها وهم يتّجهون إلى ملاقاة حتفهم في غرف الغاز النازيّة: "... واسمع يا إسرائيل، الله هو إلهنا، الله واحد". ووفقًا لما قاله هاريل، فإنّ أيخمان قد ادّعى بأنّه كان صديقًا عظيمًا لليهود... فشعر إذذاك العملاء بالحنق، وبدأ بعضهم في نسيان الأوامر بألاّ يمسّوه، فقد أرادوا قتله. إلاّ أنّهم لم يفعلوا ذلك. وبدأ هو بالتوسّل للحصول على مزايا صغيرة. وقال الأسير أيضًا إنّه سيكشف عن كافّة أسرار هتلر إذا أبقى الإسرائيليّون على حياته. ووعده هاريل بأنّه سيتمّ توكيل أفضل محام متاح للدفاع عنه في خلال محاكمته.

لم يمض سوى وقت قصير في "المنزل الآمن" حيث كان أيخمان مربوطًا في أحد المخادع بالسلاسل. فقد ابتكر هاريل بدلاً من ذلك أسلوبًا تجسّسيًّا آمنًا، يمكن أن يُطلق عليه اسم "مقرّ القيادة المتنقّل"، حيث أبلغ كبار عملائه أين يمكن أن يجدوه في خلال ساعات محدّدة من اليوم، وبدأ في التنقّل من مقهًى إلى آخر في العاصمة الأرجنتينيّة المبنيّة على الطراز الباريسيّ. ولم يكن من المرجّح لأيّ أجنبيّ أن يتذكّر أنّه رآه في أيّ موقع محدّد ثابت.

في ٢٠ أيّار - مايو أقام هاريل مقرًا للقيادة في مقهى مطار "إيزيزا"، مضحّيًا بالحذر الواجب من أجل الاشراف على العمليّة من موقع الأحداث، وكان يجلس إلى مائدة ومعه المزيِّف ليفحص ويوزّع وثائق السفر التي يحتاجها عملاؤه للرحيل الآمن والموثوق بالمخطوف من بوينس أيرس. وفي "المنزل الآمن"، أُلبس أيخمان والرجال الذين سيرافقونه زيّ العاملين في شركة الخطوط الجويّة الاسرائيليّة "العال". وقام طبيب تابع للموساد، متخصّص في التخدير، بحقن أيخمان في ذراعه بمهدّئ قويّ، ولم يثر عضو طاقم الطائرة الذي يمكن أن يكون نائمًا أيّ تساؤلات وهم يصعدون إلى متن طائرة الركّاب الاسرائيليّة في تلك الليلة إلى جانب الشخصيّات الاسرائيليّة البارزة غير المشكوك فيها التي حضرت احتفالات الأرجنتين، ومن بينهم "أبا إيبان" الذي كان يومذاك وزيرًا للتعليم. ولم يتمّ إبلاغ قائد طائرة العال بأيّ شيء عن الراكب "النائم" الذي يطير معه حتّى بعد إقلاع الطائرة من بوينس أيرس في الدقائق الأولى من صباح ٢١ أيّار - مايو ١٩٦٠. وبناء على توصية من هاريل، لم تتوقّف الطائرة للتزوّد بالوقود إلاّ في أبعد مدينة يمكن تصوّرها خارج خطّ سير الطائرة الأصليّ. وقد استنفدت أخر نقطة من الوقود لكي تصل إل "داكار" في السنغال، حيث لا يوجد أحد في غرب أفريقيا يمكن أن يقوم بتحريّات حول الألمانيّ - الأرجنتينيّ المفقود. وأعيد تزويد الطائرة بالوقود بسلام، ووصلت الطائرة الخاصّة التي تحمل النازيّ المخطوف إلى تلّ أبيب في السابعة من صباح ٢٢ أيّار - مايو ليواجه القضاء الإسرائيليّ.

إدعى أيخمان بأنّه كان ينفّذ الأوامر فقط، إلاّ أنّه أدين بتهمة ارتكاب جرائم ضدّ الإنسانيّة، وتمّ شنقه في سجن الرملة في ٣١ أيّار - مايو ١٩٦٢.

وشيّد فرن خاصّ لحرق جثّته، وفي خلال نثر الرماد على مساحة واسعة فوق البحر، كان بن غوريون قد أمر بإخفاء كلّ أثر حتّى يقطع على المتعاطفين طريق

تحويل أيخمان إلى رمز عبادة نازيّ. فقد أرادت إسرائيل أن تمحو أيخمان من الوجود على وجه الأرض. بعدئذٍ جرى تفكيك الفرن ولم يستخدم أبدًا لا قبل ولا بعد ذلك.

إثر تلك العمليّة، كان بن غوريون رئيس الوزراء قد أقدم على خطوة نادرة وأشاد بمؤسّسة المخابرات في اليوم التالي لوصول أيخمان إلى إسرائيل، عندما أبغ الكنيست أنّ أجهزة الأمن الاسرائيليّة قد عثرت على أدولف أيخمان وأنّه سيمثل أمام المحكمة قريبًا في إسرائيل. وردّ البرلمان الاسرائيليّ بتصفيق جماعي.

كان اختطاف أيخمن والثناء الشعبيّ الهائل الذي حظيت به مؤسّسة المخابرات الاسرائيليّة من أمجد أيّام هاريل. وأصبح يشار إليه بأنّه الرجل الذي ألقى القبض على أيخمان. ولم يكشف هاريل إلاّ بعد مرور عشرات السنوات عن أنّ الفريق العامل معه كان على وشك القبض على "جوزيف مينغل" في الليلة التي اختطف فيها أيخمان.

يقول "زفي مالكين" الذي أصبح في ما بعد كاتبًا تحت إسم مستعار هو "بيترمان" إنّه ضغط على أيخمان للحصول على معلومات عندما طلب منه أن يقول لهم "أين يوجد صديقك مينغل... فمن المؤكّد أنّك تعرف أين يعيش". إلاّ أنّ أيخمان أصرّ على أنّه لا يعرف شيئًا. واضطرّ مالكين أن يبلغ هاريل بما حدث قائلاً: "لقد حاولت معه كلّ شيء، وأعتقد أنّه ليست لديه أيّ فكرة عن مكان وجود مينغل، أو أنّه لا يرغب في أن يقول شيئًا". ويقول هاريل إنّه كان يشكّ في أنّ أيخمن الذي يعيش في حيّ شعبيّ فقير، كان يتلقّى العون من مينغل. وقد حصل الإسرائيليّون على عنوان توجّهوا إليه، وهو مسكن فاخر في بوينس أيرس كان يعيش فيه مينغل. وبعد أن قام الاسرائيليّون بتفحّص المبنى وتفتيشه، اكتشفوا أنّ مينغل وأسرته هربوا من المسكن قبل أسبوعين فقط من اختطاف أيخمان". وعلى ما يبدو فإنّ الطبيب النازيّ قد أصيب بالفزع من التقارير التي نقلت حديثًا عن خطاب لأحد صائدي النازيّين في نيو يورك، قال فيه إنّه يمكن

العثور على مينغل في العاصمة الأرجنتينيّة. وطبقًا لهاريل، فإنّ مينغل انتقل إلى الباراغواي ثمّ إلى البرازيل بعد ذلك. إلاّ أنّ محاولات القبض على مينغل قد استمرّت، وعندما ذكرت السلطات البرازيليّة عام ١٩٨٥ أنّ الطبيب النازيّ قد مات، بعد سنوات من إصابته بالسرطان، بعثت الموساد سرًّا بأخصّائي في علم الأمراض لفحص هيكله العظميّ، وليؤكّد أنّه يمكن شطب اسمه من على رأس قائمة المطاردين مرّة واحدة وإلى الأبد...

لم يكن هاريل يرغب في الاكتفاء بالمجد الذي حقّقه في عمليّة أيخمان، وواصل الضغط للإمساك بمزيد من مجرمي الحرب النازيّين، فالأمر بالنسبة إليه كان بمثابة مهمّة مقدّسة... فالأجهزة السريّة في الدول الأخرى تحاول فقط الامساك بالاشخاص الذين هم من الأعداء الذين يشكّلون خطرًا فعليًّا أو محتملاً على الدولة التي تعمل لها تلك الأجهزة، أمّا هاريل، فقد رغب في أن تشنّ الموساد حملة مطاردة عالميّة هائلة لمن يعتبرهم مجرمين من دول أخرى، عملوا في دولة ثالثة أو رابعة ضدّ شعب وليس ضدّ المصالح الأمنيّة لدولة إسرائيل التي لم تكن قد وجدت بعد وقت ارتكاب هذه الأعمال. وقد توصّل هاريل إلى تشكيل وحدة خاصّة لتنسيق مهمّتها المحدّدة اصطياد النازيّين الذين عذّبوا اليهود أو قتلوهم، برئاسة ضابط الموساد "شمويل توليدانو"، الذي كان عمل على إخراج اليهود المغاربة في منتصف خمسينات القرن العشرين. وقد ساعد الألمان الغربيّون الاسرائيليّين في وضع قائمة النازيّين العشرة المطلوب القبض عليهم أكثر من سواهم. وقامت وحدة توليدانو، من بين أهداف أخرى، بالبحث عن الدكتور مينغل، و"مارتن بورمان" نائب هتلر ورئيس الغستابو، و"هبتريش موللر"، و"ليون دي غريل" وهو بلجيكيّ خدم بحماس كضابط في قوّات العاصفة النازيّة.

أثارت مطاردة دي غريل فضيحة غريبة حيث علم أنّ "زفي ألدوبي"، وهو عميل سابق في شين بيت، أنّ الموساد تبحث عن البلجيكي النازي. وراودته الأحلام في أن يسرق هذا المجد بطريقة أو بأخرى. فاتّصل بـ"إيغال موسينسون"، وهو كاتب إسرائيليّ شهير، عمل من قبل نقيبًا في البوليس، وجنّده للقيام بعمليّة اختطاف، وأعطاه الانطباع بأنّها مهمّة رسميّة لصالح الحكومة.

كان ألدوبي يعمل آنذاك صحافيّا لبعض الوقت، فاستغلّ صلاته لتجنيد الاصدقاء القدامى في الأجهزة السريّة الفرنسيّة بمن فيهم الحارس الشخصيّ للرئيس ديغول. فقد أمل ألدوبي في أن يبيع الرواية في نهاية المطاف كسيناريو لأحد الأفلام، كما تلقّى تقديمات ماليّة من مجلاّت شهيرة للغرض نفسه.

بدأ الفريق الذي تمّ تلفيقه بطريقة غريبة العمل في إسبانيا. وتعقّبوا دي غريل حتّى الفيلاّ التي يقيم فيها بالقرب من "سيفيل"، وهم يخطّطون لاختطافه، بالطريقة التي اختطف فيها أيخمان. على أن يقوموا بتسليمه بعد ذلك للسلطات البلجيكيّة التي كانت قد حكمت عليه غيابيًّا بالاعدام. وحداهم الأمل أيضًا في أن يقودهم في النهاية إلى "بورمان" بعد أن ضبطوا رسائل متبادلة بينهما.

عقب العديد من الرحلات الاستطلاعيّة، تمّ القبض على ألدوبي وشريكه الفرنسيّ "جاك فنستون" عند عبورهما الحدود من فرنسا إلى إسبانيا في ١٤ حزيران يونيو ١٩٦١، للقيام بعمليّة الاختطاف. وبعد ذلك بأيّام قليلة، ألقى البوليس السرّي الإسباني القبض على موسينسون على ظهر اليخت الذي كان من المقرّر نقل دي غريل إليه بعد اختطافه. ويعيد موسينسون إلى الأذهان ما حدث قائلاً: "من المحتمل أنّنا كنّا مراقبين طوال الوقت، فإنّ ألدوبي ثرثار كبير، وكان يتحدّث عن العمليّة على الهاتف، كما أنّ صديقاته، وهنّ كثيرات، كنّ يعلمن بالعمليّة".

احتجز الإسبان ألدوبي وفنستون وعذّبوهما وأصدروا بحقّهما حكمًا بالسجن لمدّة سبع سنوات، وكان موسينسون أكثر حظًّا فقد أفرج عنه بعد بضع ساعات فقط، إلاّ أنّه ما زال يجهل السرّ الذي يقف وراء إطلاق سراحه بعد مرور أكثر من عشرين عامًا. وكان عميل للموساد قد أبلغه بأنّ تدخّل رئيس وزراء إسرائيل كان وراء حظّه السعيد. وقيل له إنّ بن غوريون كان معجبًا بكتاباته وإنّ "الرجل العجوز" اتّصل هاتفيًّا بالجنرال فرانكو وقال له: "لا تمسّ موسينسون، واطلق سراحه"...

كان لعمليّة القبض على أيخمان وسائر أنشطة الأجهزة الاستخباريّة الاسرائيليّة في أوروبّا وأميركا اللاتينيّة تأثيرًا سلبيًّا محدّدًا على المخابرات الأسرائيليّة، فقد شعر العديد من الدول الأوروبيّة بالانزعاج حيال عملاء إسرائيل بعد العمليّة الفاضحة التي استهدفت دي غريل، لكنّ هاريل واصل إرسال رجال وحدة العمليّات المشتركة التابعة للموساد وشين بيت في مغامرات خارجيّة، وكان يضيف اسمه إلى قائمة العاملين إذا ما كانت العمليّة مثيرة للاهتمام على نحو خاص.

وإذا كانت عمليّة أيخمان قد حقّقت مجدًا للموساد في العالم بأسره، إلاّ أنّ هذه العمليّة قد أدّت أيضًا إلى زيادة حدّة العداء لليهود في الأرجنتين، وعرّضت النصف مليون يهودي المقيمين هناك للخطر. وتحدّثت التقارير عن زيادة كبيرة في عدد الهجمات على اليهود من جانب "تاكورا" أو "ريد"، وهي جماعة فاشيّة أرجنتينيّة تضمّ بين صفوفها العديد من أبناء وبنات كبار ضبّاط البوليس والجيش. وفي أوّل تمّوز ـ يوليو ١٩٦٢، أختطف أعضاء تاكورا الطالبة اليهوديّة "غارسيا سيروتا" ووشموا على صدرها رسمًا للصليب المعقوف. وقد أثار الحادث موجة من الصدمة بين الجاليات اليهوديّة في الأرجنتين، وكتبت الصحف الاسرائيليّة مقالات افتتاحيّة تحثّ الحكومة على إرسال المعونة "للأشقّاء اليهود". ولم يكن هاريل بحاجة إلى أيّ تشجيع، وصدرت

التعليمات إلى "توليدانو" بإحضار الناشطين اليهود الشباب من الأرجنتين والبلاد المجاورة إلى إسرائيل لتلقّي تدريبات مكثّفة في الدفاع عن النفس. وكان ذلك مشروعًا سريًّا للموساد، وأصبح التركيز الجديد على النازيّين وما سُمّي "العداء للساميّة"، مثلهما في ذلك مثل اصطياد الجواسيس الشيوعيّين، هاجسين آخرين بالنسبة إلى هاريل، الأمر الذي سيؤدّي إلى سقوطه في النهاية[1].

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٤٨ ـ ١٥٧.

قضيَّةُ الوَلدِ اليَهوديّ المخطُوف

من القضايا البارزة التي حقّقها هاريل في أواخر عهده، كانت نجاحه في العثور على الصبيّ اليهوديّ المخطوف "يوسيلي" أو "جوزيل شوماخر" وإرجاعه من الخارج سنة ١٩٦٢. فما هي قضيّة شوماخر؟

يروي بعض الباحثين[١] هذه القضيّة على الشكل التالي:

كان اليهود الحرفيّون في الحكومة الإسرائيليّة قد أصبحوا أشدّ صخبًا في شكواهم من أنّ إيسر هاريل صار أوتوقراطيًّا بما لا يطاق، وما يزال يزداد استخفافًا بمشاعرهم الدينيّة المرهفة، وأنّ له برنامجه الخاصّ، وربّما تملّكه طموح ليصل إلى أعلى منصب سياسيّ في الدولة. وكانت مخاوف بن غوريون السياسيّة على أشدّها، فبردت العلاقات بينه وبين هاريل، وبعدما كان يمنح هاريل حريّة شبه كاملة في الحركة إذا به الآن بدأ يطالبه بالاطّلاع على أدقّ التفاصيل عن كلّ عمليّة. ولم يرق هذا القيد لهاريل لكنّه لم يشكُ، وتصاعدت حملة التهامس عليه.

في شباط ـ فبراير ١٩٦٢، تضامن أصحاب حملات التعريض في قضيّة الطفل ذي الثماني سنوات "جوزيل شوماخر". قبل ذلك بسنتين، كانت طائفة يهوديّة متعصّبة قد خطفت الطفل من والديه. كان جدّ الطفل لجهة والدته "نعمان شتركس" عضوًا في طائفة "ناطوري كارتا" أي "نواطير المعبد"، وقد اشتُبه في ضلوعه بالاختطاف. ونظّمت الشرطة عمليّة بحث واسعة عن جوزيل لكنّها لم تتوصّل إلى أيّ دليل على مكان وجوده. وكان نعمان قد أُدخل السجن لمدّة قصيرة لرفضه التعاون مع التحقيق،

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٥٧ وما بعدها.

فجعل اليهود الحرفيّون من نعمان شهيدًا وتظاهر الآلاف وهم يرفعون يافطات تعلن أنّ بن غوريون بسجنه لرجل عجوز لا يختلف عن النازيّين. وأُطلق سراح نعمان "لأسباب صحيّة". لكنّ أعمال الاحتجاج استمرّت. وتلقّى بن غوريون تحذيرًا من مستشاريه السياسيّين بأنّ القضيّة قد تكلّفه خسارة الانتخابات المقبلة. والأسوأ من ذلك، أنّه في حال نشوب حرب أخرى مع العرب فإنّ بعض المجموعات الدينيّة الحرفيّة قد تساند العرب فعلا. فأرسل رئيس الوزراء الذي كان يعدّ للمعركة يستدعي هاريل، وأمر الموساد بالعثور على الطفل. وقد ردّ هاريل بأنّ هذا ليس من مهام الجهاز. وممّا قاله في ما بعد: "تكهرب الجوّ، فأعاد القول إنّه يصدر إليّ أمرًا. فقلت إنّني أحتاج على الأقلّ إلى الاطّلاع على ملفّ الشرطة. فقال رئيس الوزراء إنّه يمهلني ساعة".

كان الملفّ ضخمًا لكنّه حرّك في أعماق هاريل وهو يقرأه شيئًا ما: حقّ الوالدين بإنشاء طفلهما بعيدًا عن ضغوط الإيمان الدينيّ المتطرّف.

كان جوزيل قد ولد في آذار ـ مارس ١٩٥٣ لوالدين هما "آرثر وإيدا شوماخر". ونظرًا للصعوبات الماليّة التي مرّت بها العائلة، أُرسل جوزيل للإقامة مع جدّه في القدس حيث وجد الطفل نفسه في جيب دينيّ محاصر، منعزل روحيًّا عن باقي المدينة. شيئًا فشيئًا، شرّب نعمان حفيده مبادئ الطائفة. وعندما جاء والدا جوزيل لزيارته، أظهر نعمان غضبه وهو ينتقد مواقفهما الدينيّة الشاذّة.

كان الرجل العجوز من جيل يعتبر أنّ إيمانه الدينيّ أعانه على البقاء حيًّا على رغم "المحرقة النازيّة". وشعرت ابنة نعمان وصهره أنّ دورهما الأوّل هو تأسيس حياتهما في الدولة الجديدة، ما أدّى في الغالب إلى حلول الصلاة في مركز الاهتمام الثاني. وإذ ضاق والدا جوزيل ذرعًا بانتقادات نعمان المتكرّرة قالا أنّهما يريدان استعادة الطفل. فرفض نعمان بحجّة أنّ انتقاله للعيش معهما سيعطّل تدريبه على حياة

تعبّد ستفيده عندما يكبر. وتكرّرت المجادلات الغاضبـة، ثمّ عند زيارتهما التاليـة إلـى القدس كان جوزيل قد اختفى.

جرى استغلال الحادثة من قبل اليهود الحرفيّين والعلمانيّين على السواء الذين نفثوا أحقادهم إزاء قضيّة كانت لا تزال تقسم البلاد، وكان نموذجها حزب العمل بقيـادة بـن غوريون الذي ما كـان ليستمرّ فـي السلطة لـولا ضمّـه معاً مختلـف المذاهـب الدينيـة اليهوديّة داخل البرلمان. وحصلت هذه المجموعات بدورها علـى مزيـد مـن التنـازلات لتشديد القوانين واتّفاقها مع الشريعة. لكنّهم كانوا دائمًا يطالبون بالمزيد. وطالب اليهـود الليبيراليّون بأن يعاد جوزيل إلى أبويه.

عندما فرغ إيسر هاريل من قراءة الملفّ قـال لبـن غوريـون إنّـه سيعبّئ إمكانـات الموساد، فألّف فريقًا قوامه أربعـون عنصـرًا للعثـور علـى جوزيـل، وكـان عـدد منهم يعـارضـون صراحـة إسـاءة اسـتعمال مهـارتهم بهـذا الشـكل، علـى أنّ هــاريل أسـكت انتقاداتهم بخطبة سريعة قال فيها: "على الرغم من أنّنا سنعمل خارج إطار اختصاصنـا فإنّ هذع تبقى قضيّة هامّة جدًّا، وتعود أهمّيّتها إلى خلفيّتها الاجتماعيّة والدينيّة، وكذلـك لكـون هيبـة حكومتنـا وسـلطتها فـي الميزان. وهـي مهمّــة أيضًـا لمساسـها بالقضايـا الانسانيّة".

اكتشف أعضاء الفريق في خلال الأسـابيع الأولـى مـن التحقيقـات مستوى الهول الذي سيكون عليه التحقيق، فقد عمد أحد عمـلاء الموسـاد الـذي سـيصبح فـي مـا بعد رئيسًا لشين بيـت إلـى تطويـل شـعره ولفّـه فـي جدائـل جانبيّـة كمـا يفعـل الحرفيّـون المتطرّفون وذلك لتسهيل اختراق صفوفهم. لكنّه فشل. وأُمر عميل موساد آخر بوضـع إحدى المدارس اليهوديّة تحت المراقبة، فأمكن التعـرّف عليـه بعـد أيّـام قليلـة. وحـاول عميل ثالث التسلّل إلى مجموعة من اليهود القادمين من أوروبّا الشرقيّة كانوا مسـافرين

إلى القدس لدفن قريب لهم داخل جدران المدينة، ولكن سرعان ما جرّد من قناعه عندما لم يعرف تلاوة الصلاة الخاصّة بالمناسبة.

لم تزد هذه المحاولات الفاشلة هاريل سوى إصرار. فأبلغ أعضاء فريقه أنّه متأكّد من أنّ الطفل لم يعد في إسرائيل بل في مكان ما من أوروبّا أو ربّما أبعد من ذلك. ونقل هاريل مقرّ العمليّة إلى مكان آمن الموساد في باريس، ومن هناك أرسل رجاله إلى كلّ جالية يهوديّة حرفيّة في إيطاليا والنمسا وفرنسا وبريطانيا. وعندما ذهبت جهوده أدراج الرياح أرسل عملاءه إلى أميركا الجنوبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة. واستمرّت الحوادث الغريبة تفعم التحقيق نشاطً. وانضمّ عشرات عملاء الموساد إلى صلاة عاديّة صباح السبت في كنيس يقع في ضاحية "هندن" اللندنيّة. واستدعى جميع المصلّين الغاضبين الشرطة لاعتقال "الدجّالين الدينيّين" بعدما ظهر زيف لحاهم أثناء التدافع. وأُفرج عن العملاء بهدوء بعد تدخّل السفير الإسرائيليّ لدى وزارة الخارجيّة. ثمّ دُعي حاخام من اليهود الحرفيّين إلى باريس بحجّة أنّ أحد أبناء العائلات الثريّة يرغب في أن يحضر حفلة ختانه. فاستقبله على المطار رجلان يرتديان معطفين أسودين ويعتمر كلّ منهما قبّعة سوداء شأن اليهود الحرفيّين. وكان هذان عميلين للموساد. وقد وضعا تقريرًا يتضمّن عنصرًا من عناصر الكوميديا السوداء.

يقول التقرير: "جرى اصطحاب الحاخام إلى ماخور في حيّ البيغال في باريس حيث تنتشر علب الليل والغانيات... ولم يكن يعرف ما هو. وفجأة ظهرت عاهرتان دفعنا أتعابهما وانقضّتا عليه. فأخذنا صورًا تظهّر فوريًّا وأطلعناه عليها وقلنا إنّنا سنرسلها إلى جماعته ما لم يكشف لنا عن مكان الصبيّ. وأقنعنا الحاخام أخيرًا بأنّه لا يعرف شيئًا عن الصبيّ فأتلفنا الصور أمامه".

ظهر حاخام آخر إسمه "شاي فراير" في خطّة البحث التي وضعها هاريل والتي كانت تزداد توسّعًا داخل مجتمع اليهود الحرفيّين. عثر عملاء الموساد على الحاخام بينما كان يسافر بين باريس وجنيف. وبعد استجواب مضن اقتنع العملاء بأنّهم كانوا يسيرون مرّة أخرى في طريق مسدود. عندئذ أمر هاريل باحتجاز "فراير" كسجين في أحد منازل الموساد السريّة في سويسرا حتّى نهاية البحث. فقد كان يخشى أن ينبّه الحاخام جماعة اليهود الحرفيّين إلى ما كان يجري.

وظهر طرف خيط جديد عن طريق "مادلين فراي"، وهي ابنة عائلة فرنسيّة أرستقراطيّة وإحدى بطلات المقاومة الفرنسيّة في الحرب العالميّة الثانية. كانت مادلين قد أنقذت عددًا من الأطفال اليهود وحالت دون ترحيلهم إلى معسكرات الموت النازيّة. وبعد الحرب انضمّت إلى الحركة الحرفيّة اليهوديّة. وقد أظهرت التحريّات أنّها كانت تتردّد إلى إسرائيل وتمضي مدّة إقامتها مع أعضاء فرقة "ناطوري كرانا"، وأنّها التقت جدّ جوزيل في مناسبات عدّة. وكانت أخر زيارة لها إلى إسرائيل قد تمّت في حوالي وقت اختطاف جوزيل. ومنذ ذلك الحين لم تعد مادلين إلى إسرائيل. وفي آب ـ أغسطس ١٩٦٢، أمكن عملاء الموساد أن يستدلّوا إلى مكان إقامتها في إحدى ضواحي باريس. وعندما عرّفوا بأنفسهم هاجمتهم لتقاتلهم. فاستدعى أحد العملاء إيسر هاريل الذي شرح لمادلين "الإساءة الكبرى" التي لحقت بوالدي الطفل... فلهما الحق المعنويّ بتنشئة ابنهما كما يرغبان. ولا يجوز حرمان أي والدين من ذلك الحقّ. ولكنّ مادلين ظلّت تصرّ على أنّها لا تعرف شيئًا عن جوزيل. ورأى هاريل أنّ رجاله يصدّقونها. فطلب جواز سفر مادلين. وتحت صورتها كانت صورة لابنتها. فطلب من أحد العملاء أن يأتيه بصورة لجوزيل. فتبيّن أنّ تكوين الوجه لدى الطفلين في الصورتين متماثل تقريبًا. فاتّصل هاريل بتلّ أبيب، ويقول هاريل:

خلال ساعتين جاءني كلّ ما كنت بحاجة إلى معرفته من تفاصيل حياتها العاطفيّة في خلال مدّة دراستها إلى قرارها الانضمام إلى الحركة اليهوديّة الحرفيّة بعدما تخلّت عن إيمانها الكاثوليكي. فعدت إلى مادلين وقلت لها بلهجة مَن يعرف كلّ شيء إنّها صبغت شعر جوزيل لإخفاء هويّته وهرّبت الصبيّ من إسرائيل. فأنكرت ذلك إنكارًا تامًّا. فقلت يجب أن تعرف أنّ مستقبل البلد الذي أحبّته مهدّد بخطر ماحق وأنّ شوارع القدس تشهد أناسًا أحبّتهم وهم يتراشقون بالحجارة. ومع ذلك رفضت الاعتراف بشيء. قلت أنّ للصبيّ أمًّا تحبّه بقدر ما أحبّت هي أولئك الأطفال الذين ساعدتهم في الحرب العالميّة الثانية... وهنا نفعت الذكرى، وفجأة بدأت مادلين تشرح كيف أنّها سافرت عن طريق البحر إلى حيفا كسائحة جاءت لتزور إسرائيل. وعلى متن السفينة تصادقت مع عائلة من المهاجرين الجدد كانت ابنتهم بعمر جوزيل. فاصطحبت الطفلة وهي تعبر اللوح الخشبيّ إلى البرّ في ميناء حيفا، فظنّ الضابط المسؤول عن الجوازات أنّها ابنة مادلين، ووضع إشارة بذلك في سجلاّته. وبعد أسبوع وتحت أنظار الشرطة الإسرائيليّة صعدت إلى الطائرة المتوجّهة إلى زوريخ ومعها "ابنتها". وكانت مادلين قد أقنعت جوزيل بارتداء ثياب فتاة وصبغ شعره.

عاش جوزيل مدّة في مدرسة يهوديّة حرفيّة في سويسرا، كان في خلالها معلّمه الحاخام "شاي فراير". وعقب احتجازه، سافرت مادلين بصحبة جوزيل إلى نيو يورك حيث وضعت الصبيّ بعهدة عائلة من طائفة "ناطوري كرتا". وسألها هاريل سؤالاً أخيرًا: "هل تعطيني إسم وعنوان تلك العائلة؟".

مضت برهة صمت طويلة قبل أن تجيب مادلين بهدوء: "إنّه يقيم في ١٢٦ شارع بن، بروكلين، نيو يورك. وهو يعرف باسم "يانكال غرتنر".

ولأوّل مرّة منذ لقائهما ابتسم هاريل وقال: "أشكرك مادلين. وأريد أن أهنّئك بأن أعرض عليك وظيفة في الموساد. إنّ موهبتك مفيدة جدًّا لإسرائيل". ولكنّ مادلين رفضت العرض.

سافر عملاء الموساد إلى نيو يورك حيث كان بانتظارهم فريق من عملاء مكتب التحقيقات الفيديرالي FBI. وقد صرّح للفريق بأنّ وزير العدل الأميركيّ "روبيرت كينيدي"، الذي كان قد تلقّى طلبًا شخصيًّا من بن غوريون بهذا الخصوص، قد تعاون معهم. وانطلق العملاء إلى المنزل رقم ١٢٦ في شارع بن. وحين فتحت الباب السيّدة "غرتنر"، اندفعوا إلى الداخل متجاوزينها. وهناك كان زوجها يؤدّي الصلاة، وبالقرب منه صبيّ شاحب الوجه يضع القلنسوة اليهوديّة على رأسه وتتدلّى الجدائل من جانبَي وجهه. فقال أحد عملاء الموساد بلطف: "مرحبًا يا جوزيل. لقد جئنا لإعادتك إلى منزلك"...

***

استغرق بحث الموساد عن جوزيل ثمانية أشهر وأُنفق على العمليّة ما يقارب من مليوني دولار أميركي. ولم يكن لعودة جوزيل سالمًا إلى إسرائيل أثر إيجابيّ على الانقسام الدينيّ داخل الدولة العبريّة. واستمرّت الحكومات اللاحقة تتداعى وتسقط وفق هوى الجماعات الحرفيّة المتطرّفة الصغرى الممثّلة بالبرلمان.

نهاية الحقبة الثانية من تاريخ الموساد

هاريل على عتبة النهاية

على الرغم من نجاح إيسر هاريل في العثور على الصبيّ، فقد عاد إلى إسرائيل ليواجه منتقدًا قويًّا جديدًا هو الجنرال "مئير عميت" الرئيس الجديد للاستخبارات العسكريّة "أمان". وكما تآمر هاريل على سلفه شيلوح، كذلك وجد نفسه هدفًا لانتقادات عميت اللاذعة لعمليّة إنقاذ جوزيل. وكان عميت، وهو القائد الميدانيّ المخيف، قد تقرّب من بن غوريون في رمال إسرائيل السياسيّة المتحرّكة على الدوام. وقد أبلغ رئيس الوزراء أنّ هاريل "بدّد الموارد" وأنّ عمليّة الانقاذ كلّها برهان على أنّ رئيس الاستخبارات يجب أن يرحل.

كان هاريل قد تمكّن من إنجازات ملحوظة في عَهد رئاسته لأجهزة المخابرات الإسرائيليّة عمومًا وللموساد بشكل خاص. فبالإضافة إلى ما تمّ الحديث عنه في الفصل السابق، أقامت الوكالات المخابراتيّة الثلاث لكلّ من نظام شاه إيران، وتركيا، وإسرائيل، في نهاية عام ١٩٥٨، شبكة تعاون رسميّة أطلق عليها إسم "ترايدنت". وقد عقدت اجتماعات سريّة نصف سنويّة بين رؤساء كلّ منها. وكان من بين الاهتمامات المشتركة لها تبادل التقارير حول أنشطة الجواسيس السوفيات في أنحاء الشرق

الأوسط. وساعدت تركيا الموساد عن طريق إطلاعها على المعلومات التي جمعها عملاء وكالة الأمن الوطنيّ التركيّة في سوريا والتي تتعلّق بنوايا النظام العربيّ السوريّ المتطرّف تجاه إسرائيل. وعلى غرار الدروس التي تلقّاها رجال السافاك الإيرانيّين، قامت الموساد بتدريب العملاء السريّين الأتراك على أساليب مكافحة التجسّس واستخدام الأجهزة الفنيّة.

وقد اهتمّت الموساد في عهد هاريل اهتمامًا كبيرًا بالسودان، بحكم موقعه الجغرافيّ جنوبي مصر مباشرة حيث يوجد خصم إسرائيل الرهيب جمال عبد الناصر. وفور تولّي عبد الناصر القيادة في مصر عام ١٩٥٤، كان السودان يمرّ في مرحلة انتقاليّة تمهيدًا لاستقلاله في ظلّ إدارة بريطانيّة - مصريّة مشتركة. غير أنّ الساسة في العاصمة السودانيّة "الخرطوم" قد انزعجوا من تدخّل عبد الناصر في حملتهم الانتخابيّة بشعارات تدعو لوحدة وادي النيل، والتي اعتبرت تهديدًا بأنّ مصر ستضمّ السودان. وهرع أعضاء حزب الأمّة الشعبيّ وحركة المهديّة الوطنيّة إلى لندن، على أمل الحصول على ضمانات بالمساعدة البريطانيّة ضدّ مصر، وكان من المرجّح أن يؤدّي اعتزام عبد الناصر تأميم قناة السويس، وطرد القوّات البريطانيّة من منطقة القناة إلى مساعدة السودانيّين على الفوز بتعاطف بريطانيا. كما اتّكل السودانيّون على كراهية أنطوني إيدن رئيس الوزراء البريطانيّ لعبد الناصر. غير أنّ الوفد السودانيّ لم يشعر بالرضى من ردّ لندن. ذلك أنّ رجال جهاز المخابرات البريطانيّة MI-6، وإن بدوا متعاطفين، إلاّ أنّ الدبلوماسيّين من وزارتي الخارجيّة والكومنولث حاولوا بدلاً من ذلك التودّد إلى عبد الناصر. وتصادف أنّ السودانيّين قد ذكروا لرجال MI-6 أنّهم مستعدّون حتّى للتعاون مع الشيطان لوقف سياسة عبد الناصر التي اعتبروها "توسّعيّة"، وأدّى ذلك برجال المخابرات البريطانيّة إلى اقتراح أنّه ينبغي عليهم حقًّا

التعامل مع "شيطان العالم العربي المعروف باسم إسرائيل". وأحال البريطانيّون السودانيّين إلى دبلوماسي إسرائيلي يدعى "موردخاي غازيت"، وكان يعمل سكرتيرًا أول في السفارة الاسرائيليّة في لندن، وقد سبق له العمل في وقت سابق كعميل للقسم السياسيّ لوزارة الخارجيّة الإسرائيليّة، ولم يستقل أثناء تمرّد الجواسيس، وواصل العمل في الوزارة حتّى بعد حلّ القسم السياسيّ. وقد التقى غازيت في سرور مع صادق المهدي وساسة آخرين من السودان في فندق "سافوى" وتمّ بحث مخطّطات متعدّدة للتعاون المناوئ لعبد الناصر. كما حصل السودانيّون الذين يعانون من الفاقة على فائدة من إسرائيل تحدّدت في الاستعانة بخبراء إسرائيليّين لتطوير زراعة القطن في السودان. وقد تعاقب ساسة عديدون وأحزاب متعدّدة على الحكم في الخرطوم، لكنّ الاتّصالات السريّة بين السودان وإسرائيل استمرّت. وبلغت هذه الاتّصالات ذروتها في اجتماع سريّ عقد في آب ـ أغسطس ١٩٥٧ في فندق "بلازا أثينيه" في باريس بين غولدا مائير وزيرة الخارجيّة الإسرائيليّة وبين عبدالله خليل رئيس الوزراء السودانيّ. وانتهت الاتّصالات فجأة في العام التالي بعد أن أطاح الجيش بعبدالله خليل.

على صعيد آخر، كان الاسرائيليّون والأميركيّون والبريطانيّون قد اكتشفوا في خمسينات القرن العشرين أنّ أثيوبيا بلد مستقرّ وموال للغرب. وله أهميّة استراتيجيّة رئيسيّة، فإنّ أثيوبيا تشرف على الممرّات البحريّة في البحر الأحمر المؤدّية إلى السويس وإيلات. وكان الأمبراطور هيلا سيلاسي يتولّى مقاليد السلطة منذ أكثر من عقدين من الزمن، ويدّعي أنّه يتحدّر من قبيلة عربيّة قديمة في يهودا، ويستخدم شعارها "الأسد الملكيّ" كشعار له. وقد كان هيلا سيلاسي معجبًا بالدولة اليهوديّة.

بعد افتتاح قنصليّة إسرائيليّة في إثيوبيا، جاء المستشارون الزراعيّون الإسرائيليّون في أعقاب الدبلوماسيّين. وجاء أساتذة الجامعات الذين ساهموا في إنشاء جامعة أديس

أبابا، وكان من المحتّم أن يعقبهم المستشارون العسكريّون ورجال المخابرات. وساعد الإسرائيليّون الأمبراطور هيلا سيلاسي في تدريب قوّات أمنه، وتمّ التصريح لإسرائيل ببناء موقع تنصّت قويّ قام بالتقاط الاتّصالات اللاسلكيّة العربيّة. وأدارت الموساد مركزًا كبيرًا لعملائها في العاصمة الإثيوبيّة[1].

وقد أيّدت الولايات المتّحدة وبريطانيا العظمى وقدّرتا إسهامات إسرائيل الاستراتيجيّة في تحالفات خارجيّة. وكانت كلّ هذه الإنجازات تعزّز من رصيد هاريل.

ومن إنجازات هاريل أيضًا أنّه تمكّن من إحباط محاولات الشيوعيّين اختراق الدوائر الحاكمة الإسرائيليّة، ووقف محاولات مماثلة من قبل استخبارات الدول العربيّة. وكشفه عن "غولدشتاين / أفني" بوصفه جاسوسًا سوفياتيًّا في وزارة الخارجيّة الاسرائيليّة. واكتشافه اثنين من أعضاء الحزب اليساري المابام كانا يعملان جاسوسين للاتّحاد السوفياتي، هما الروسي "أهارون كوهين"[2] الذي كان يعمل مستشارًا للمابام في شؤون الشرق الأوسط وقد كُشف أمره عام ١٩٥٨، والنمساوي الليفتنانت كولونيل "إسرائيل بير" المقرّب من بن غوريون الذي كلّفه كتابة التاريخ الرسمي لـ"حرب الاستقلال" وسلّمه يوميّاته الشخصيّة، وهو الذي حضر اجتماع "سيفر" السرّي بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لإعداد خطّة حرب السويس عام ١٩٥٦، وقد ألقي القبض عليه متلبّسًا في ٣١ آذار - مارس ١٩٦١، إذ كان يسلّم وثائق إلى "فيكتور سوكولوف" وهو ضابط تابع لوكالة المخابرات السوفياتيّة يعمل تحت غطاء دبلوماسي سوفياتي في تلّ أبيب، وقد حكم عليه بالسجن ١٥ عامًا، وحتّى وفاته في السجن عام ١٩٦٦ كان

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٧٧.

٢ - هاريل إيسر، منجل في النجمة السداسية، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل (عمّان،١٩٨٩) ص٣٠ - ٤٤.

يصرّ على أنّه ليس جاسوسًا وعلى أنّه وطنيّ مخلص[1]. ومن أعمال هاريل إلقاؤه القبض على "ميراي فرنسيس هاغن" الصحافيّة الأميركيّة التي أدينت بتهمة التجسّس لصالح السوريّين في ٢٧ آب ـ أغسطس ١٩٥٦.

وأمكن لهاريل أن يجد النجاح في جهوده المتواصلة لإحضار مزيد من اليهود إلى إسرائيل. فإلى جانب مشاغله في اصطياد العملاء الكامنين وتتبّع الجواسيس، فقد شكّلت الهجرة اليهوديّة أحد اهتماماته الدائمة. وإذا كان سلفه شيلوح قد كان أوّل من أدخل مؤسّسة المخابرات في عمليّة الهجرة، فإنّ هاريل قد طوّر ذلك ليصبح فنًّا خاصًّا.

قَضِيَّة مَجَلَّة هَاعُولام هَازيه

المجلّة الإسرائيليّة التي كانت تصدر في عَهد هاريل تحت إسم "هَاعولام هازيه"، أي "هذا العالم"، كانت مجلّة ناطقة بالعبريّة وواسعة الانتشار. وقد قيّم هاريل أنّ المجلّة تشكّل خطرًا واضحًا وآنيًا على رئيس الوزراء بن غوريون الذي كان هاريل قد كرّس نفسه لتدعيم سلطته السياسيّة العليا. كما أنّها تشكّل خطرًا مماثلاً على حزب الماباي الحاكم، بل وعلى مجمل النظام بأسره، فأعلن الحرب عليها.

كانت المجلّة التي تقدّم مزيجًا من الشائعات الممتعة والفضائح الجنسيّة والتحقيقات الصحافيّة، تدافع عن المصالحة مع الفلسطينيّين العرب، وعن وجهة نظر غير تقليديّة

---

[1] - راجع: Zohar Michel Bar, *J'ai Risqué ma Vie (Isser Harel No. 1 des Services Secrets Israëliens)* Ed. Fayard (Paris,1971) pp. 195 - 218.

بشكل عام للحياة في إسرائيل. وقد دعا رئيس تحرير المجلّة "يوري أفنيري" بن غوريون إلى أن يعرب عن رحابة صدره بالسماح بقيام دولة فلسطينيّة، بالرغم من انتصار إسرائيل في الحرب الأولى على العرب. وكان هذا يُعتبر في إسرائيل محض هرطقات في بداية خمسينات القرن العشرين. وقد مثّل بن غوريون وطريقته في ما يتعلّق بالسيطرة المركزيّة للحكومة، هدفًا طبيعيًّا لحملات المجلّة. وأعرب الحزب الحاكم في المقابل عن كراهيته لأفنيري. ونظّمت المؤسّسة السياسيّة للماباي حملة مقاطعة للمجلّة. غير أنّ عولام هازيه قد احتفظت بقرّائها الأوفياء لدرجة أنّ توزيعها زاد بصورة أكبر عندما غطّت بشكل بارز في عام ١٩٥٦ أنباء الفساد ضدّ رئيس بوليس تلّ أبيب. وكانت العناوين الرئيسيّة للفضيحة أكثر ممّا يحتمله هاريل، بوصفه خادمًا مخلصًا لرئيس الوزراء. وفوق ذلك، فقد تصادف أنّ رئيس البوليس لم يكن سوى "آموس بن غوريون"... إبن رئيس الوزراء.

كذلك قام رئيس تحرير المجلّة "يوري أفنيري" في الوقت نفسه بتوجيه حملة كلاميّة ضدّ شين بيت بالذات، ما أثار حنق هاريل لأنّه في ذلك الوقت لم يكن أحد ليكتب عن الأجهزة السريّة الإسرائيليّة. وبدلاً من أن تذكر المجلّة الجهاز باسم شين بيت، كانت تشير إليه بكلّ بساطة بلقب "جهاز الشرّ". وقد صوّرت المجلّة شين بيت بوصفه وحشًا ينتهك الحقوق المدنيّة بقسوة، وألقت اللوم على شين بيت في ما يتعلّق بكلّ ما هو رديء في إسرائيل. وعندما تعرّض رئيس التحرير أفنيري للضرب على يد مجموعة من المظليّين كانوا خارج الخدمة، ألقى باللوم على الجهاز السرّي. وعندما اختفى أحد كتّاب المجلّة بسبب علاقة غراميّة ادّعت هاعولام هازيه أنّ الرجل تمّ اختطافه من قبل "جهاز الشرّ".

لم يُغضِب أسلوب أفنيري الجريء هاريل فقط، بل أغضب أيضًا عاموس مانور الرئيس الشرفي لشين بيت الذي شكا من استفزازات المجلّة وما دعاه أكاذيبها. فوضع هيئة تحريرها تحت المراقبة، بأمل الكشف عن الفساد في ما بينهم. وردّت هاعولام هازيه بإجراء تحقيقات صحافيّة اتّخذت طابعًا غريبًا، لأنّه من غير المسموح به قانونًا ذكر اسم أيّ عامل في هيئة المخابرات في أيّ مطبوعة.

قرّر هاريل مواجهة هاعولام هازيه بطريقة غير مألوفة، إذ أصدر مجلّة أسبوعيّة تحت اسم "ريمون" أي "رمّان" في أوّل آب ـ أغسطس ١٩٥٦. وحاول بدون طائل إخفاء إسم مالك المجلّة التي كانت صورة عكسيّة لمجلّة هاعولام هازيه. فبدلاً من طريقة عرض هاعولام هازيه للأحداث الجارية بشكل يتّسم بعدم الرزانة، انتهجت ريمون خطّ المؤسّسة الرسميّة. ونشرت أخبارًا ممتعة عن صناعة العروض الفنيّة بهدف زيادة انتشارها، إلاّ أنّ التقليد لم يحظَ يومًا بجاذبيّة الأصل. فأقدمت ريمون على شنّ حرب شعواء ضدّ هاعولام هازيه. إلاّ أنّ هذا أيضًا لم يؤدّ إلى زيادة الانتشار.

كان مانور يشعر دائمًا بعدم الارتياح إزاء مشروع مجلّة رئيسه هاريل. غير أنّ أحدًا لم يكن يمكنه أن يتحدّث عن ذلك مباشرة مع هاريل حتّى تحدّثت أرقام التوزيع. وبعد تبادل كريه للطعونات بين المجلّتين، خسرت المخابرات حرب التوزيع. وبعد ثلاث سنوات من المبيعات الخفيفة، أصبح من المستحيل أن تتحمّل شين بيت تمويل مجلّة ريمون... فأغلقت المجلّة أبوابها[١]. وكانت تلك نكسة ملحوظة لهاريل.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص٧٧.

قَضيَّةُ البرُوفيسُّور كورت سيتَا

من أكبَر خيبـات الأمَـل التـي أصـابت هـاريل فـي حياتـه المهنيّـة كرئيـس لأجهـزة المخابرات الإسرائيليّة، قضيّة البرُوفيسُّور "كورت سيتَا"، الذي تمكّن من العمل لمدّة طويلة جاسوسًا للكتلة السوفياتيّة داخل إسرائيل.

ولد سيتا عام ١٩١٠ في إقليم الـ"سوديت" بتشيكوسلوفاكيا لأسرة ألمانيّة غير يهوديّة، ودرس في براغ وأظهر عبقريّة في الفيزياء والرياضيّات. وألقى الغيستابو القبض عليه وسجن في معسكر اعتقال "بوخنفالد" لأنّ زوجته كانت يهوديّة. وواجه التجربة الرهيبة مع عددٍ من الشيوعيّين البارزين الذين كانوا معه في معسكر الاعتقال. وعندما عمل هؤلاء مع المخابرات التشيكيّة في أعقاب الحرب، قاموا بتجنيد صديقهم سيتا ليصبح جاسوسًا.

درس سيتا الفيزياء النوويّة في بريطانيا، ثمّ قام بعد ذلك بتدريسها في جامعة "سيراكروز" في نيو يورك. وقد قام مكتب التحقيقات الفديراليّة FBI بالتحقيق معه لاعتقاده بأنّه عميل شيوعي، وعرض عليه استئجار خدماته كعميل مزدوج. وهكذا أحيطت مغادرته للولايات المتحدة قاصدًا البرازيل عام ١٩٥٣ بظروف غامضة. وبعد عامين، وُجّهت إليه الدعوة لإلقاء محاضرات في معهد "تكنيون" في حيفا، واكتشف أنّه يحبّ المعهد، وإسرائيل، والشعب، أو هكذا قال عندما قبل بسرور منصب رئيس قسم الفيزياء في المعهد المذكور. وقد أتاح نجاح سيتا الباهر في إسرائيل، وبوصفه أجنبيًا غير يهوديّ، فرصة ذهبيّة للتشيكيين والسوفيات. وقام ضابط مخابرات يعمل تحت غطاء دبلوماسيّ في السفارة التشيكيّة في تلّ أبيب بمقابلة البروفيسور بصورة متكرّرة في المدّة الواقعة بين سنتي ١٩٥٥ و١٩٦٠، وحصل منه على كمّ هائل من المعلومات.

واستمرّ الأمر على هذا النحو حوالى خمس سنوات، غير أن جهاز شين بيت قد كشف في نهاية المطاف عمليّة التجسّس. وفي ليلة ١٦ حزيران - يونيو ١٩٦٠، وكانت ليلة صافية وباردة بعض الشيء، قرع رجلان باب فيلاّ سيتا في شارع "حوريب" بإحدى ضواحي حيفا المنعزلة التي تقع على البحر الأبيض المتوسّط كما تطلّ سان فرنسيسكو على الخليج. وكان أحد الرجلين من شين بيت، والآخر من الفرع الخاصّ للبوليس الوطنيّ، واقتادا سيتا بعيدًا للتحقيق معه بتهمة التجسّس. وقد صُدم أصدقاؤه وتلامذته وزملاؤه في كلّ معهد تكنيون وفي القيادة السياسيّة العليا من جرّاء القبض عليه، ولم يصدّقوا الاتّهامات الموجّهة إليه إلاّ بصعوبة، إلاّ أنّ البعض منهم صُدم مرّة أخرى عندما حضر المحاكمة، لسماعه يعترف بأنّه كان جاسوسًا ضارًّا جدًّا بإسرائيل. وقد ركّز سيتا على لجنة الطاقة النوويّة الاسرائيليّة التابعة للبرفيسور بيرغمان. وجاء القبض على سيتا سواء بالصدفة أو بغيرها قبل يومين فقط من تشغيل المفاعل النوويّ الاسرائيليّ في "ناحاك سوريك".

يرى المحلّلون الاسرائيليّون تشابها بين نشاط سيتا ونشاط "جوليوس وإيثيل روزنبيرغ" في الولايات المتّحدة و"كلاوس فوكس" في بريطانيا، الذين أفشوا أسرار بلادهم النوويّة للكتلة السوفياتيّة. وقد حكم على سيتا بالسجن لمدّة خمس سنوات، غير أنّ إسرائيل سارعت، لتجنّب الحرج، إلى العفو عنه ليبدأ حياة أكاديميّة جديدة في ألمانيا الغربيّة. وبذل هاريل والاجهزة السريّة الإسرائيليّة جهودًا لإصلاح الضرر الذي لحق بسجلّهم كصائدين للجواسيس الكامنين، وهو السجلّ الذي كان يبدو أنّه معصوم عن الخطإ حتّى حادثة سيتا. وقد زعموا أنّه سمكة صغيرة، عمل على نطاق ضيّق بالتجسّس تحت ضغط الابتزاز، بعد أن هدّده البوليس السرّي التشيكي بإلحاق الأذى بوالده الكهل الذي كان لا يزال حيًّا في تشيكوسلوفاكيا. وأصرّ هاريل على أنّ سيتا لم

يمدّ الشيوعيّين سوى بمعلومات غير هامّة لا تمسّ المسائل النوويّة، كما ألقى باللائمة على مكتب التحقيقات الفدراليّ الأميركيّ FBI لعدم إبلاغه إسرائيل من قبل بكلّ ما يعرفه عن سيتا ولو كانت شين بيت قد أبلغت بطريقة مناسبة لكان ضبط في وقت مبكّر[1].

تجاوُزاتٌ خطيرَة في مصر والعَالَم

بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، كلّف رئيس شعبة الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة يهو شفاط حركابي مهمّة إعداد تقويم للمعلومات على المستوى القومي في مصر وتقديمه إلى كلّ من رئيس الحكومة ووزير الدفاع الاسرائيليّين. وكان حركابي على اتّفاق تام مع إيسر هاريل الذي كان لا يزال معتبرًا مهندس الاستخبارات الاسرائيليّة، وهما اللذان ضمّا جهودهما لمنع إعادة تعيين العقيد "بنيامين غيبلي" بعد فضيحة لافون، في جهاز الاستخبارات العسكريّة. وهكذا عملا على تشويه سمعته أكثر وأكثر كطريقة وحيدة لشطب اسمه من لائحة المرشّحين للمنصب.

بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر في تحقيق الأهداف التي شُنّ من أجلها، لم تقف الخابرات الاسرائيليّة تجاه الوضع موقف المتفرّج، خاصّة بعد الضغط الدوليّ الذي واجهته الدول الثلاث المعتدية. وجاءت عمليّة الوحدة المصريّة ـ السوريّة عام ١٩٥٨ لتعيد إلى الأذهان حقبة تأميم قناة السويس التي استدعت حرب عام ١٩٥٦.

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

لذلك كان على الاستخبارات الاسرائيليّة أن تبذل جهودًا كثيفة للحصول إلى ما تطمح إليه من معلومات ووثائق متعلّقة بدقائق الأمور في كلّ من سوريا ومصر، ولهذا أوكلت إلى أحد عملائها المجرّبين المدعو "جان ليون توماس"، وهو مصريّ من أصل أرمني، أن يقوم بتشكيل شبكة تجسّس في مصر، مهمّتها تزويد المخابرات الاسرائيليّة بكلّ المعلومات المتعلّقة بالقضايا السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة. وقد تمكّن توماس فعلاً من إيجاد هذه الشبكة الخطيرة في عام ١٩٥٨، حيث كان يديرها ويوجّهها ويشرف على تحرّكاتها، وقد ضمّت عددًا هامًّا من الأعضاء. وإمعانًا في تضليل المخابرات المصريّة، عمد توماس إلى اتّخاذ عدّة احتياطات، منها عدم تردّده على المنزل الأمين الذي كان يقوم فيه بتصوير المستندات وتحميض الأفلام وإخفائها، وقام بترحيل زوجته الألمانيّة "كيتي دورث" التي كانت تساعده في القيام بالعمل السرّي قبل القبض عليه، كما حاول هو نفسه الحصول على جواز سفر مزيّف لمغادرة البلاد[1].

كان توماس قد وجد ضالّته منذ البدء بالمدعو "محمّد أحمد حسن"، حيث كان صديقه ويعرف عنه أنّه كان مغرمًا بالخمر والنساء، وبحاجة دائمة إلى المال، وكان محّد حسن يحتّل موقعًا مميّزًا من خلال وظيفته في مدرسة المدفعيّة المصريّة. فقد تقابل توماس مع محمّد حسن في تشرين الأوّل - أوكتوبر ١٩٥٨ واستعاد معه ذكريات علاقتهما قبل سفره إلى ألمانيا، وعادت العلاقة بينهما كما كانت في السابق حيث عرّفه

---

١ - زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٨٠ ـ ٨١؛ راجع: هاني أحمد، الجاسوسيّة بين الوقاية والعلاج، الشركة المتّحدة للنشر والتوزيع (القاهرة،١٩٧٤) ص٢٦٠ ـ ٢٦٤؛ نصر صلاح، عملاء الخيانة وحديث الإفك، منشورات مؤسّسة الوطن العربي للنشر والتوزيع (بيروت،لا.ت.) ص٩٨؛ نصر صلاح، الحرب الخفيّة ـ فلسفة الجاسوسيّة، منشورات مؤسّسة الوطن العربي للنشر والتوزيع (بيروت،١٩٨٠) ص٢١٣.

توماس في إحدى علب الليل على راقصة ألمانيّة تدعى "باتريشـيا"، كـانت علـى علاقـة قديمة بتوماس، وقدّمهـا إليـه ودفعهـا إلـى أن تقـوم بغوايتـه. ونجحـت فـي ذلـك. وعـن طريقها، وصل توماس إلى ما يطمح إليه من تجنيـد محمّـد أحمـد حسـن للعمـل لصـالح المخابرات الاسرائيليّة. وطلب منه أن يمدّه بمعلومات ووثائق عسـكريّة مقـابل خمسين جنيهًا مصريًّا شهريًّا. وأفهمه أنّ عليه أن يقوم بنقل الوثائق من مقرّ عمله ليقوم توماس بتصويرها ثمّ يعيدها إليه ليعيدها إلى مكانها، وأنّه بذلك لن يكـون عرضـة لأن يُكتشـف أمره، وأنّ أحدًا لن يشكّ فيه. وتحت ضغط احتياجات باتريشـيا المسـتمرّة، قبـل محمّـد حسن القيام بما يكلّفه به توماس الذي دفع له مائة جنيه على الحساب. ثمّ كلّفه باسـتئجار شقّة في مصر الجديدة باسمه لتكون مكانًا لمقابلاتهما وليتمّ فيهـا تصـوير الوثـائق التـي يحضرها محمّد مـن عملـه. وقـام محمّـد باسـتئجار الشـقّة فـي شـارع المكبـاتي بمصـر الجديدة، واتّخذ منها مكانًا لمجونه وعلاقاته النسائيّة، إلى جانب ممارسة أعماله السـريّة مع توماس. ونفّذ محمّد حسن تعليمات توماس القاضية بإحضار الوثائق العسكريّة مـن مركز عمله إلى الشقّة، حيث كان يقوم توماس بتصويرها ثـمّ يعيدهـا إليـه ليعيدهـا إلـى مكانها ثانية. ولجأ توماس أيضًا إلى استخدام محمّد حسن ليكون دليـلاً لـه فـي التعـرّف على أسماء ومواقع الوحدات العسكريّة، وكان يصطحبه معه في سيّارته ومعهما زوجة توماس وكأنّهم يقومون برحلة صيد. وعلى طريق السويس - بور سـعيد، كـان تومـاس يقـوم بتصـويـر المنشـآت العسـكريّة مـن نـافذة السـيّارة ويقـوم محمّـد بتحديـد الوحـدات العسكريّة ومواقعها.

استمرّ محمّد حسن في خيانته لوطنه مقابل خمسين جنيها كان ينفقها على ملذّاته إلى أن تمّ إلقاء القبض عليه وعلى جميع أفـراد الشبكة التـي كوّنهـا جـان ليونـس تومـاس فـي مصر لصالح المخابرات الإسرائيليّة، وحكم على محمّد أحمد حسن بالإعدام.

أحدث القبض على هذه الشبكة الخطرة في مصر صدمة خطيرة لقادة الاستخبارات الاسرائيليّة والمسؤولين السياسيّن في إسرائيل، ما استدعى إلى عقد اجتماع على مستوى عال في عام ١٩٥٩ للجنة رؤساء أجهزة الاستخبارات الاسرائيليّة، أعلنت الموساد في خلاله عن حاجتها إلى رجل ليكون عميلاً في القاهرة، تحت غطاء أنّه ضابط نازيّ سابق. وقد اختير لهذه المهمّة ضابط الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة "يوهان ولفغانغ اوتر"، الذي كان يعرف أيضًا باسم "زئيف غور آرييه"، نظرًا لجنسيّته الألمانيّة. وفي هذا الوقت كان الرئيس جمال عبد الناصر قد استقدم مجموعة من الخبراء الألمان للعمل على تقوية قوّات مصر المسلّحة. وقد قبل لوتز القيام بهذه المهمّة التي وجّهت أساسًا ضدّ النشاط التسليحي الخاص الذي كان يقوم به هؤلاء الخبراء في مصر. وتلقّى لوتز تدريبًا مكثّفًا في إسرائيل بما في ذلك التدريب على تربية الخيول. وفي نهاية ١٩٦٠، ظهر في ألمانيا الغربيّة، وادّعى أنّه لاجئ من ألمانيا الشرقيّة وأنّه ضابط سابق في "الفيلق الأفريقيّ"، ورغم أنّ لوتز كان له زوجة في إسرائيل، فإنّه تزوّج امرأة ألمانيّة لتأكيد شخصيّته المنتحلة. وفي عام ١٩٦١ سافر إلى القاهرة حيث أنشأ مدرسة للتدريب على ركوب الخيل. ومن خلال ذلك أقام الاتّصالات المتنوّعة داخل الجالية الألمانيّة في العاصمة المصريّة، وفي الوقت ذاته تعرّف على عدد من المصريّين البارزين الذين يحتلّون مراكز مهمّة. وقام بعدّة رحلات من مصر إلى ألمانيا الغربيّة ليسلّم معلوماته. وأخيرًا في عام ١٩٦٤، بدأ لوتز يرسل خطابات تهديد لخبراء ألمان يعملون في المصانع الحربيّة المصريّة لإنتاج الصواريخ والأسلحة المتطوّرة.

ونتيجة للشهرة التي اكتسبها لوتز عن طريق الصداقات التي أقامها في مصر، لم يكن يخضع لتفتيش دقيق في المطار في خلال عودته من أسفاره التي كانت تستغرق

شهورًا أحيانا يتلقّى في خلالها التدريب اللازم ويتمّ تزويده بمعدّات جديدة[١]. وإذ كانت عقدة هاريل من الألمان قد صوّرت له أنّ الخبراء الألمان إنّما يساعدون المصريّين على إنتاج صواريخ أرض ـ أرض في محاولة مرّة أخرى لإبادة اليهود، ردّ على ذلك بعمليّة أطلق عليها اسم "ديموقليس" كسيف مسلّط على عنق أيّ عالم ألمانيّ يعمل لحساب المصريّين. وقام عملاء إسرائيل، بمن فيهم لوتز، بإرسال خطابات ملغومة إلى العلماء الألمان المشتركين في مشروع الصواريخ وإلى أسرهم. وجرت عمليّات تهديد مماثلة في أنحاء القارّة الأوروبيّة. وكان هاريل يلجأ في ذلك إلى أسلوب ناجح سبق استخدامه في عام ١٩٥٦، عندما أُرسلت خطابات ملغومة بناء على أوامر حركابي رئيس وكالة المخابرات العسكريّة إلى الضبّاط المصريّين المسؤولين عن تسلّل المقاومين من قطاع غزّة إلى إسرائيل. وفي الحملة ضدّ الألمان، وقعت إصابات قليلة وسط حملة تهديد واسعة، وشعر هاريل بأنّ حملته يمكن أن تنجح، لكنّ علاقته مع بن غوريون توتّرت نوعًا ما، لأنّ رئيس الوزراء واصل حثّه على عدم إثارة ضيق الحكومة الألمانيّة الغربيّة، وكان بن غوريون يقول: "إرفعوا أيديكم عن الألمان". إلاّ أنّ هاريل قد تمادى بصورة غير عاديّة لإجبار العلماء الألمان على الخروج من مصر. ففي خطوة أثارت انزعاج العديد من رجال الموساد، أرسل هاريل فريقًا إلى مدريد للاجتماع مع الضابط النازي السابق "أوتو سكورزني"، الذي كان صديقًا لبعض الألمان في القاهرة. وأقنعه عملاء الموساد بأن احتالوا عليه بتقديم أنفسهم كممثّلين لوكالة مخابرات تابعة لحلف شمالي الأطلسيّ، بحثّ أصدقائه على الخروج من مصر من أجل المصالح الغربيّة. فقد كان من المثير للدهشة أن تلجأ الموساد بعد عامين على الأكثر من اختطافها "أيخمان" من الأرجنتين، إلى استخدام نازيّ بأيّ طريقة. لكنّ

---

١ ـ راجع: Wolfgang Lotz, *The Champagne Spy*, ed. Valentne Michelle (London,1972)

هاريل اعتبر سكورزني، مثلما حدث في محاكمات نورمبرغ بعد الحرب، مجرّد محارب ألمانيّ قديم وليس مجرم حرب.

وقد أدّى استخدام عميل آخر غير عاديّ إلى نهاية مأساويّة لعمليّة ديموقليس، كان ذلك العميل نمساويًا يدعى الدكتور "أوتو جوكليك". وكان تجنيده إنجازًا حقيقيًّا لهاريل، ذلك أنّ جوكليك كان واحدًا من علماء الصواريخ الذين كانوا يعملون لحساب الرئيس عبد الناصر. وبوصفه مغامرًا أكثر منه خبير صواريخ، أقنع جوكليك المصريّين أنّ بمقدوره أن ينتج لحسابهم قنبلة "كوبالت" ذات الطاقة الكبيرة. وقد قبل بسرور مرتّبًا مغريًا في مصر، بينما أخذ يعمل في المشروع دون أن يحقّق أيّ نجاح حقيقيّ. وأغرى هاريل الدكتور جوكليك على العمل لحسابه بدلاً من العمل مع مصر لكي يمكنه، كما قال الاسرائيليّون العالمون ببواطن الأمور، من أن يضيف كومة من الأموال الاسرائيليّة إلى الكومة التي حصل عليها بالفعل من مصر. وهكذا أصبح العالم النمساويّ رجلاً للموساد داخل مصر، وعندما غادر القاهرة، توجّه بعدها إلى إسرائيل بطريق الجوّ ليقدّم تقريرًا كاملا عن مشروع الصواريخ السرّي. وحذّر جوكليك من أنّ مصر تندفع بقوّة نحو تحقيق هدف بالغ الخطورة وهو إنتاج ما وصفه الخبراء بقوّة ضاربة نوويّة - بيولوجيّة - كيميائيّة. وأنّ هذه الأسلحة، وهي من أسلحة الدمار الشامل، يمكن وضعها في رؤوس حربيّة تنقلها الصواريخ الألمانيّة التصميم.

تطابقت حكاية النمساويّ تمامًا مع مخاوف هاريل... وكعادته في الكتمان، لم يبلغ أحدًا من مؤسّسة الدفاع والأمن بشأن وجود جوكليك في إسرائيل. لكنّ شيمون بيريز وكيل وزارة الدفاع اكتشف عن طريق مصادره أنّ هاريل يخفي أمر العالم النمساوي. وأصرّ بيريز على لقاء جوكليك لكي يمكن لكبار المسؤولين في الوزارة استجوابه. غير أنّ هاريل رفض ذلك محتجًّا بالتقاليد التي تسود مؤسّسة المخابرات الاسرائيليّة،

ومفادها أنّه من الأمور النادرة أن تتقاسم الوكالات مصادرها السريّة في ما بينها. فالمعلومات يجري اقتسامها وتبادلها، لكن ليس العملاء أنفسهم، وهم الذين يصبحون في وضع أكثر أمنًا كلّما قلّ عدد من يعرفونهم.

تجاه هذا الواقع، احتجّ بيريز لدى بن غوريون، وهدّد بالاستقالة. وبوصفه رئيسًا للوزراء، أمر بن غوريون رئيس الاستخبارات إيسر هاريل بتقديم جوكليك إلى وزارة الدفاع، وبوصفه أيضًا وزيرًا للدفاع، عهد بن غوريون بمهمّة الاستجواب إلى "بنيامين بلومبيرغ" رئيس وكالة لاكام البالغة السريّة. ولأنّ هيئة العاملين مع بلومبيرغ تضمّ علماء، سيكون في وضع يسمح له بالحكم على رأي هاريل بأنّ مصر على وشك امتلاك أسلحة نوويّة وبيولوجيّة وكيميائيّة، من شأنها أن تهدّد وجود إسرائيل. وقد أدّى هذا بالطبع إلى ازدياد شعور هاريل بالاستياء من بلومبيرغ وبيريز... خاصّة بعد أن رفض محلّلو بلومبيرغ معلومات جوكليك حول المخاطر المزعومة لمشروع الصواريخ المصريّ، وتوصّلوا إلى أنّ المؤهّلات العلميّة للرجل النمساويّ تثير الشكوك. لكنّ هاريل كان لا يزال موقنًا أنّ عبد الناصر يخطّط لتدمير إسرائيل. واستمرّ في إيمانه بصدق جوكليك، وبعث به مع إسرائيليّ يدعى "يوسف بن غال" في مهمّة سريّة إلى سويسرا. وتحدّدت مهمّتهما بتخويف إبنة "بول جوركا" أحد العلماء الألمان العاملين في مشروع الصواريخ المصريّ. وقاما بإبلاغ "هايدي جوركا" أنّه إذا لم يغادر والدها القاهرة على الفور فقد يترتّب على ذلك عواقب وخيمة. إلاّ أنّ هايدي سارعت إلى إبلاغ البوليس السرّي السويسري الذي ألقى القبض على عميل الموساد خارج أحد فنادق مدينة "بازل" في ١٥ آذار – مارس ١٩٦٣. وكان قد ألقي القبض على عميلين إسرائيليّين آخرين قبل بضعة أسابيع في أمانيا الغربيّة بالقرب من منزل أحد علماء الصواريخ. إلاّ أنّ حسن العلاقة بين المخابرات الاسرائيليّة والمخابرات

الألمانيّة الغربيّة BND أدّى إلى ترتيب إطلاق سراح الجاسوسين الاسرائيليّن من دون ضجيج. إلاّ أنّ جوكليك وبن غال لم يلاقيا نفس المصير في سويسرا حيث شكّلت محاكمتهما حرجًا لإسرائيل، وصدرت أحكام ضدّهما بالسجن، وإن كان لمدّة قصيرة.

كان ذلك من جملة الأخطاء المتراكمة في سجلّ إيسر هاريل الذي أصرّ على المضيّ في انتهاج طريقه، وقرّر أن ينتهج هذه المرّة مواجهة علنيّة، إعتقاذا منه بأنّ الألمان والمصريّين لن يتوقّفوا، وأنّه من المطلوب تقديم بعض الإيضاحات في خلال المحاكمة في سويسرا.

كان يأمل في أن يقنع العالم، أو على الأقلّ الشعب الإسرائيليّ، بأنّ ورثة الجيل النازيّ يستخدمون الآن مصر كقاعدة تشكّل خطرًا مميتًا على "الدولة التي بناها الناجون من الإبادة الجماعيّة". وتمّ إرسال عملاء الموساد في مهمّات لإطلاع الصحافيّين في مختلف الدول الأوروبيّة على هواجس هاريل. وقام ثلاثة من الصحافيّين الاسرائيليّين البارزين، بإيعاز من هاريل، بمهمّة خاصّة تتعلّق بالعمل لصحفهم، وتتعلّق من ناحية أخرى بمهمّة تجسّس لمعرفة المزيد عن العلماء الألمان. وكانت تلك واحدة من المرّات القليلة، وربّما الأولى، التي استخدمت فيها الموساد الصحافيّين الاسرائيليّين كعملاء لها. وقد شكّل ذلك الخطأ الكبير الثاني الذي يرتكبه هاريل. فالمقالات التي نشرت نتيجة المهمّة شبه المخابراتيّة أثارت الذعر في نفوس يهود إسرائيل، بشأن الخطر الصاروخيّ المزعوم أنّه آت من مصر. فجُنّ جنون بن غوريون الذي وبّخ هاريل بسبب تسريبه المعلومات بدون إذن إلى الصحافة. وألقى باللائمة عليه لإفساد الروابط المتنامية بين إسرائيل وألمانيا الغربيّة، وهي الروابط التي كانت موضع اهتمام من قبل بن غوريون وبيريز والدائرة المحيطة بهما، كبديل محتمل لفرنسا بعد أن فترت العلاقات بين الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول والقادة

الإسرائيليّين. على أنّ هاريل لم يعر اهتمامًا كبيرًا المجادلات الدبلوماسيّة أو أهميّة ألمانيا الغربيّة بالنسبة للسياسة الخارجيّة الجديدة لبن غوريون، وواصل حملته بإصرار، لكنّ بن غوريون لم يكن ليسمح لأيّ شيء بالوقوف في وجه إقامة روابط أفضل مع بون، وكان ذلك هو خطأ هاريل الفادح الثالث. فقد طلب بن غوريون إنهاء حملة هاريل الخاصّة. لكنّ هاريل رفض ذلك، وسعى إلى الحصول على مساندة الأعضاء الآخرين في حزب المباي الحاكم، كما حاول استمالة وزيرة الخارجيّة غولدا مائير ووزير الماليّة ليفي أشكول إلى جانبه، ذلك في وقت كانت الخلافات السياسيّة حول فضيحة لافون قد وصلت إلى ذروتها. وللمرّة الأولى منذ عام ١٩٤٨، انضمّ هاريل إلى خصوم بن غوريون السياسيّين، ووجد نفسه في معسكرهم، وكان ما زال يأمل في تخطّي قرار الفيتو الذي وضعه بن غوريون وتجديد "حربه المقدّسة" ضدّ العلماء النازيّين[١].

أمّا الجاسوس الإسرائيلي الذي زرع في مصر، وهو الألماني الجنسيّة لوتز الذي كنّا بدأنا بسرد سيرته، فلم تقتصر مهمّته على جمع وتحصيل المعلومات فقط، بل كان، بالإضافة إلى ذلك، يقوم بتوجيه الرسائل المتفجّرة إلى مجموعة الخبراء الألمان العاملين في مصانع مصر الحربيّة. وكانت المخابرات الاسرائيليّة قد زوّدته بحقيبة تحوي على مخبإ في مكان سرّي، بداخله عدّة طرود مجهّزة بالموادّ المتفجّرة، وبميزان لوزن الأشخاص بداخله جهاز إرسال لاسلكيّ والشيفرة التي يستخدمها، وكذلك زجاجات كولونيا ملأى بالحبر السرّي. وسوف تعتقل المخابرات المصريّة لوتز في شهر شباط ـ فبراير ١٩٦٥، ليحاكم ويسجن، ولن يجري إعدامه كما هي العادة نظرًا

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٦٠ ـ ١٦٥.

لقيمته. وقد ذكر الإسرائيليّون أنّ العمليّة كلّفتهم حوالى ربع مليون دولار. كما اعترفوا بأنّ أخطاء ارتكبها لوتز في استخدام وسائل اتّصالاته، إلى جانب استخدامه في القيام بعمليّات تنفيذيّة، ربّما ساهمت في سقوطه. وأثناء سجنه أرغم على أن يكشف العمليّة التي كان مكلّفًا بها بكاملها.

تعجّب لوتز من عمليّة القبض عليه من قبل المخابرات المصريّة حيث قال للمحقّق: "ما يحيّرني هو كيف اكتشفت المخابرات المصريّة نشاطي... فأنا لم أقم بأيّ عمل إيجابيّ... وفي الحقيقة إنّي أحني الرأس احترامًا لمخابرات بلادكم".

وقد اهتمّت به إسرائيل اهتمامًا بالغًا، وعرضت إعادة الأسرى المصريّين، وعددهم خمسة آلاف أسير، كانت ستسلّمهم على أيّ حال، مقابل حريّة هذا الجاسوس لتكلّفه بعمليّة أخرى في غير بلد. وقد أُطلق سراحه في عام ١٩٦٨ فعلاً، بعد أن أطلقت إسرائيل سراح الخمسة آلاف أسير مصريّ في سبيل هدف أساسيّ يتمحور حول رفع معنويّات جواسيسها الذين بدأوا يتساقطون الواحد تلو الآخر بفضل يقظة المخابرات العربيّة[1].

وإلى جانب المهمّة التي كلّف بها لوتز في مصر، فقد كان هناك عميل آخر في الحقبة نفسها يعمل لنفس الأهداف الاسرائيليّة في القاهرة، وهو "روبين سكايدن" الكنديّ الجنسيّة الذي جنّدته المخابرات الاسرائيليّة عن طريق أحد ضبّاطها في كندا عندما تعرّف إليه في أحد مقاهي ميدان "دومينيون" في مونتريال، وعرض عليه التعاون معه في جمع المعلومات عمّا سمّاه "الحركات الهدّامة" في مصر. وبعد أن وافق على العمل

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٨٠ ـ ٨١؛ راجع: أيزنبرغ دينيس وآخرون، الموساد جهاز المخابرات الإسرائيليّة السرّي، ص٣١ ـ ٤٦؛ أبو النصر عمر، إيلي كوهين جاسوس إسرائيل، ص١٠٤ ـ ١٠٥؛ عمّار نزار، الاستخبارات الإسرائيليّة، ص٨٧ ـ ٨٨.

بحكم حاجته، تسلّم مبلغ ٣٠٠ دولار كسلفة، ثمّ وضع تحت الأمر الواقع، وطلب منه السفر إلى إسرائيل مدّة ثلاثة أشهر تدرّب في خلالها على مختلف أنواع التجسّس، ثمّ أعيد إلى كندا لينطلق منها كسائح أوّلاً إلى البلاد العربيّة، ثمّ ليطلب منحه إقامة في مصر لأنّه وجد عملاً تجاريًّا، وهكذا كان. وعندما دخل مصر بتأشيرة دخول قانونيّة على جواز سفره، تقدّم بطلب الإقامة، بعد انقضاء المدّة التي تسمح له بها تأشيرته السياحيّة، مدّعيًا بأنّه يودّ فتح مكتب للأعمال التجاريّة، وعرض نماذج عن صناعات لشركات عدّة ادّعى أنّه يمثّلها. كما قدّم عدّة كتب اعتماد من شركات تجاريّة معروفة من قبل غرفة التجارة، فجرت الموافقة على منحه الإقامة، حيث قام، في الوقت نفسه، جهاز مكافحة التجسّس لدى المخابرات المصريّة بوضعه تحت المراقبة الدقيقة منذ اليوم الأوّل لافتتاح مكتبه الوهميّ، بل وكان أوّل زبون يتعامل معه من المخابرات العربيّة. وقد اعتُقل سكايدن في ١٥ كانون الثاني ـ يناير ١٩٦٥، بأمر من العقيد موسى العيد رئيس فرع مكافحة التجسّس في مصر. وكانت قوّة المداهمة بقيادة الرائد عبد الجبّار حمدي. وقد اعترف سكايدن بعمله للمخابرات الاسرائيليّة منذ ثلاث سنوات، فحكم عليه بالسجن لمدّة خمس سنوات وإبعاده عن البلاد[١].

١ ـ الجزائري سعيد، المخابرات والعالم (لا.ت.) ص٢٩ ـ ٣٤.

نهاية إيسر هاريل

يرى باحثون أنَه إثر تراكم الأخطاء التي ارتكبها إيسر هاريل الذي كان قد أصبح مهووسًا بالانتقام من الألمان لدرجة تخيّله أنّهم يعملون مع مصر في مخطّط لإبادة الشعب اليهوديّ، كان انعدام الثقة يتزايد بين بن غوريون رئيس الوزراء، وإيسر هاريل رئيس المخابرات الاسرائيليّة، حول مسائل أخرى. فلم يكن بن غوريون سعيدًا بحماس هاريل في تعقّب "إسرائيل بير" الذي كان يعمل في مكتب رئيس الوزراء. وقد انعكس القبض عليه في عام ١٩٦١ سلبًا على بن غوريون نفسه. من ناحية أخرى، لم يكن هاريل راضيًا على الاطلاق عن قيام بن غوريون بجعل شيمون بيريز مسؤولاً عن المشروع النوويّ السّري وعن جهاز لاكام. وبدأ رئيس الوزراء يشعر بالقلق تجاه السلطات الواسعة التي يتمتّع بها هاريل. والآن، وبسبب العلماء الألمان، حدثت شروخ عميقة في العلاقة بين الصديقين القديمين، واندفعت مياه الفيضان إلى هذا الصدع لتدمّر الثقة التي كانت يومًا راسخة بينهما.

وفي ٢٥ أيّار مارس ١٩٦٣، وعقب القبض على جوكليك وبن غال في سويسرا بتسعة أيّام، قدّم هاريل استقالته، وكان يأمل في ألاّ يقبلها بن غوريون، وأن يطلب منه الاستمرار في تحمّل مسؤوليّاته، مقتنعًا بالاسطورة التي خلقها حول نفسه. ذلك أنّ الصبيّ الصغير القادم من "فايتسبك" كان قد أصبح لاعبًا سياسيًّا في مباراة الشطرنج العالميّة. واجتمع مع شخصيّات قويّة النفوذ مثل ألان دالاس كاتم أسرار الرئيس آيزنهاور، والجنرال بختيار رئيس جهاز المخابرات الإيرانيّة "سافاك" في عهد الشاه، والذي أصبح أيضًا رئيسًا لوزراء إيران. وقد اعتقد هاريل أنّه يتعيّن أن يتمتّع بنفس السلطات، أو أن يصبح على الأقلّ عضوًا في الوزارة. وفي أسوإ الأحوال، فإنّه اعتقد

أنّه لا يوجد من يمكنه أن يحلّ محلّه كمسؤول أوّل عن مؤسّسة المخابرات الاسرائيليّة. إلاّ أنّ بن غوريون كان يعتقد غير ذلك[1].

وكاد الرجال الناضجون في أجهزة المخابرات الإسرائيليّة ينفجرون بالبكاء بينما كان إيسر هاريل يصافحهم قبل أن يغادر المقرّ الرئيسيّ للموساد. فقد كان الجميع يعلم أنّ عهدًا قد انتهى.

كان عمر هاريل عندما قدّم استقالته في ٢٥ آذار ـ مارس ١٩٦٣ في حدود الخمسين عامًا فقط. وكما تآمر يومًا على سلفه شيلوح، جاء اليوم من يتآمر عليه مع رئيس الوزراء بن غوريون، وكان الخصم الطامح بمركزه الرئيس الجديد لجهاز الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة أمان، الجنرال "مائير عميت".

وبذلك ينتهي عهد رئاسة إيسر هاريل للموساد الذي استمرّ عشر سنوات (١٩٥٣ ـ ١٩٦٣).

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٦٤ ـ ١٦٦.

الحقبة الثالثة من تاريخ الموساد

تعيين مائير عميت رئيسًا للموساد

قيل إنّ بن غوريون قد فكّر أولاً بتعيين "جويل موراب" رئيس شين بيت رئيسًا موقّتًا للموساد، غير أنّه عدل عن ذلك لأنّ موراب لم يكن يومها في إسرائيل.

بينما كان رئيس جهاز الاستخبارات العسكريّة الاسرائيليّة أمان، الجنرال "مائير عميت"، يقوم بجولة في الوحدات الاسرائيليّة بالقرب من البحر الميت، حمل له أحد العناصر رسالة تطلب إليه الاتّصال فورًا بمكتب رئيس الوزراء. وعندما أجرى الاتّصال بمكتب بن غوريون، أبلغه مساعد الأخير أنّ "الرجل العجوز" يطلب مقابلته على الفور". وأرسلت طائرة لإحضاره.

فور استقبال بن غوريون لعميت في ٢٦ آذار ـ مارس ١٩٦٣، سلّمه نسخة عن كتاب أرسل قبل ساعات إلى إيسر هاريل يتضمّن موافقة رئيس الوزراء على استقالة الأخير. وقال بن غوريون لعميت: ستكون الرئيس الجديد للموساد.

كان ذلك قبل استقالة بن غوريون بأقلّ من ثلاثة أشهر في ١١ حزيران ـ يونيو ١٩٦٣ متعبًا من فضيحة لافون، ليذهب إلى منفاه السياسيّ الاختياريّ من دون رجعة هذه المرّة.

غير أنّ بن غوريون لم يمنح الرئيس الجديد للموساد نفس السلطات التي كانت لهاريل، ذلك أنّه عيّن رجلاً آخر رئيسًا لشين بيت التي كان هاريل يتولّى رئاستها مع رئاسة الموساد في آن. ولكنّ عميت كان في الوقت نفسه رئيسًا لوكالة الاستخبارات العسكريّة أمان خلفًا لحاييم هيرتسوغ الذي تقاعد نهائيًّا في عام ١٩٦٢. والمقول إنّ عميت قد تقلّد رئاسة المخابرات العسكريّة بترشيح من موشي دايان، كما شارك رئيس الأركان "زيفي تسور" في إقناع بن غوريون بتعيينه في ذلك المنصب تحت حجّة أنّه يجب السماح للجيش بتعيين رجاله الكبار بدون تدخّل خارجيّ. وكان هاريل قد حارب ترشيح عميت كرئيس للاستخبارات العسكريّة بحجّة أنّه ليس له تجربة تذكر في عالم المخابرات. وقد كان هاريل في حرب دائمة مع المخابرات العسكريّة بسبب سعيها الدائم للاستقلال في التفكير والعمل، ومن هنا، فقد كان هاريل ينظر إليها كمنافس وليس كشريك، ولذا لم يستفد إلاّ قليلاً من نشاطها، وكان شديد الشكوك في تقييمها للمعلومات. ذلك أنّ هاريل لم يكن بمقدوره تحمّل المنافسين الاقوياء، وقد كان عميت منافسًا قويًّا... ولم يكن من النوع الذي يقبل بسهولة لعب دور ثانويّ، فلقد كان عسكريًّا قلبًا وقالبًا، ومن الذين يعتبرون أنّ تولّي القيادة من الخطوط الأماميّة ليس أمرًا صحيحًا فحسب، بل إنّه أمر طبيعيّ. وبصفته قائد ميدان، بخلاف هاريل، فقد عرف أهميّة المعلومات الجيّدة للجندي المقاتل. ومن هنا، فسوف يدخل إلى الموساد ذهنيّة الجنديّ[1].

ولد عميت في طبريّا عام ١٩٢٦ تحت إسم "مائير سلوتزكي"، وشبّ بوصفه إشتراكيًّا، وانضمّ إلى كيبوتز "ألوميم" في الجليل الأدنى حيث أمضى معظم سنوات

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الموساد بين الإخفاق والاختراق، ص٣٧ ـ ٣٨.

صباه. وتمكّنت والدته، وهي أستاذة في فنّ الخطابة، من أن تبدّد كلّ آثار لهجته الغربيّة التي اكتسبها هناك. كما غذّت في إبنها الميل للاستقلاليّة ورفضه التساهل مع الحمقى وازدراءه للسكّان. والأهمّ من ذلك أنّها شجّعت فيه مهاراته التحليليّة وعزّزت قدرته على التفكير الإيجابيّ. وفي خلال حياته المهنيّة الطويلة استخدم عميت هذه الصفات ليكتشف مقاصد الخصوم. فغالبًا ما سبق عنده التدبير حصول اليقين، وكان الخداع في مركز القلب في عمله.

انضمّ عميت إلى حركة الهاغاناه السريّة، وأصبح قائد سريّة في حرب ١٩٤٨. وعقب الحرب، عوضًا عن العودة إلى الكيبوتز، اختار البقاء في الجيش الرسمي الذي أنشئ تحت إسم جيش الدفاع الاسرائيلي. وفي خمسينات القرن العشرين تولّى قيادة وحدات من المشاة والدبّابات، وكان من الرجال الذين طوّروا مبدأ "إتبعوني Follow Me" الذي أصبح شبه ماركة مسجلّة للجيش الاسرائيلي، بحيث أنّ القائد لا يبقى في المؤخّرة، بل يتقدّم قوّاته في المعركة.

أصبح عميت صديقًا حميمًا للجنرال موشي دايان، وخدم كمساعد له في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦، ودرس العلوم النظريّة بعدذلك وحصل على درجة علميّة في الاقتصاد من جامعة كولومبيا في نيو يورك.

والمقول إنّه عندما عرض عليه منصب رئيس الاستخبارات العسكريّة أمان في عام ١٩٦٢، فمن المحتمل أنّه فكّر في الأمر مرّتين، فالوظيفة الاستخباراتيّة لم تجلب لشاغلها سوى الحظّ السيّء، فقد أجبر ثلاثة من قادة أمان الأربعة الذين سبقوه على ترك مناصبهم: أوّلهم إيسر بيري في عام ١٩٤٩ لانتهاكه الحقوق المدنيّة، ثمّ بنيامين غيلبي في ١٩٥٥ بعد إشرافه على عمليّة التخريب الغبيّة في مصر، ويهوشافاط حركابي في عام ١٩٥٨ بعد فشله في إنجاز تدريبات التعبئة الوطنيّة لقوّات الاحتياط...

وحلّ محلّ حركابي الجنرال حاييم هيرتزوغ الذي يُعدّ قصّة نجاح حيّة. وكان هيرتزوغ قد حلّ محلّ بيري في رئاسة أمان في وقت سابق، وفي عام ١٩٥٨ عاد إليها مرّة أخرى لتجديد صورة المخابرات العسكريّة وصقلها، وتمكّن من إعادة الاعتبار إليها، إلاّ أنّ هيرتزوغ نفسه لم يتمكّم من البعد بوكالته إلى خارج إطار الظلال الكثيفة التي ألقتها الموساد خلال سنوات هاريل كرجل مسؤول واحد. ومع سعي هيرتزوغ للتقاعد من الخدمة العامّة مرّة أخرى في عام ١٩٦٢، عرضت رئاسة أمان على عميت بالرغم من معارضة هاريل كما سبق أن ذكرنا، إلاّ أنّ تأثير هاريل على بن غوريون كان قد تضاءل وحصل عميت على المنصب. وعقب تولّيه السلطة في مقرّ قيادة أمان في كيريا، حاول عميت التخفيف من العداء والمنافسة بين وكالته والموساد التابعة لهاريل، وأوضح أنّه لا مكان للخصومات عندما يتعلّق الأمر بالدفاع عن الدولة اليهوديّة، واقترح أن تعمل جميع الأجهزة السريّة في تعاون تام. إلاّ أنّه بعد خمسة أسابيع من محاولة المصالحة، وصل التوتّر والكراهية بين رئيسي الوكالتين إلى درجة الاحتدام، فلم يكن ما بينهما مجرّد اختلاف في الآراء، بل إنّ كلاًّ منهما كانت له عقليّته المختلفة تمامًا عن الآخر، فهاريل كان متخصّصًا في العمليّات، بينما عميت كان خبيرًا في الاستراتيجيّة العسكريّة. وهاريل كان يسعده التنقّل السريع عبر أوروبّا لعدّة شهور لاقتفاء أثر الطفل "شوماخر" أو أيّ فريسة أخرى، وينام في خلال ذلك فوق الأسرّة الصغيرة ويبقى في الشارع مرتعشًا لمتابعة عمليّة المراقبة، وكان ضبّاط المخابرات العسكريّة يجدون أنّ أساليب الموساد مثيرة للضحك، لأنّ جواسيس إسرائيل في الخارج كانوا لا يقدّمون إلاّ القليل عنما يتعلّق الأمر بمعرفة القدرات العسكريّة للبلدان العربيّة. أمام هذا الواقع، توقّع كبار القادة العسكريّين في الجيش نتائج أفضل بكثير من قبل الموساد بعد تولّي عميت رئاستها، فقد كان واحدًا منهم، وأصبح من

المؤكّد أنّ الكفاءة في العمل والتنسيق سيجري تدعيمها من خلال الدور المزدوج لكلّ من الموساد وأمان، إذ لم يسبق لأحد أن تولّى هذين المنصبين معًا[1].

تنظيمٌ جديدٌ للموساد

نتيجة تعيين مائير عميت رئيسًا للموساد، كان أوّل المستقيلين نائب هاريل. وبعد ساعات، كان رجل طويل القامة، على عكس هاريل، نحيل الجسم، له ملامح قاسية ووسامة بارزة يعبر بخفّة أبواب المقرّ الرئيسيّ للموساد. وقد ظهر جليًّا منذ لحظة دخوله أنّ التغييرات وشيكة[2]. وبعد خمسة عشر دقيقة على جلوسه وراء مكتبه، استدعى الرئيس الجديد للموساد رؤساء الأقسام في الجهاز. وإذ تجمهروا أمامه، راح يحدّق بوجوههم في صمت. ثمّ تحدّث بالصوت الحادّ نفسه الذي استخدمه لبدء عمليّات الهجومات الميدانيّة التي لا تحصى قائلاً:

لن يكون بعد اليوم أيّ عمليّة أخرى لاستعادة الأطفال المفقودين. ولن يكون هناك تدخّل سياسيّ غير ضروريّ. وسأتولّى حماية كلّ منكم في وجه الانتقادات الخارجيّة، ولكن إذا خيّبتم أملي فلا أمل ببقائكم في مناصبكم. سأقاتل من أجل زيادة حصّة الموساد من ميزانيّة الدفاع لشراء أحدث المعدّات والموارد الإسناديّة. غير أنّي لن

---

١ - رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٦٩ - ١٧٠.

٢ - يذكر بعض المراجع أنّ هاريل قد حضر بداية هذا اللقاء في ما يشبه حفلة التسلّم والتسليم، فلم يقل سوى كلمات روتينيّة قليلة ثمّ وقف ببساطة بعد ذلك وغادر المكان، وانفجر ثلاثي سكرتاريّة هاريل بالبكاء.

أنسى الثروة التي أقدّرها فوق سواها: فنّ جمع المعلومات السريّة عن طريق الأشخاص.

كان عميت يريد أن يكون هذا أعظم مهارات الموساد. وقد وجد موظّفو عميت أنّه رجل يرى أنّ عملهم يتجاوز العمليّات اليوميّة ويحمل نتائج سيظهر أثرها بعد سنوات. وفي هذه الخانة يقع اقتناء التكنولوجيا العسكريّة[1].

لم تكن عمليّة أقلمة رجال الجهاز على الوضع الجديد سهلة على الإطلاق، فإنّ عميت يحلّ مكان شخص أمضى أحد عشر عامًا في تشكيل كلّ من الموساد وشين بيت على هواه، فلم يكن غالبيّة العاملين في الموساد قادرين على نسيان هاريل الذي كان في نظرهم بمثابة أسطورة عصره، والأب الروحيّ للجهاز السريّ. لذلك فقد استقبل عميت في مقرّ الموساد عند زيارته الأولى بوجوه غاضبة من قبل رجال تنفيذيّين كبار لاعتقادهم بأنّه هو المسؤول عن الخسوف الذي حلّ بهاريل. وفي اليوم التالي، السابع والعشرين من آذار - مارس ١٩٦٣، وصلت برقيّة تلكس غير مشفّرة إلى مكتب عميت أعربت عن خيبة الأمل لرحيل هاريل، وأكّدت على ضرورة بذل الجهود للعمل على عودته. وقد وقّع على هذه البرقيّة العدد الأكبر من كبار الجواسيس العاملين في أوروبّا. وقد طلب عميت من معاونيه أن يتأكّدوا أوّلاً من أنّ الرسالة واردة من "شمويل توليدانو" رجل المغرب المتمرّس، ومن "إسحاق شامير" رئيس العمليّات في باريس، و"موردخاي ألموغ" و"يوسف رعنان". وبدا أنّ توليدانو والآخرين قد فكّروا في تقديم استقالة جماعيّة، إلاّ أنّهم قرّروا في النهاية الاكتفاء بإرسال برقيّة تلكس شديدة اللهجة. غير أنّ احتجاجهم كان أقلّ شدّة من تمرّد الجواسيس الذي حدث قبل ذلك

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٦٣.

التاريخ منذ ٢٢ عامًا عند إعادة تنظيم القسم السياسي في وزارة الخارجيّة. مع هذا، فإنّ ردّ فعل رئيس الموساد الجديد، وهو الآتي من موقع عسكريّ يحترم التسلسل العسكريّ للقيادات، قد اتّسم بالقوّة، بهدف وقف انتشار الاستياء، فكتب لمرسلي البرقيّة يقول بأنّه لا يقبل سلوكهم وبأنّه ليس معتادًا على الاحتجاجات الجماعيّة...

وسرعان ما طار عميت إلى باريس في مهمّة لترتيب الأوضاع مع رجاله في أوروبّا. وفي الوقت نفسه، دعا أحد رجال هاريل المفضّلين للعمل معه كنائب له وهو "ياكوف كاروز"، الذي كان يعمل رئيسًا لقسم الاتّصال والعمل السياسي في الموساد، والذي عمل في الوكالة منذ أيّامها الأولى، وكدبلوماسي بديل... وقد قبل عرض عميت، ما أدّى إلى تخفيف حدّة التوتّر عند المخلصين لهاريل. كما ساعد التغيير الذي جرى في الحكومة بعد ثلاثة أشهر على تسلّم عميت منصبه الجديد على تحسّن الأوضاع لصالح عميت.

ففي حزيران - يونيو ١٩٦٣ استقال بن غوريون من منصبه كرئيس للوزراء بعد أن أرهقته الصراعات الداخليّة على السلطة في حزب الماباي بحجّة عمليّة لافون. وأسّس بن غوريون حزبًا سياسيًّا جديدًا ينتمي إلى الوسط مع أعوانه موشي دايان وشيمون بيريز أطلق عليه اسم "رافي"، واختار الماباي الذي بقي مسيطرًا على الأغلبيّة في الكنيست "ليفي أشكول" رئيسًا للوزارة الجديدة. وقد أبدى أشكول اهتمامًا بالغًا بالمخابرات، إذ كان يشعر بالرهبة التامّة إزاء عمل الموساد، وكان يطري من وقت لآخر على عميت لما يقوم به عملاؤه.

وفي المقابل، عمل عميت على زيادة ميزانيّة الموساد عن طريق ليفي أشكول الذي كان وزيرًا للماليّة قبل تولّيه رئاسة الحكومة، وهو الأمر الذي مكّنه من استئجار عدد من الرجال والنساء التابعين له والإسراع بإصلاحاته في الجهاز السريّ.

استمرّ عميت محتفظًا بمنصبه متنقلاً بين مكاتب الموساد وأمان في تلّ أبيب حتّى شهر كانون الأوّل ديسمبر ١٩٦٣ إذ عُيّن نائبه الكولونيل "أهارون ياريف" رئيسًا لأمان. وقد شكّل الثنائي عميت - ياريف إتّحاد شراكة أستثنائيًا، تجاوزت إنجازاته أيّ أنجازات قامت بها الاستخبارات الاسرائيليّة، وذلك بفضل انسجام قمّتي الاستخبارات العسكريّة والموساد.

استخدم عميت هذه الحقبة الانتقاليّة لإعادة تنظيم هيكليّة الموساد، خاصّة بعد أن أصدر أشكول قرارًا بتثبيته كرئيس للموساد. وقد ضمّ ذراع عمليّات أمان من القوّات الخاصّة، وهي الوحدة ١٣١، إلى الموساد، وكانت سمعتها قد تلطّخت بعد عمليّة لافون، واحتاجت إلى هويّة جديدة باندماجها في وحدتَي العمليّات الصغيرتين للموساد. وبسبب العجز المزمن في القوى العاملة، عملت الوحدة ١٣١ كفرق للعمليّات لتدعيم مبعوثي هاريل في العالم، وكفرع لتجميع المعلومات عن طريق الجواسيس العرب والأجانب العاملين تحت سيطرة الضبّاط الاسرائيليّين. وكان من المتوقّع أن يعترض إسحاق شامير رئيس الوحدة الأوروبيّة على هذا الدمج، إلاّ أنّه استقال بدلا من ذلك. وإنّ كبار مسؤولي العمليّات الميدانيّة الأربعة الذين وقّعوا على رسالة الاحتجاج إلى عميت في ثاني يوم لتولّيه رئاسة الموساد، قد تركوا الوكالة له خلال عامين من إرسالهم البرقيّة. فقد أيقنوا أنّه لم يبق لهم أيّ أمل في الترقية بعد أن رفعوا رايات الانشقاق. وقد أعلن أحدهم: توليدانو، بعد أن ترك الموساد، أنّه كان يأمل في أن يصبح رئيسًا للوكالة، وكان عليه أن يستقرّ في منصب مستشار الشؤون العربيّة لرئيس الوزراء ليفي أشكول. أمّا شامير، فقد واجه صعوبات في الانتقال من حياة السريّة التي عاشها زمنًا قبل نشوء دولة إسرائيل، فبعد قيادته لعصابة شتيرن السريّة التي عملت ضدّ البريطانيّين ةالعرب، أصبح متجوّلاً في أوروبّا أثناء عمله في الموساد حيث

اكتسب ملكات الزاهدين المطلوبة في العمل السريّ، فقد كان متشككًا، يرضى بالقليل من المتع ولديه الرغبة في العمل الشاق. ويذكر أحد رفاقه في الموساد أنّ شامير كان انطوائيًّا متفانيًا في قضيّته، وأنّه تعلّم الفرنسيّة على نفسه، إلاّ أنّه لم يكن صاحب مبادرة ولا يتقدّم بأفكار ذكيّة، بل كان يحضر إلى عمله في الصباح ويعود في نهاية اليوم إلى زوجته "شولاميت" وطفليهما... إحدهما "غيلادا" التي انجذبت إلى العمل السرّي، أمّا ابنه "بير" فقد أصبح ضابطًا برتبة في سلاح الطيران. وعقب مغادرته للموساد افتتح شامير مصنعًا فشل في إنجاحه، ولم يكن أمامه سوى بدائل محدودة من بينها الدخول في العمل السياسيّ عام ١٩٧٢ في سنّ متأخّرة نسبيًّا بعد أن بلغ الخامسة والخمسين. وقد اعتاد دائمًا الذوبان بصورة غير مرئيّة وسط الجماهير، وكان على هذا الرجل القصير الذي لا يبتسم إلاّ نادرًا أن يتعلّم كيف يمكن أن يصبح شخصيّة عامّة. وحتّى بعد أن أصبح أستاذًا في فنّ السياسة، ووصل إلى منصب رئيس الوزراء، فقد ظلّ محتفظًا بذكريات حميمة من أيّام التوتّر الدراميّة أيّام عمله كعميل سرّي، ويتذكّر ذلك قائلاً: "إنّ أيّامي في الموساد كانت أسعد أيّام حياتي، ولا يمكن مقارنتها حتّى بالسياسة وبرئاسة الوزارة[١]".

أحدث عميت تعيينات جديدة في الموساد، فعيّن رجالاً موالين له حيث شغرت المناصب. ورفع رتب الملحقين العسكريّين في الخارج، وأوكل إلى بعضهم رئاسة مراكز الموساد في الوقت نفسه. وإجمالاً، فقد قلّد الطريقة الأميركيّة في منهجيّة وكالته، ما استوجب الانتقال من حال التقشّف الذي كان يتّبعها سلفه، إلى حال من الفخامة والبذخ، وهذا ما أثار نقمة بعض العاملين في الوكالة، وهم المعتادون على

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٧٢ ـ ١٧٤.

النهج التقشفي لسلفه هاريل. إلاّ أنّ عميت تشبّث في تحديث الموساد. وقد اختار أكثر العناصر الجديدة من الجيش ومن الجامعات. كما أحدث عميت تغييرات تنظيميّة عديدة في منهجيّة العمل سواء داخل إدارة الوكالة أم في مكاتبها في الخارج، وإذ لاحظ الغياب التام لأيّ تسلسل حقيقيّ للقيادة داخل الموساد إلاّ بشكل سطحيّ، وقد أصبحت الوكالة بغياب هاريل تدور كالدجاجة المقطوعة الرأس، في الوقت الذي تربّى فيه عميت على غير ذلك، فهو قد نشأ على مبدإ أنّه إذا تغيّر ضابط في القيادة، فإنّه يعرف مسبقًا بأنّ نائبه سيحلّ محلّه... وينطبق ذلك على كلّ هرميّة القيادة من دون حصول أي اضطراب في الوحدة ولو للحظة واحدة، أمّا في عهد هاريل، فقد كان هاريل هو الموساد وكانت الموساد هي هاريل. فقد أضفى عميت الصفة الرسميّة البيروقراطيّة على الموساد، وأصبح التخصّص ظاهرة مميّزة في الوكالة.

وشجّع عميت العنصر النسائيّ على العمل في الموساد. ومن أقوله "إنّ المرأة سلاح هامّ في أعمال المخابرات الاسرائيليّة، فهي تمتلك ملكات يفتقر إليها الرجال، إذ إنّها تعرف جيّدًا كيف تنصت للكلام... فحديث الوسادة لا يمثّل لها أيّ مشكلة... ومن الحماقة القول بأنّ الموساد لم توظّف الجنس لمصلحة إسرائيل... فنحن لدينا نساء متطوّعات راجحات العقل... يدركن الأخطار المحدقة بالعمل، فالقضيّة لا تنحصر في مضاجعة شخص ما... إنّما دفع الرجل إلى الاعتقاد بأنّ هذا يتمّ مقابل ما يتعيّن أن يقوله... وكانت "ليلى كاستيل" أسطورة نساء الموساد بحقّ... فبعد سنوات من وفاتها عام ١٩٧٠ كان الجميع يتحدّثون عن مواهبها الاستثنائيّة... فقد كانت تتحدّث العربيّة والفرنسيّة والانكليزيّة والألمانيّة والإيطاليّة إضافة إلى العبريّة... وكانت جذّابة وذكيّة... وجديرة بثقة الموساد... وكان سلفي هاريل يستخدم عقلها وأنوثتها في مهمّات خاصّة في أوروبّا".

إنّ غالبيّة أجهزة المخابرات في العالم تستعين بالساقطات المنحرفات جنسيًّا لخدمة أغراضها حيث يسهل إغرائهنّ بالمال، أو التستّر على فضائحهنّ. أمّا في الموساد فيتمّ اختيارهنّ من بين المجنّدات في جيش الدفاع الاسرائيلي أو من الموظّفات في الأجهزة الأمنيّة والسفارات، أو من المتطوّعات ذوات القدرات الخاصّة، ويقوم على تدريبهنّ خبراء متخصّصون بعد اجتياز اختبارات مطوّلة تشمل دراسات معقّدة عن مستوى الذكاء، وصفاتهنّ المعبّرة عن نفسها في مختلف الأمزجة، وأنماط الطباع، وسرعة التصرّف والاستجابة. ويدرّسن أيضًا فنون الإغراء وأساليبه، بالإضافة إلى علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأمراض النفسيّة ومنها طرق الإشباع الجنسيّ، ونظريّات الجنس في أعمال السيطرة، والصدمات العالية للسيطرة والتي توصف بأنّها آليّات زناد إطلاق النار، واكتشاف مرضى القهر الاجتماعي أو السياسيّ أو الدينيّ لسهولة التعامل معهم، وكذلك المصابين بإحباطات الشعور بالنقص، وذوي الميول الجنسيّة المنحرفة، إلى جانب التمرينات المعقّدة للذاكرة لحفظ المعلومات وتدوينها بعد ذلك، وتدريبات أكثر تعقيدًا في وسائل الاستدراج والتنكّر والتلوّن وإجادة اللغات. إنّهنّ نسوة مدرّبات على التعامل نع نوعيّة خاصّة من البشر، استرخصت بيع الوطن في سبيل لذّة الجنس. ومن هنا ندرك أنّهنّ نساء أخريات يختلفن عن سائر النساء[١].

وقد أثبت عدد من بغايا إسرائيل عن تفان ملحوظ... بالرغم من عدم إبلاغ الوكالة السريّة لهنّ بأيّ تفاصيل عن العمليّة أو حتّى عن شخصيّة الرجال الذين صدر لهنّ الأمر بمضاجعتهم... وعلى سبيل المثال، فإنّه من الممارسات الشائعة أنّ كلاًّ من الموساد وأمان كانتا تقومان بتهريب العملاء العرب لاستخلاص المعلومات منهم عبر

١ ـ الفالوجي فريد، جواسيس الموساد العرب، ص٢٢ ـ ٢٣.

الحدود إلى إسرائيل، وإحضارهم إلى مكان هادئ، وهناك كان يتمّ استجوابهم مطوّلاً، ثمّ يكافأون على عملهم بتقديم بائعات الهوى إليهم... وأحيانًا كان يتمّ تصويرهم في أوضاع شاذّة لإمكان إخضاعهم للابتزاز.

وعلى العموم، فقد تمّ في عهد رئاسة عميت لوكالة الموساد "تحسينات على استخدام الجنس والممارسات العمليّة الأخرى للموساد".

ومن بين أقسام الموساد الثمانية، كان أكثرها أهميّة أقسام جمع المعلومات، والتخطيط الميداني والتنسيق، والأبحاث، والعمل السياسي والاتّصال. أمّا الأقسام الأخرى وهي التدريب والميزانيّة وقوّة العمل والتكنولوجيا والعمليّات التقنيّة، فأصبح عملها يتركّز على تقديم الدعم والمعاونة للأقسام الرئيسيّة الأولى.

وعلى العموم، فقد تغيّرت طريقة عمل الموساد في عهد عميت بشكل جذريّ، وانتقلت من ذهنيّة إدارة الفرد الواحد إلى ذهنيّة الإدارة الهرميّة. وتمكّنت بذلك من تحقيق إنجازات ملحوظة، خاصّة بعد حصولها على أعداد ضخمة من أجهزة الكومبيوتر المتقدّمة.

كما سعى عميت من أجل جعل القسم السياسيّ والاتّصال في الموساد بمثابة وزارة خارجيّة سريّة ثانية، تفوّقت أحيانًا على وزارة الخارجيّة الأصليّة. ذلك أنّ كثيرًا من الدول لم يكن بوسعه البحث في التبادل الدبلوماسيّ لإسرائيل، كما هي الحال في إندونيسيا الدولة ذات الأكثريّة المسلمة، أو في الهند التي تضمّ قسمًا كبيرًا من المواطنين المسلمين، أو سواهما، فكان الموساد يشكّل فيها الهيئة المخابراتيّة البديلة عن الهيئة أو البعثة الدبلوماسيّة. كما جعل من السفارات في الدول لأخرى مراكز لوكالة الموساد من خلال زرع الملحقين أو المستشارين التابعين للموساد في تلك السفارات.

من جهة أخرى، اتّبع عميت المقولة التي تعتبر أنّه يمكن الحصول على المعلومات المتعلّقة بالعدوّ من مصادر عديدة، وقد اعتبر أنّ الأجانب الأصدقاء يمكن أن يسهموا في ذلك، وهذا ما جعله يسعى لضمان إقامة الوكالة لروابط مع الوكالات المناظرة في أنحاء العالم. وسعى من أجل التأثير عن طريق تنظيم المصالح الصناعيّة والتجاريّة في الدول المستهدفة، وحثّها على تنظيم وسائل سريّة للضغط على حكوماتها، وإرسال المستشارين واستخدام الشخصيّات البارزة المحليّة كعملاء ذوي نفوذ.

ومنذ تسلّم عميت إدارة الموساد، راح يقاوم محاولات تحويل الموساد إلى نسخة عن المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA، أو عن المخابرات السوفياتيّة KGB، ويوظّف هذان الجهازان مئات الألوف من المحلّلين والعلماء والاستراتيجيّين والمخطّطين لدعم العملاء الميدانيّين. وكان يقدّر عدد العملاء الميدانيّين العراقيّين والإيرانيّين آنذاك بعشرة آلاف، وحتّى الاستخبارات الكويتيّة تدير حوالى ألف جاسوس ميدانيّ. لكنّ عميت أصرّ على أنّ عدد الموظّفين الميدانيّين الإجماليّ لن يزيد كثيرًا على ألف ومئتي شخص. وسيجري اختيار كلّ منهم بعناية، ويشترط في الوظّف الميدانيّ أن يكون متعدّد المهارات: فالعالم يجب أن يتمكّن من العمل في الميدان إذا دعت الحاجة، وضابط الاستخبارات يجب أن يكون قادرًا على استخدام مهاراته التخصّصيّة لتدريب غيره. وسيكون هو بالنسبة إليهم "ميمون"، والتي يمكن ترجمتها بـ"قائدهم ولكن ليس أفضلهم". ومن شأن هذا اللقب أن يؤهّله من الاتّصال غير المقيّد برئيس الوزراء ورعاية طقس تقديم ميزانيّته السنويّة إلى الحكومة الاسرائيليّة للموافقة عليها بلا نقاش[١].

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٧٥.

فرَق تسُد

الدفعة الأولى من عملاء الموساد الذين عيّنوا خارج البلدان العربيّة في أول عهد عميت أرسلت إلى الولايات المتّحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا. في الولايات المتّحدة أقام عملاء موساد دائمون في نيو يورك وواشنطن. وكُلّف عملاء نيويورك بصورة خاصّة مهمّة اختراق جميع البعثات الدبلوماسيّة في الأمم المتّحدة، إضافة إلى الجماعات الإتنيّة المتفرّقة في نيو يورك. وأنيطت بعملاء واشنطن مهمّة مماثلة إضافة إلى مسؤوليّة مراقبة البيت الأبيض. وعمل عملاء موساد آخرون في مناطق النزاعات الدائرة، ثمّ عادوا عندما انتهت مهمّتهم.

وأحدث مائير عميت تغييرات كبرى في الوكالة فصارت تضمّ "دائرة تجميع" مسؤولة عن عمليّات جمع المعلومات السريّة في الخارج، وكذلك "دائرة للعمل والارتباط السياسيّ" تعمل مع ما يسمّى أجهزة الاستخبارات الاجنبيّة الصديقة وخصوصًا الـ CIA الأميركيّة والـ MI 6 البريطانيّة. وتتألّف دائرة الأبحاث من خمسة عشر قسمًا أو مكتبًا شغلها الشاغل البلدان العربيّة. وثمّة أقسام مستقلّة لكلّ من الولايات المتّحدة الأميركيّة وكندا وأميركا اللاتينيّة وبريطانيا وأوروبّا والاتّحاد السوفياتي السابق. وعلى مرّ السنين جرى توسيع هذه البنية التحتيّة لتشمل الصين وجنوب أفريقيا والفاتيكان. لكن الموساد بقيت من حيث المبدأ المنظّمة الصغرى نفسها.

لم يكن يمرّ يوم من دون وصول حزمة جديدة من الأخبار من الفروع القائمة في الخارج. وكانت هذه الأخبار توزّع في أنحاء المبنى المتعدّد الطبقات الرماديّ الكئيب القائم على بولفار الملك شاول... ويرى عميت، بالنسبة إلى وجود المقرّ على بولفار "الملك شاول" أنّه "إذا كان هذا سيزيدنا فخرًا فلا بأس. وبالطبع فإنّه يثير مزيدًا من

الرعب في نفوس أعدائنا"... وكان ضبّاط الاستخبارات في الموساد أكفاء في مكرهم، وعلى استعداد لمكافحة النار بالنار... وكانوا وراء أعمال الشغب الهادفة إلى خلق حالة فقدان ثقة متبادل بين الدول العربيّة، ونشروا دعايات مضادّة شائنة، وجنّدوا المخبرين وطبّقوا فلسفة مائير عميت بأن "فرّق تسُد"، وفي كلّ ما فعلوه وضع رجال عميت معايير جديدة للاحتراف الجدّي، وكانوا يتحرّكون كاللصوص في الليل مخلّفين وراءهم الموت والدمار. ولم ينج أحد من ردّهم الانتقاميّ. وحالما تنتهي مهمّتهم كانوا يعودون للردّ على الأسئلة في مكتب عميت.

وقد تبيّن لمائير عميت أنّ ضبّاط مخابراته بحاجة إلى الدعم في الميدان. فأنشأ الـ"سيانيم"، وهم المتطوّعون اليهود لخدمة الموساد. وكان كلّ متطوّع مثالاً للتلاحم التاريخي ليهود العالم. فبصرف النظر عن ولاء المتطوّع أو المتطوّعة، فقد أنجز هؤلاء عددًا من المهام. كان أحدهم مثلا يدير وكالة لتأجير السيّارات فقدّم لأحد ضبّاط الموساد عربة من دون حاجة إلى أوراق مطلوبة، وقدّم آخر يعمل في تأجير العقارات المسكن. وفتح ثالث يعمل في مصرف الخزنات بعد الدوام الرسميّ. وقدّم رابع يعمل طبيبًا مساعدة طبيّة كمعالجة جرح سبّبته رصاصة، من دون إبلاغ السلطات. هؤلاء المتطوّعون كانوا لا يتلقّون مقابل خدماتهم إلاّ كلفة تلك الخدمات. وقد تعاونوا على جمع المعلومات التقنيّة وجمع أنواع المعلومات "المفتوحة" كإشاعة في حفل كوكتيل، أو خبر تذيعه إحدى الإذاعات، أو مقطع من صحيفة، أو قصّة لم تكتمل فصولها في حفل عشاء... وساعدوا ضبّاط الاستخبارات على الامساك بطرف الخيط. وما كان بإمكان الموساد أن يعمل من دونهم[١].

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٧٦ ـ ٨٢.

عمليّة الميغ ـ ٢١

بعد مرور زمن قصير على تولّي عميت لقيادة الموساد، دخل إلى السفارة الاسرائيليّة في باريس رجل قال إنّ اسمه سلمان، وقدّم عرضًا مذهلاً:

مقابل مليون دولار أميركي تدفع نقدًا، يستطيع سلمان أن يضمن تزويد السفارة بالطائرة التي كانت يومئذ تعتبر الطائرة المقاتلة الأكثر سريّة في العالم: "ميغ ـ ٢١" الروسيّة. وأنهى سلمان تقديم عرضه المذهل لأحد الدبلوماسيّين الاسرائيليّين بطلب غريب:

"أرسلوا أحدًا من قبلكم إلى بغداد وليطلب هذا الرقم ويسأل عن جوزيف. ولتكن المليون دولار جاهزة".

أرسل الدبلوماسي تقريره حول الموضوع إلى ضابط الموساد المسؤول المقيم في السفارة. وقد كان من ضبّاط الموساد القدامى الذين لم يطالهم التطهير الذي أعقب تعيين عميت رئيسًا للموساد. فسارع هذا الضابط إلى إرسال تقريره بالشيفرة إلى تلّ أبيب مع رقم الهاتف الذي زوّد به سلمان السفارة.

بقي مائير عميت أيّامًا وهو يحلّل الموضوع. فقد يكون سلمان محتالاً يريد سلب المال بعد نيل الثقة، أو شخصًا جامح الخيال، أو حتّى شريكًا في مؤامرة عراقيّة تهدف إلى الإيقاع بعميل الموساد.

كان هناك خطر كبير جدًّا من أن يفضح هذا الأمر ضباط استخبارات آخرين يعملون متخفّين في العراق. لكنّ احتمال الحصول على طائرة ميغ ـ ٢١ كان إغراء لا يقاوم.

كانت طاقة الميغ ـ ٢١ على تخزين الوقود ومدى ارتفاعها وسرعتها وتسليحها ومدّة صيانتها وتحويل اتّجاهها، قد جعلتها الطائرة المقاتلة العربيّة للخطوط الأماميّة. وسيسرّ قادة القوّة الجويّة الإسرائيليّة أن يدفعوا عدّة ملايين من الدولارات مقابل إلقاء نظرة على خريطة الميغ، فكيف إذا تمكّنوا من الحصول على الطائرة نفسها.

يقول عميت: "ذهبت إلى النوم وأنا أفكّر بالأمر. واستيقظت وأنا أفكّر فيه. فكّرت فيه وأنا في الحمّام، وأنا أتناول العشاء. فكّرت فيه في كلّ لحظة فراغ... إنّ الاطّلاع على نظام أسلحة متقدّم في ترسانة العدوّ له الأولويّة لدى أيّ جهاز استخبارات. والواقع أنّ الحصول على ذلك النظام يكاد يكون غير ممكن".

وأخيرًا قرّر عميت خطّته التي قضت خطوتها الأولى بإرسال عميل إلى بغداد. وقد اختار لذلك العميل إسمًا مزيّفًا، وجنسيّة بريطانيّة، أمّا الإسم فكان "جورج بايكون". فلا أحد سيظنّ أن يهوديًّا يمكن أن يكون له مثل هذا الإسم. على أن يسافر بايكون إلى بغداد بصفته مدير مبيعات لشركة مقرّها اندن، تبيع معدّات تعمل بأشعّة إكس.

وصل بايكون إلى بغداد على متن طائرة تابعة للخطوط الجويّة العراقيّة وهو يحمل عيّنات ممّا يبيع داخل عدد من الصناديق. وأظهر مهارة فائقة في استيعاب التوجيهات التي تلقّاها حيث باع فعلاً عددًا من المعدّات إلى المستشفيات العراقيّة. وفي بداية الاسبوع الثاني من إقامته في بغداد، أجرى بايكون الاتّصال بالرقم الذي أعطاه سلمان. وقد تضمّن تقرير بايكون إلى الموساد الوصف الحيويّ التالي:

"استخدمت هاتفًا عموميًّا في بهو الفندق. فهذا أكثر أمانًا من إجراء الاتّصال من هاتف غرفتي. وردّ شخص على المكالمة، وسأل صوت باللغة الفارسيّة عمّن يتكلّم. فأجبت باللغة الانكيليزيّة معتذرًا إذ ربّما أخطأت بإدارة قرص الهاتف. فسأل الرجل بالإنكليزيّة هذه المرّة عمّن يتكلّم. فقلت إنّي صديق جوزيف، فهل هناك أحد بهذا

الاسم؟ فطلب منّي أن أنتظر. فقلت في نفسي لعلّهم يتعقّبون مصدر المكالمة وهذا فخّ كما يبدو. بعدها تحدّث شخص مهذّب قائلاً إنّه جوزيف، ويسعده أنّني اتّصلت. ثمّ سأل عمّا إذا كنت أعرف باريس. فقلت في نفسي: نجحنا".

وجد بايكون نفسه يوافق على عقد اجتماع مع جوزيف في مقهى في بغداد ظهر اليوم التالي. وفي الموعد المحدّد قدّم رجل نفسه باسم على أنّه جوزيف. كان وجهه عميق الأخاديد وشعره أبيض. وفي تقرير لاحق استطاع العميل أن يصف الجوّ السريالي الذي ساد للحظات:

"قال جوزيف إنّه سعيد جدًّا لرؤيتي، كما لو كنت قريبًا له ينتظره منذ زمن طويل. ثمّ بدأ يتحدّث عن الطقس وكيف تراجع مستوى الخدمة في المقاهي التي كنّا نجلس في أحدها. فقلت في نفسي: ها إنّي وسط بلد معاد سيقتلني فيه جهاز الأمن إذا سنحت له الفرصة، وأنا أستمع إلى هلوسات رجل عجوز، وقرّرت أنّه كائنًا من كان، وكائنًا ما تكون علاقته بسلمان في باريس، فالمؤكّد أنّ جوزيف ليس ضابطًا في وحدة التجسّس العراقيّة. وهدّأ ذلك من روعي. وأبلغته أنّ أصدقائي مهتمّين جدًّا بالبضائع التي عرضها صديقه. فأجاب: سلمان ابن أخي الذي يعيش في باريس. إنّه نادل في مقهى. كلّ النادلين الأكفاء هاجروا. ثمّ مال جوزيف فوق الطاولة وقال: - لقد أتيت بخصوص طائرة الميغ؟ أستطيع أن أرتّب لك الأمر. لكنّه سيكلّف مليون دولار". هكذا بكلّ بساطة.

شعر بايكون بأن يكون جوزيف يضمر أكثر ممّا يبدي. كان يقين هادئ يسكنه. ولكن حالما بدأ استجوابه، هزّ الرجل العجوز رأسه وقال: ليس هنا. قد يكون هناك من يتنصّت. واتّفقنا على الاجتماع مرّة أخرى في اليوم التالي على مقعد في حديقة على شاطئ نهر الفرات الذي يتدفّق عبر المدينة.

لم ينم بايكون كما يجب في تلك الليلة. فقد قضى الليل متسائلاً عمّا إذا كان يجري تعليقه بالصنّارة رويدًا، فإن لم يكن من قبل الاستخبارات العراقيّة فمن قبل محتالين أذكياء يستخدمون جوزيف كواجهة.

كشف اجتماع اليوم التالي نزرًا يسيرًا إضافيًّا عن خلفيّة جوزيف ودوافعه. فهو يتحدّر من عائلة يهوديّة عراقيّة فقيرة. وقد عمل وهو صبيّ خادمًا لدى عائلة مسيحيّة غنيّة في بغداد. ثمّ بعد ثلاثين عامًا من الخدمة المخلصة صرف تعسّفًا واتّهم ظلمًا بسرقة الطعام، فوجد نفسه وهو يحتفل بعيد ميلاده الخمسين منبوذًا في الشارع. فهو تجاوز السنّ الذي يمكّنه من العثور على عمل آخر، وليس لديه ما يعيش منه سوى معاش تقاعديّ متواضع. وقد قرّر أيضًا أن يبحث عن جذوره اليهوديّة. وناقش مسعاه مع أخته الأرملة "مانو"، التي يعمل ابنها منير طيّارًا في القوّات الجويّة العراقيّة. واعترفت مانو بأنّها هي أيضًا تشعر برغبة شديدة في الذهاب إلى إسرائيل. ولكن كيف يمكنهم ذلك؟ فإنّ مجرّد البوح بالفكرة يعني احتمال مواجهة السجن في العراق. وإذا خلّفوا أيًّا منهم وراءهم بعد مغادرتهم فإنّ السلطات ستعاقبه بالتأكيد بقسوة، وربّما قُتل. ومن أين يأتون بالمال؟... فتنهّدت شقيقته وقالت: ذلك ليس سوى حلم مستحيل. لكنّ الفكرة رسخت في ذهن جوزيف، وحول العشاء كان منير كثيرًا ما يتحدّث عن أنّ قائده يفاخر بأنّ إسرائيل قد تدفع ثروة للحصول على طائرة ميغ، كالتي يقودها، وربّما حتّى مليون دولار أميركي يا عمّ جوزيف.

استحوذ المبلغ على اهتمام جوزيف، فبإمكانه أن يرشوَ المسؤولين وينظّم طريق الفرار. وبإمكانه بمثل هذا امبلغ أن يجد طريقة لإخراج العائلة كلّها من العراق. وكلّما فكّر في الأمر كلّما بدا له قابلاً للتحقيق. وكان منير يحبّ والدته وعلى استعداد ليفعل أيّ شيء من أجلها، حتّى أن يسرق طائرة مقابل مليون دولار. وما كان الأمر يحتاج

سوى أن ينظّم جوزيف هرب العائلة. فبمقدوره أن يجعل الإسرائيليّين يفعلون ذلك. فالكلّ يعلم أنّهم ماهرون في مثل هذه الأمور. ولذلك أرسل سلمان إلى السفارة. وابتسم جوزيف لبايكون مبتهجًا وقال: "وها أنت هنا ياصديقي".

وسأل بايكون: "وماذا عن منير؟ هل يعرف شيئًا عن هذا"؟ فردّ جوزيف: "بالطبع، لقد وافق على سرقة طائرة الميغ، ولكنّه يريد نصف المبلغ مقدّمًا الآن، والباقي قبيل قيامه بالعمل".

سرّ بايكون. فكلّ ما سمعه بدا حقيقيًّا وقابلاً للتصديق. لكن عليه أن يقدّم تقريرًا إلى عميت أوّلاً. وفي تلّ أبيب، أصغى رئيس الموساد طوال فترة بعد الظهر إلى بايكون وهو يروي التفاصيل التي لديه. وأخيرًا سأل عميت: "أين يريد جوزيف أن ندفع له المبلغ"؟ وأجاب بايكون: "في مصرف سويسري. فلجوزيف إبن عمّ يحتاج إلى علاج طبيّ عاجل ليس متوافرًا في بغداد. وستمنحه السلطات العراقيّة الإذن بالذهاب إلى سويسرا. وهو يتوقّع عندما يصل أن يجدنا قد أودعنا له المال". وعلّق مائير عميت ساخرًا: "إنّ صديقك جوزيف رجل واسع الحيلة. حالما يدخل المال في الحساب فلن يمكننا أن نستعيده". وسأل عميت بايكون سؤالاً أخيرًا: "لماذا تثق بجوزيف"؟ فردّ بايكون بقوله: "أثق به لأنّه خيارنا الوحيد".

سرعان ما أجاز عميت إيداع مبلغ نصف مليون دولار في الفرع الرئيسيّ لمصرف "كريدي سويس" في جنيف. فقد كان يقامر بأكثر من المال. كان يعرف بأنّه لن يبقى في منصبه إذا تبيّن أنّ جوزيف محتال ذكيّ كما كان يعتقد بعض ضبّاط الموساد. على أيّ حال، فكان قد حان الوقت لإطلاع رئيس الوزراء بن غوريون ورئيس الأركان إسحق رابين على السرّ. فأعطى الرجلان الضوء الأخضر للاستمرار في العمليّة. غير أنّ عاميت لم يبلّغهما بأنّه اتّخذ خطوة أخرى وهي سحب جميع أفراد

شبكة الموساد من العراق. ذلك أنّه لم يكن يريد إذا فشلت العمليّة أن يخاطر برأس أحد غيره. ويقول عميت في ذلك:

"أنشأت خمسة أفرقاء. كان الفريق الأوّل يشكّل صلة الاتّصال بين بغداد وبيني. وأمرت بألاّ يخرق صمت جهاز اللاسلكي إلاّ في حال حدوث أزمة، وبخلاف ذلك لم أرد أن أسمع منهم شيئًا. وكلّف الفريق الثاني أن يكون في بغداد ولا يعرف به أحد، لا بايكون ولا الفريق الأوّل.. ولا أحد. وكانت مهمّة هذا الفريق إخراج بايكون من البلد إذا وقعت مشكلة، وإخراج جوزيف أيضًا إذا أمكن. وكانت مهمّة الفريق الثالث مراقبة العائلة. ومهمّة الفريق الرابع التنسيق مع الأكراد الذين كانت إسرائيل تمدّهم بالسلاح، والذين سيساعدون في المرحلة الأخيرة من إخراج العائلة. أمّا الفريق الخامس فكانت مهمّته التنسيق مع واشنطن وتركيا، فلا بدّ لطائرة الميغ التي ستطير من العراق أن تدخل المجال الجوّي التركي قبل أن تصل إلينا. وسيكون على واشنطن التي تحتفظ بقوّات لها في شمال تركيا أن تقنع الأتراك بالتعاون بالقول إنّ الميغ ستختتم رحلتها في الولايات المتّحدة. كنت عند هذا الحدّ قد علمت أنّ العراقيّين كانوا يخشون احتمال هرب أحد الطيّارين إلى الغرب، ولذلك فقد أبقوا خزّانات الوقود في الطائرة نصف ممتلئة. وما كان بيدنا حيلة في هذا الشأن".

كانت هناك مشاكل أخرى أيضًا. فقد قرّر جوزيف أنّ من سيمنح فرصة الهرب من ظلّ النظام العراقيّ القاسي لن يكونوا فقط أفراد العائلة الأقربين، بل وأبناء عمومته أيضًا. وكان مجموع من أراد نقلهم جوًّا إلى برّ الأمان ثلاثة وأربعين شخصًا. ووافق مائير عميت. لكنّه عاد ليواجه مصدر قلق آخر. فقد أرسل بايكون من بغداد رسالة مشفّرة تفيد أنّ منير غيّر رأيه. وشعر رئيس الموساد بما يحدث. فمنير كان أوّلا وقبل كلّ شيء عراقيًّا. وقد أحسن العراق معاملته. وخيانته بلده من أجل إسرائيل أمر لا

يقبله. فإسرائيل هي العدوّ. ومنير تعلّم ذلك طوال حياته. فقرّر عميت أنّ الطريقة الوحيدة هي إقناعه بأنّ الطائرة ستذهب رأسًا إلى أميركا. وسرعان ما انتقل عميت إلى واشنطن وقابل "ريتشارد هيلمز" الذي كان يومئذ مديرً للـ CIA. فأصغى إليه وقال: إنّ الأمر سهل. وأعطى أوامره بأن يقوم الملحق العسكريّ الأميركي في بغداد بمقابلة منير. وأكّد الملحق أنّ الطائرة ستعطى إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة. وصرّح بحديث طويل أمام منير عن ضرورة مساعدة أميركا من أجل اللحاق بالروس. فصدّق منير هذا الكلام ووافق على المضيّ في الخطّة.

عند هذا الحدّ، اتّخذت العمليّة وتيرة خاصّة بها. فقد تلقّى قريب جوزيف إذن الخروج العراقي وسافر إلى جنيف للمعالجة. ومن هناك بعث ببطاقة بريديّة: "تسهيلات المستشفى ممتازة، لقد طمأنوني إلى إمكانيّة الشفاء التام". وكانت الرسالة إشارة إلى أنّ الخمسمائة ألف دولار الأخرى قد دفعت. وحالما اطمأنّ جوزيف، أبلغ بايكون بأنّ العائلة جاهزة. وعشيّة قيام منير برحلته اصطحبهم جوزيف في قافلة من الحافلات شمالاً إلى الجبال الباردة. ولم تتعرّض لهم حواجز التفتيش العراقيّة إذ إنّ الكثيرين من السكّان كانوا ينتقلون كلّ صيف من حرّ بغداد الخانق إلى الجبال الشماليّة. وقرب التلال انتظر الأكراد ومعهم فريق الاتّصال الاسرائيلي، ومضوا بالعائلة إلى داخل الجبال، خيث كانت تنتظرهم طائرات مروحيّة تابعة للقوّة الجويّة التركيّة. وتمكّنت هذه الطائرات من عبور الحدود إلى تركيا بطيرانها على علوّ منخفض فلم يكتشفها الرادار العراقيّ. واتّصل عميل إسرائيليّ هاتفيًّا بمنير ليبلّغه أنّ شقيقته ولدت طفلة وهي بخير. وكانت تلك إشارة مشفّرة أخرى جرى بثّها بنجاح.

في صباح اليوم التالي، الواقع فيه ١٥ آب ـ أغسطس ١٩٦١، عند شروق الشمس، أقلع منير بطائرة الميغ ـ ٢١ في مهمّة تدريبيّة، وحين ابتعد عن القاعدة

الجويّة زاد سرعة الطائرة فصار فوق الحدود مع تركيا قبل أن تصل التعليمات إلى الطيّارين الآخرين بإسقاط طائرته. وبمرافقة طائرات فانتوم تابعة للقوّة الجويّة الأميركيّة، حطّ منير في قاعدة جويّة تركيّة، وتزوّد بالوقود، ثمّ أقلع ثانية. وجاءته الرسالة عبر سمّاعتيه بلغة عاديّة هذه المرّة: "إنّ جميع أفراد عائلتك بخير وفي طريقهم للانضمام إليك".

بعد ساعة حطّت طائرة الميغ ـ ٢١ في قاعدة جويّة عسكريّة في شمال إسرائيل. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح الموساد لاعبًا خطرًا على المسرح الدوليّ. أمّا داخل أجهزة الاستخبارات الاسرائيليّة فقد صارت الأمور تؤرّخ في ما بعد على أنّها "ق.ع." أو "ب.ع."، أي قبل عميت وبعد عميت[١]. وأصبح عميت عندما يقلق منتقدوه من العاملين في أجهزة الاستخبارات الاسرائيليّة في بعض الأحيان إزاء ما يعتبرونه "قفزاته الخياليّة" يردّ عليهم دائمًا بقوله: "إقرأوا ملفّ طائرة الميغ".

---

١ ـ طوماس، إنحطاط الموساد، ص٦٣ ـ ٦٩.

عمليّة إيلي كوهين

بينما كان عميت يدبّر مؤامرة خطف الطـارة العراقيّـة، كـان عليـه أن يتعـامل مـع نكستَين مدمّرتين في كلّ من سوريا ومصـر. فقد فقد أهـمّ عميليـن للموسـاد فـي أهـمّ عاصمتين عربيّتين خلال خمسة أسابيع فقط في عام ١٩٦٥، وهما: "إيلــي كوهيـن" فـي دمشـق، و"فولفغـانغ لوتـز" فـي القـاهرة. وكـان كوهيــن ولوتــز قـد أمـدّا المخـابرات الاسرائيليّة حتّى تمّ القبض علـى كـلّ منهمـا بمعلومـات علـى غايـة الأهميّـة مـن داخـل مراكز السلطة العسكريّة والسياسيّة العربيّة، فقد كان الاثنان يتّسـمان بـالمقدرة البالغـة، وتمكّنا من اختراق الدوائر العليا في موقع كلّ منهما، بعد أن أصبح كوهين يتمتّع بالثقـة الشخصيّة للرئيس السوريّ آنذاك، في الوقت الذي أصبح فيه لوتـز صديقًـا للعديـد مـن كبار الضبّاط في الجيش المصريّ. وقد سردنا وقائع انهيار لوتز سابقًا.

لم تكن سوريا بعيدة عن اهتمام الاستخبارات الصهيونيّة بها، حيث عرفت في تلـك الحقبة نشاطًا مكثّفًا يوازي النشاط الاستخباري الاسرائيلي في مصر، إن لم يكن أكـثر، خاصّة بعد أن تخوّفت إسرائيل من انعكاسات الوحدة المصريّة ـ السوريّة علـى مجمـل الأقطار العربيّة، فضلاً عن موجة التأييد العارمة والتيّـار الشـعبيّ العربـيّ الـذي التـفّ حول الوحـدة، وكذلـك التطـوّرات التـي عاشـتها المنطقـة العربيّـة يومهـا. لذلـك عملت المخابرات الاسرائيليّة عبر دراسة دقيقة إلى اختيار الرجل الـذي وجدتـه مناسـبًا للقيـام بمهمّة التجسّس في سوريا، فكان "إيلي بن شاول كوهين" الـذي نجـح فـي عملـه نجاحًـا واسعًا دفـع إسـرائيل إلـى تجنيـد دول العـالم لإبقائـه حيًّـا بعد اعتقالـه فـي دمشـق عـام ١٩٦٥.

ولد "إيلياهو كوهين" بالإسكندريّة في مصر سنة ١٩٢٤، وهو من أصل سوريّ حلبيّ، غادر أحد أجداده حلب إلى الإسكندريّة. وقد بقي إيلياهو في مسقط رأسه حتّى بلغ السنة الثانية والثلاثين من عمره، حيث طرد من مصر عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي وإلقاء القبض عليه ضمن شبكة جاسوسيّة إسرائيليّة، تمكّن من تبرأة نفسه منها، ولكنّه مع ذلك طرد من مصر، فذهب إلى إسرائيل.

لقد لعب كوهين في الواقع دورًا بارزًا في مصر أوّل الأمر، حيث انغمس في عمليّات تخريبيّة إسرائيليّة ضدّ المنشآت الأميركيّة والبريطانيّة في خلال الأحداث التي سبق الحديث عنها والتي جرت بتدبير من المخابرات الإسرائيليّة عام ١٩٥٢، غير أنّه تمكّن من النجاح في تجنّب كشف أمره عندما قبض المصريّون على معظم أعضاء الشبكة، وهي التي سبّبت فضيحة لافون عام ١٩٥٤. وبعد انتقاله إلى إسرائيل، عمل كوهين مترجمًا في وزارة الدفاع الاسرائيليّة، ثمّ استقال من وظيفته وتزوّج يهوديّة عراقيّة تدعى "ناديا". ومنذ ذلك الحين جنّدته الموساد لعمليّة غير قانونيّة تستهدف إنشاء شبكة تجسّس في سوريا مهمّتها الحصول على معلومات سريّة سياسيّة وعسكريّة. وسرعان ما تلقّى تدريبًا مكثّفًا لهذه المهمّات السريّة المقبلة، وقد تعلّم وتدرّب أيضًا على الإلمام بالآيات القرآنيّة وعقائد الدين الإسلاميّ على اعتبار أنّ هويّته المقبلة المزيّفة ستصبح هويّة مسلم يدعى "كمال أمين ثابت"، المولود في سوريا عام ١٩٣٠، وهو تاجر هاجر إلى الأرجنتين، وعلى جانب كبير من الثراء.

عندما اكتمل تدريب كوهين على المهمّة التي اختير من أجلها، أرسل إلى الأرجنتين حيث أصبح عضوًا نشيطًا في الجالية العربيّة المهاجرة. وفي العاصمة الأرجنتينيّة تعرّف إلى الجنرال السوري "أمين الحافظ" الذي سيصبح رئيسًا للدولة السوريّة، وكان في ذلك الوقت ملحقًا عسكريًّا في السفارة السوريّة في بوينس أيرس،

وقدّ عُرّف إلى كوهين في حفلة أقامتها إحدى السفارات العربيّة هناك، وكان كوهين مدعوًّا إليها، باعتباره أحد أعضاء النادي العربي.

إخيرًا، تسلّل كوهين إلى سوريا بمساعدة اثنين من السوريّين الذين كانوا يعملون لمصلحة الاستخبارات الاسرائيليّة، وهما "ماجد شيخ الأرض"، التاجر السوريّ الذي سهّل لكوهين دخول سوريا دون تفتيش، كما سهّل له سبل الاتّصال بالنازي الألماني "روزيلو" أثناء محاكمة أدولف أيخمان في إسرائيل، كما كان من أكبر المساعدين لكوهين في التعرّف على مكان النازيّين الفارّين من ألمانيا إلى الأرجنتين، ومنهم صديقه "سبرينغر".

أمّا السوريّ الثاني فكان "جورج سيف"، الموظّف في إذاعة دمشق، والذي استقبل كوهين استقبالاً حسنًا لدى وصوله إلى دمشق، وأعطاه مختلف المعلومات عن الموقف السياسيّ في سوريا، ومكّنه من قراءة التقارير السريّة التي كانت تصل إليه. وقد تمكّن كوهين فعلا من تزويد الاستخبارات الاسرائيليّة بمعلومات دقيقة على جانب كبير من الأهميّة والخطورة، نظرًا للعلاقات التي أقامها في سوريا والصداقات التي عقدها مع كثير من المسؤولين. ولمّا عاد الجنرال أمين الحافظ إلى دمشق، كان كوهين قد سبقه إليها قبل سنتين حيث كان قد وثّق علاقاته ونظّم أعماله، وبدأ اتّصالاته مع تلّ أبيب، يرسل الأخبار ويتلقّى المعلومات والأوامر. وتمكّن من ممارسة نشاطه التجسّسيّ مدّة أربع سنوات تقريبًا، من عام ١٩٦١ حتّى عام ١٩٦٥، سافر خلالها إلى أوروبّا لتقديم المعلومات التي تعتبر بالغة الأهميّة والتي تستحقّ الدرس والتدقيق، ليعود بعدها إلى سوريا لإتمام مهمّته الخطيرة.

وفي كانون الثاني - يناير ١٩٦٥، تمكّنت المخابرات السوريّة من القبض على إيلي كوهين، الذي حوكم وأدين وأعدم في ١٩ أيّار – مايو ١٩٦٥ في ساحة المرجة

بدمشق، بعد أن أثيرت حملة عالميّة للدفاع عنه وإبقائه حيًّا[1]. وفشلت نداءات إسرائيل إلى بابا روما والدول الأوروبيّة في تخفيف الحكم على إيلي كوهين. وكان مدير الموساد مائير عميت قد كرّس كلّ وقته في محاولة إنقاذ حياة إيلي كوهين. وبينما نظّمت ناديا كوهين زوجة إيلي حملة دعائيّة عالميّة لهذه الغاية، فوسّطت البابا وملكة إنكلترا ورؤساء وزراء ورؤساء جمهوريّات، عمل عميت بسريّة. فسافر إلى أوروبّا ليقابل رؤساء الاستخبارات الفرنسيّة والألمانيّة، فما أمكنه فعل شيء. وقام باتّصالات غير رسميّة مع الاتّحاد السوفياتيّ، وبقي يحاول حتّى ساعة إعدام كوهين من دون جدوى.

ولكن كيف تمّ القبض على كوهين بعد كلّ المدّة التي قضاها في سوريا بعيدًا عن الشكوك والاتّهامات؟

في كانون الأوّل ـ نوفمبر ١٩٦٤، كان كوهين في إسرائيل في إجازة بانتظار مولد طفله الثالث، فقد كان يشعر بالاشتياق لأسرته، ويرسل لها تحيّاته بطريقة غير مباشرة عن طريق رؤسائه دون الكشف عن مكان إقامته، وكان قد بدأ في التعرّف على رؤسائه الجدد بعد أن انتقل فريق العمليّات "الوحدة ١٣١" من أمان إلى الموساد، إثر انتقال مائير عميت إلى منصب رئيس الموساد. وظلّ كوهين يمدّ إجازته، وألمح للموساد بأنّه يرغب في البقاء، وذكر أنّه لا يشعر بالارتياح إزاء أحمد السويداني رئيس فرع المخابرات في الجيش السوريّ. إلاّ أنّ ضبّاط الحالة المسؤولين عن كوهين

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٨٤ ـ ٨٦؛ راجع: أبو النصر عمر، إيلي كوهين جاسوس إسرائيل في دمشق، ص١٠٦ ـ ١٢٨؛ أيزنبرغ دينيس وآخرون، الموساد جهاز المخابرات الإسرائيليّة السرّي، ص٤٧ ـ ٩٤؛ ألدوبي تسفي، الجاسوسيّة الاسرائيليّة وحرب الأيّام الستّة، تعريب غسّان النوفلي (١٩٧٢) ص ٥ ـ ١٨، ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

لم يتنبّهوا لإشارات التحذير، فقد تجدّد التوتّر على الحدود بين سوريا وإسرائيل ولاحت في الأفق احتمالات حقيقيّة للحرب، وأصبح من اللازم وجود مصدر للتجسّس يعتمد عليه في دمشق، وضغطت الموساد على كوهين للعودة إلى مركزه للتجسّس في أقرب وقت ممكن. خاصّة وأن كوهين كان، عن طريق تهريب الوثائق إلى خارج سوريا، عبر أوروبّا، قد تمكّن من إرسال وصف تفصيليّ لانتشار القوّات على طول الحدود، مشيرًا إلى مواقع كمائن الدبّابات التي يمكن أن تعيق القوّات الاسرائيليّة عن التقدّم في حالة اندلاع الحرب، كما قدّم قائمة كاملة للطيّارين السوريّين ورسومات دقيقة للأسلحة التي تمّ تزويد طائراتهم بها.

يقول باحثون[١] إنّه لو كان كوهين ورؤساؤه الإسرائيليّون أكثر حذرًا لكانت فرصه في النجاة أفضل بكثير. ففي خلال الشهرين التاليين غفل كوهين عن قواعد الاحتراس. ومن المحتمل أنّ السهولة التي لا تصدّق التي أصبح بها صديقًا لأعلى المستويات قد جعلته يشعر بالرضى عن الذات. وعلى الفور استأنف رسائله المشفّرة التي تعني أنّ مجموعة مكافحة الجاسوسيّة السوريّة الماهرة يمكنها أن تربط بين استئناف تلك الرسائل وبين عودة كوهين من الخارج. والأكثر من ذلك أنّ الرسائل أصبحت أكثر تردّدًا، ففي غضون خمسة أسابيع، أرسل ٣١ رسالة باللاسلكي إلى تلّ أبيب، وارتكب أخطاء ترجع إلى إحساسه بالارهاق أو الرغبة غير الواعية في الموت، فقد كان يبعث برسائله في وقت واحد هو الثامنة والنصف صباحًا. ما يجعل من السهل تعقّب جهاز إرساله بالأجهزة الإلكترونيّة. وكان كوهين يبعث أحيانًا برسالتين في يوم واحد، وعلى سبيل المثال، فقد وجّهت إليه تلّ أبيب سؤالاً ذات صباح نصّه: "ماذا حدث لمجموعة

---

١ ـ رافيف ويوسي، أمراء الموساد، ص١٩٣ ـ ١٩٤.

طائرات ميغ ـ ٢١ التي كانت في حالة استعداد؟". وفي الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه بعث كوهين بردّ تفصيليّ جاء فيه: "لقد مات أحد طيّاريهم عندما اصطدمت طائرته بطائرة صغيرة على الأرض عقب حادث لها أثناء التدريب في الجوّ، وتمّ إنزال الثالث إلى الأرض بسبب الملاحظات التي أبداها وتحطّ من قدر قائده".

وهكذا فقد أصبح كوهين لا يتّسم بالمسؤوليّة في أغلب الأحيان أثناء بثّ رسائله كما لو كان يسعى إلى حتفه عامدًا. وكان على الضبّاط المسؤولين عنه في تلّ أبيب أن يقوموا بكبح جماحه، إلاّ أنّ أحدًا منهم لم يفعل ذلك. فقد كانت المادّة التي يرسلها جيّدة للغاية ولا يمكن وقفها.

قام رجال المخابرات السوريّون التابعون للسويداني بتوجيه أجهزة البحث عن أجهزة الإرسال التي يقوم بتشغيلها مستشارون سوفيات في الغالب، وبنتيجة ذلك جرى اقتحام مسكن كوهين في الثامن من كانون الثاني ـ يناير ١٩٦٥، وتمّ القبض عليه متلبّسًا وهو يدقّ مفاتيح التشغيل في جهاز الإرسال. وحاول السويداني خداع إسرائيل بإجبار كوهين على إرسال معلومات وهميّة تمّ حلّ شيفرتها، وبعد ثلاثة أيّام من هذه اللعبة دون الحصول على ردّ من تلّ أبيب، توقّف السوريّون عن القيام بها، وبعثوا ببرقيّة أخيرة موجّهة إلى ليفي أشكول رئيس الوزراء جاء فيها: "نقوم باستضافة كامل (كوهين) ورفاقه لفترة زمنيّة محدودة، وسنتيح لكم أن تعرفوا مصيره في المستقبل".

وسرعان ما حرى القبض على عدّة مئات من السوريّين الذين صادقهم كوهين، وقد شعر الرئيس أمين الحافظ بالإحراج لأنّه كان يعرف الرجل دون أن يعلم حقيقة أمره. واعترف كوهين بأنّه جاسوس إسرائيليّ على أنّه لم يتعاون مع المحقّقين السوريّين في أكثر من ذلك.

يشير البعض إلى أنّ المخابرات المصريّة كانت وراء عمليّة اعتقال كوهين في سوريا. إلاّ أنّه في الواقع أنّ العقيد أحمد سويداني الذي تولّى رئاسة المخابرات السوريّة في عام ١٩٦٤، وهو من المقرّبين جدًّا من الرئيس أمين الحافظ، قد لعب دورًا هامًّا وأساسيًّا في إلقاء القبض على الجاسوس الإسرائيليّ في سوريا، حتّى أنّه شارك شخصيًّا في عمليّة المداهمة والاعتقال[1].

وكان للموساد عميل آخر كبير في العالم العربي في ذلك الوقت هو "باروخ مزراحي" الذي كان يعمل مديرًا لمدرسة لغات أجنبيّة في سوريا عندما تمّ إلقاء القبض على كوهين من جانب رجال مكافحة التجسّس السوريّين، وقد أمره رؤساؤه في تلّ أبيب على الفور بالعودة إلى بلده. غير أنّ تحذير الموساد لمزراحي لم يكن ذا فائدة له بعد ذلك بسبع سنوات، فقد ضبط في اليمن وهو يتجسّس على الجيش المصريّ الذي كان لا يزال متورّطًا في الحرب الأهليّة هناك، وذلك بإرسال التقارير عن حركة السفن الداخلة إلى البحر الأحمر والخارجة منه.

في الوقت نفسه، كانت الاستخبارات الاسرائيليّة تولي اهتمامًا كبيرًا للعراق نظرًا لأهميّة الطائفة اليهوديّة فيه. ونجح عملاؤها في إنشاء شبكة تجسّس تعمل لصالح إسرائيل تولّى إدارتها الطبيب اليهودي "عزرا خزام"، متّخذًا من عيادته مركزًا لممارسة نشاطه التجسّسي بمساعدة الممرّضة اليهوديّة التي كانت تعمل معه. وقد اكتشفته السلطات العراقيّة في السادس عشر من كامون الثاني ـ يناير ١٩٦٦، وعند تفتيش عيادته عثر على أجهزة لاسلكيّة تثبّت اشتراكه في عمليّات تهريب اليهود العراقيّين وإرسال معلومات سرّيّة حول الأسلحة الجديدة التي تصل إلى الجيش

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٨٦.

العراقيّ، وأرسال هذه المعلومات إلى أحد مسؤولي المخابرات الاسرائيليّة في ميناء عبدان الإيراني. وقد استخدمت الاستخبارات الاسرائيليّة في هذا النموذج عناصر يهوديّة عراقيّة متّخذة من ميناء عبدان مركزًا للتوجيه والتهريب.

وبالإضافة لشبكة الطبيب عزام خزام، كان هناك إلى جانبها شبكة تعتبر من أهمّ الشبكات التسع التي اكتشفتها السلطات العراقيّة مع بداية عام ١٩٦٦. وكان "عزرا ناجي زلخا" على رأس هذه الشبكة الخطيرة التي كانت تتولّى مهمّة تهريب اليهود العراقيّين عبر ميناء البصرة، مع شبكة الطبيب عزرا خزام، إلى عبدان في إيران، ونقلهم منها إلى إسرائيل. وقد وجّهت إليهم السلطات العراقيّة تهمة الخيانة العظمى باعتبارهم مواطنين عراقيّين ونفّذت حكم الإعدام ببعضهم في ساحات بغداد الكبرى[1].

---

١ ـ زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، ص٨٩ ـ ٩٠؛ راجع: عمّار نزار، الاستخبارات الإسرائيليّة، ص٣٩، ٦٦ ـ ٦٧.

المراجع والفهرس

لائحة المراجع

أبو النصر عمر، إيلي كوهين جاسوس إسرائيل في دمشق (بيروت،١٩٦٨)

الأشقر رياض، قيادة الجيش الإسرائيلي، مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة (بيروت، ١٩٨١)

ألدوبي تسفي، الجاسوسيّة الاسرائيليّة وحرب الأيّام الستّة، تعريب غسّان النوفلي (١٩٧٢)

أيزنبرغ دينيس وآخرون، الموساد جهاز المخابرات الإسرائيليّة السرّي، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر (بيروت،١٩٨١)

بلاك أيان وموريس بيتي، حروب إسرائيل السريّة، ترجمة عمّار جولاق وعبد الرحيم الفرّا، منشورات الأهليّة للنشر والتوزيع، ط١ (عمّان،١٩٩٢)

البندك مازن، أطلس الصراع العربي الصهيوني حتّى بداية ١٩٧٨، دار القدس (بيروت، لا.ت.)

الجزائري سعيد، المخابرات والعالم (لا.ت.)

الحاج سالم د. وجيه وخلف أنور، الوجه الحقيقي للموساد (لا.ت.)

حركابي يهوشافاط، الاستراتيجيّات العربيّة وردود الفعل الاسرائيليّة، ترجمة أحمد الشهابي، منشورات مكتب الدراسات الفلسطينيّة في حركة فتح (بيروت،١٩٧٧)

رافيف دان، وميلمان يوسي، أمراء الموساد، كلّ جاسوس أمير، تعريب ممدوح لطفي، دار الكتاب العربي (دمشق،١٩٩١)

رزوق د. أسعد، الدولة والدين في إسرائيل، سلسلة دراسات فلسطينية، ٣٧، نشر منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث (بيروت،١٩٦٨)

زهر الدين د. صالح، الموساد بين الإخفاق والاختراق، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣)

زهر الدين د. صالح، الوطن العربي والموساد، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣)

زهر الدين د. صالح، ملفّ الاستخبارات الإسرائيليّة، المركز الثقافي اللبناني (بيروت،٢٠٠٣)

صالح محمود عابدين، المخابرات والأمن والجاسوسيّة، مكتبة مدبولي (القاهرة،٢٠٠٣)

طوماس غوردون، إنحطاط الموساد، إغتيالات وأكاذيب وارتزاق، ترجمة د. محمّد معتوق، دار بيسان (بيروت،،٢٠٠٠)

عمّار نزار، الاستخبارات الإسرائيليّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر (بيروت،١٩٧٦)

غرانوت عودد، الموسوعة العسكريّة الاسرائيليّة (٢)، سلاح الاستخبارات، ترجمة دار الجيل للنشر، ط١ (عمّان،١٩٩٨)

الفالوجي فريد، جواسيس الموساد الغرب، مكتبة مدبولي (القاهرة،٢٠٠٣)

قلعجي قدري، مناقشة آراء العلماء والسادة السوفيات، دار الكتاب العربي (بيروت،١٩٧٢)

الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق (بيروت،١٩٩١)

مجلّة الحوادث، العدد ١٣٨٢، الجمعة ٢٩ نيسان - إبريل ١٩٨٣.

مجلّة الشراع، العدد ٥٨، الإثنين ٢٥ نيسان - إبريل ١٩٨٣.

مجلّة الموقف العربيّ، عدد ١٢٥، الإثنين ٧ - ١٣ آذار - مارس ١٩٨٣.

مجلّة شؤون فلسطينيّة، عدد ١٣٦ - ١٣٧، آذار ونيسان - مارس وإبريل ١٩٨٣.

مفرّج طوني، حرب الردّة، دار الجريدة (بيروت،١٩٧٩)

نصر صلاح، الحرب الخفيّة - فلسفة الجاسوسيّة، منشورات مؤسّسة الوطن العربي للنشر والتوزيع (بيروت،١٩٨٠)

نصر صلاح، عملاء الخيانة وحديث الإفك، منشورات مؤسّسة الوطن العربي للنشر والتوزيع (بيروت،لا.ت.)

هاريل إيسر، منجل في النجمة السداسيّة، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل (عمّان،١٩٨٩)

هاني أحمد، الجاسوسيّة بين الوقاية والعلاج، الشركة المتّحدة للنشر والتوزيع (القاهرة،١٩٧٤)

هيرش سيمور م.، خيَار شمشوم، الترجمة العربيّة، مكتبة بيسان (بيروت،١٩٩٢)

Ben Gurion, *Credo of A Jew*, Jerusalem Post, (July 19, 1957)

Herzberg Arthur, *The Zionist Idea* (New York,1959)

Herzel Théodor, *Jewish State, An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question*, Trans, By: Sylvie D'Avigdor, 4th ed. (London,1946)

Parzev Herbert. Herzel, *Speaks His Mind On Issues*, Events and Men (New York, 1960)

The Jewish Encyclopedia, *Rabbinical* Conferences.

Thureau J Dangin F., Die *Sumerischen und Akkadischen konigsinschriften* (Leipsig,1907)

Weiler Moses Cryrus, Kurt Sonteimer, *Israel Politik,* Gesellschaft, Wirschaft (Munichn,1968)

Zohar Michel Bar, *J'ai Risqué ma Vie, Isser Harel No. 1 des Services Secrets Israëliens,* Ed. Fayard (Paris,1971)

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


Bibliotheca Alexandrina
0586427